مُبْتَغَىْ اللَّبِيْبِ
فِيْ
مَهَامِ الْخُطْبَةِ وَالْخَطِيْبِ

- مميزات خطبة الجمعة
- أهمية الخطابة
- أهم أحكام الخطبة والخطيب والحاضرين مع ذكر أهم أحكام خطب العيدين والاستسقاء والكسوف للخطيب
- صفات الخطيب
- ثقافة الخطيب
- طرق إعداد الخطبة
- وسائل الإلقاء
- تقويم أخطاء الخطيب

خالد بن سعيد آل سالم
(غفر الله له ولوالديه وللمسلمين)

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَةُ

إِنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرُهُ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شرورِ أنفسِنَا، ومنْ سيئاتِ أعمالِنَا، منْ يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ لَهُ، ومنْ يُضللْ فلا هاديَ لَهُ، وأشهدُ أَلا إلهَ إلا اللهُ، وأشهدُ أَنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

أما بعد:

فإن هذا الباب الدعوي العظيم المتميّز بوحدانيته الثابتة رغم تطاول قرون الإسلام، وهذا البلاغ العالي النبيل الذي يتفرّغ لحضوره الحشود الهائلة من كل بقاع العالم كل أسبوع، بل وهذه الشعيرة الجليلة التي تدوّن ملائكة رب العالمين من يحضرها.

ألا تستحق منَّا أن ننّوه بأبرز مميزاتها وأهميتها وأحكامها، كما نُذكّر من يتشرّف بتولّي زمامها بأهم صفاته وثقافته وطرق إعداده ووسائل إلقائه وتقويم أخطائه.

لذا كان هذا الإصدار بفضل أكرم الأكرمين وحده، وقد حاولت أن أجمع فيه بعضاً من جهود من سبقني – مشكورين ومأجورين–، والإلمام بقدر الإمكان بمهامه باختصار وتركيز.

ولا أدّعي في عملي هذا الكمال، فالنقص من طبيعة الإنسان –وجزى الله خير الجزاء من أرشدني وصوبني–، وقد حاولت الإيجاز المركّز والبعد عن التفاصيل المطوّلة، كما تجنبت الإحالات والحواشي، وألحقت المراجع آخر الكتاب للتوثيق ولمن أراد التوسّع، سوى ما استدعى ذكره ونسبته لقائله.

ونسأل الله بمنّته ورحمته وفضله أن يصلح نياتنا وأعمالنا ويتجاوز عن تقصيرنا، وينفعنا بما علمنا ويزيدنا علماً نافعاً، ويتقبل منَّا إنه هو السميع العليم.

Khaled-ksa-01@hotmail.com

مميزات خطبة الجمعة

لخطبة الجمعة مميزات لا توجد في أي ملتقى دعوي كالمحاضرة أو الدرس أو الكلمة، وهذا يدعو الخطيب الداعية إلى أنّ يوقن بأنه على ثغر عظيم من ثغور الإسلام، لذا يجب عليه أن يولّي هذا المنبر الشريف الاهتمام اللائق به، ومن هذه المميزات:

• **أن لها شأنًا عظيماً عند الله –عز وجل– فهي ذكر الله تعالى** كما سمّاها الله في كتابه بقوله: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة ٩]، **وهي شعيرة عظيمة** من شعائر الدين، **وأحد أهم ميادين الدعوة إلى الله** وتبليغ شريعته، وإقامة الحجة على عباده.

• **مما يؤكّد عِظَم شأنها أن النبي** ﷺ **كان يتولّاها بنفسه،** وكذلك كان خلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم.

• **الأمر بالسعي لها،** حيث إن المسلم مأمور بالسعي لصلاة الجمعة حين يسمع النداء –سعيًا بمعنى: مبادرًا وليس جريًا–، كما أنه يحرُم عليه أن ينشغل ببيع أو نحوه بعد النداء الثاني، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

• **رغّب الشرع الحنيف للمصلي أن يبكّر قبل الخطبة بوقت طويل، ورتّب على ذلك أجورًا عظيمة،** قال ﷺ: (مَنِ اغتسل يومَ الجمعةِ غُسْلَ الجنابَةِ، ثُمَّ راحَ في الساعةِ الأولى، فكأنما قرَّبَ بدنَةً، ومَنْ راح في الساعَةِ الثانِيَةِ، فكأنَّما قرَّبَ بقرةً، ومَنْ راح في الساعةِ الثالثةِ، فكأنما قرَّبَ كبشًا أقرَنَ، ومَنْ راح في الساعَةِ الرابعَةِ، فكأنَّما قرَّبَ دجاجَةً، ومَنْ راح في الساعَةِ الخامِسَةِ، فكأنما قرَّبَ بيضَةً، فإذا خرج الإمامُ حضرتِ الملائِكَةُ يستمعونَ الذِّكْرَ) أخرجه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).

• **وفوق ذلك: حثّ الشرع المصلي على الاغتسال والتنظّف والتطيّب** قبل التبكير لخطبة الجمعة، مما يبعث في نفسه النشاط والحيوية وحسن الاستماع للخطبة، وحتى لا يؤذي المصلّين بالروائح الكريهة، **بل ورتّب على ذلك مغفرة الذنوب،** يقول ﷺ: (مَنِ اغْتَسَلَ يَومَ الجُمُعَةِ، وتَطَهَّرَ بما اسْتَطاعَ مِن طُهْرٍ، ثُمَّ ادَّهَنَ أوْ مَسَّ مِن طِيبٍ، ثُمَّ راحَ فَلَمْ يُفَرِّقْ بيْنَ اثْنَيْنِ، فَصَلّى ما كُتِبَ له، ثُمَّ إذا خَرَجَ الإمامُ أنْصَتَ، **غُفِرَ له ما بيْنَهُ وبيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرى)** رواه البخاري، (٩١٠).

• **إلزام المصلّي بالإنصات للخطيب،** فلا يجوز له الكلام ولو أن يقول لصاحبه: أنصت، فقد قال ﷺ: (من قال لصاحبِه يومَ الجمعةِ، والإمامُ يخطبُ: أَنْصِتْ، فقد لغا) أخرجه البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١).

• **بل وأوجب الشرع على ترك أدنى عبَث يلهي عن سماع خطبة الجمعة،** يقول صلى الله عليه وسلم: (من توضّأ فأحسنَ الوضوءَ، ثم أتى الجمعةَ فاستمعَ وأنصتَ غُفِرَ له ما بينَ الجمعةِ إلى الجمعةِ، وزيادةُ ثلاثةِ أيامٍ، **ومن مسّ الحَصى فقد لغى**) أخرجه مسلم (٨٥٧).

• **ويقاس على ذلك:** الالتهاء عند خطبة الجمعة بالنظر في الجوال، أو شرب الماء، أو حتى الاستياك -كما ذكر أهل العلم-.

• **فالمصلّون يأتون الجمعة متهيئين قد أخذوا كفايتهم من النوم،** وقد تأهبّوا للصلاة حيث اغتسلوا وتنظّفوا وبكّروا للصلاة، وأخذ كل واحد مكانًا له مناسبًا، وصلّى ما كُتِب له، وذكر الله، فرقّ قلبه، وصفا ذهنه، وأصبح مستعدًا للتلقّي والإفادة من الخطيب.

وهذا لا يحصل في غير الجمعة من المجامع العلمية الأخرى كالمحاضرة والدرس، ونحوها من المجامع الدعوية، وهذا إذا استحضره الخطيب جعله يحرص على إفادة المصلّين كثيرًا.

• **يكفي خطيب الجمعة شرفا ورفعة أن ملائكة الرحمن تحضر عنده للاستماع لخُطبه،** قال رسول الله ﷺ: (إذا كانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ، كانَ على كُلِّ بابٍ مِن أبْوابِ المَسْجِدِ مَلائِكَةٌ يَكْتُبُونَ الأوَّلَ فالأوَّلَ، فإذا جَلَسَ الإمامُ طَوَوُا الصُّحُفَ، وجاؤُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ..) أخرجه البخاري (٩٢٩)، ومسلم (٨٥٠).

• **تكرار خطبة الجمعة كل أسبوع،** ففي العام الواحد يستمع المصلي لقرابة اثنتين وخمسين خطبة، وحين يعتني بها الخطيب ويرتّب موضوعاتها يقدّم للمستمع مادة متكاملة، فهي بمثابة دورة مكثّفة مستمرة.

• **الخطبة زاد أسبوعي يزوّد فيه الخطيب المصّلين بزادهم** ويُسمعهم داعي الله ويذكّرهم به، ويعلمهم أمور دينهم ودنياهم، ويعالج مشكلاتهم، فأثر خطبة الجمعة عظيم جدًا في حياة الأفراد والمجتمعات والأمم، كما أنها الأداة المعبرة في المناسبات الدينية، وفي كل أمر جامع.

• **صلاة الجمعة لها مكانة خاصة حتى عند من لا يصلون غيرها من الفرائض**، حيث يحرص هؤلاء على حضورها، ولذلك قيمتها المعنوية عند الناس بأنها من شعائر الإسلام العظيمة، وبالتالي لها أثر قوي في نفوسهم وتلقّيهم ما ينفعهم.

• **حضور خطبة الجمعة يزيد ولا ينقص، فالمصلون لا يخرج أحد منهم قبل انتهاء الخطبة**، وإنما يتوافدون، بخلاف المحاضرة والدرس والكلمة، فقد يخرج بعضهم قبل اكتمال الموضوع.

• **شهود المسلمين جميعهم لها، فالمسلمون على اختلاف طبقاتهم، ومستوياتهم التعليمية**، يحضرون الخطبة من مثقف وجاهل وطالب علم ومتعلم ومن كبير وصغير، ومن جانب آخر فحضورها ليس مقصورًا على الأخيار وحدهم، فكثير ممن لا يشهد صلاة الجماعة يحضر الخطبة وصلاة الجمعة، وهذا يتيح للخطيب أن يخاطب الجميع، وأن يتحدّث للكثير ممن لا يحضرون المحاضرات ودروس المساجد.

فالخطبة باختصار هي مجال خصب للدعاة يرسلون من خلاله رسالة الدين إلى الجميع.

• **ثباتها في كافة الأحوال**، فهي مستمرة في السّلم والحرب، وفي الرخاء والجدب، وفي سائر الظروف -بحول الله-.

• **يوجّه بعض الدعاة اللوم للناس على هجرهم للمساجد، وتأخرهم في الحضور للجمعة، ونومهم أثناء الخطبة أو الشرود أثنائها**، وانصرافهم السريع بمجرد التسليم وكأنها تحرَّروا من عِقال أو خرجوا من سجن!، وقلّما يتساءل بعض الخطباء عن الأسباب التي تدفع الناس لهذا، ولو تساءلوا فإنهم غالباً ما يرجعون الأسباب إلى تراجع إيمانيات الناس وركونهم إلى الدنيا، وإن كان ذلك فيه شيء من الصواب، ولكن لا يوجّه النظر إلى ما يحدث في المسجد من غياب الدور الفعّال للخطيب والذي ينبغي أن يكون عليه.

أفلا يراجع الخطيب العاقل نفسه، ويعترف بضعف تحمّل الأمانة، ويعيد النظر بصدق في إصلاح منبره الذي وُكّل إليه، -ولا أحداً منا يزكّي نفسه -.

يقول أحد المستشرقين موضحًا مدى تأثير خُطب الجمعة في تغيير معتقدات الناس وموروثاتهم الاجتماعية والثقافية؛ يقول: "أعطوني منابر المسلمين أعطكم المسلمين".

وقال أحد الشيوعين: "لو نملك مثل ما يملكه المسلمون من منابر الجمعة لحوّلنا العالم إلى الشيوعية خلال سنتين".

فيا أخي الخطيب: لا يكن هؤلاء أفقه منَّا في معرفة عظمة تشريعات ديننا الحنيف، فالخطبة من أكثر أنواع الدعوة تأثيرًا ووصولاً للقلوب والأسماع، إن أحسن الخطيب اختيار الموضوعات مع جودة الإعداد، وتميّز في طرحها وأحسن عرضها.

• **إن الشعور الصادق بأهمية خطبة الجمعة –كما سبق ذكره –يولِّد العناية بهذا المنبر الشرعي الجليل،** مما يدفعنا دفعاً للارتقاء بحسن الإعداد والإلقاء طمعًا قبل كل شيء في ثواب أكرم الأكرمين الذي اختارنا لهذا المنبر العظيم.

• **إذا استشعرت ذلك كله –أيها الخطيب المبارك–**عَظُم قدر الخطبة في قلبك، وازددت حرصاً على قول الحق وأداء الأمانة، كما يزيدك ذلك الاهتمام بالأمور والوسائل التي تؤدي إلى نجاح خطبتك –كما سيأتي بحول الله وفضله–.

أهمية الخطابة

- **من أقوى وسائل التأثير** على الناس إذا حسُن تفعليها.

- **الخطابة شرف عظيم**، وشرفها في أن يكون القائم عليها فيه الصفات المحمودة والشروط المرغوبة –كما سيأتي–.

- **الخطابة أقدر من الشعر على الإقناع**، لأنها لا تعتمد على تكلّف القوافي أو الأوزان، وتستطيع أن توضّح كل جوانب الموضوع بغير تكلّف.

- **الخطابة تدخل** القصة والمثل والحكمة في ثناياها بغير أن يختل المعنى.

- **تمزج الأحاسيس المرهفة** والعاطفة الجيّاشة في القلوب لتنقاد للحق والفضيلة.

- **الخطابة واجبة في الدعوة إلى الله**؛ لأنها لازمة لتبليغ الدعوة وما لا يتم الواجب إلّا به فهو واجب.

- **هي بالنسبة للداعية سلاحٌ يدافع به عن دعوته**، حيث يرد به كيد الكائدين، وجحود الجاحدين، وعنت الضالّين.

- **وهي صلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** لصيانة جسد الأمة من الهدم والتحلّل.

- **تشمل كل نواحي الحياة**، لأن ديننا العظيم مُصلح لكل ذلك.

- **الخطابة دعوة إلى الإسلام وإلى تعاليمه ومبادئه وإلى سيادته في الأرض** لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السُفلى.

- **تهدف إلى إنشاء المجتمع** الذي يُمثّل تعاليم الإسلام حيّة واقعية في دنيا الناس.

• **ومن مقاصدها تغذية الروح وطرح الجفاف النفسي والذهني** الذي يُنشئ القلق والحيرة والانهيار، وتخفيف غلواء المادّية وشرورها وسيطرتها على الإنسان في الحياة.

• **الخطابة تبصّر الناس بالحياة الباقية** التي يكون فيها الثواب الجزيل والنعيم الحقيقي، وإرشادهم إلى الفوز العظيم والنعيم الدائم.

• **ترجع الناس إلى فطرة الله تعالى** التي فطَر الناس عليها، إلى الدين القيّم، مهما بلغت الأمم من تحضُّر مادي وتقدّم تقني.

• **وسيلة اتصال جماهيرية** فقد أثبت الدراسات قوة تأثيرها على السامعين، وهذا التأثير يرتبط بجمال أسلوب الخطيب، وقوة حجّته، وبلاغة مقولته.

• **إن المواقف المجيدة في تاريخ الأمة مُدينة للخطباء** الذين عبّروا عن قضاياهم أصدق تعبير، وأثّروا في مجتمعاتهم أعظم تأثير.

• **ومما يدعو إلى أهمية الخطابة:**

* أن الوقت الذي تعيشه الأمة الإسلامية حرِج، يعتريه ضعف عام في التديّن لدى شرائح متعددة في المجتمعات.

* **تكالب أعداء الإسلام** من اليهود والنصارى وغيرهم على المسلمين من خلال أمور منها: تشويه صورة الإسلام، والتشكيك في أصول الدين ومسلّماته.

* **وجود بعض الطوائف من المسلمين المخالفين وأهل البدع، ودعاة التحرر**، يحاولون باستماتة لإذهاب الهوية الإسلامية الصحيحة وتذويبها.

• **والخطابة لها أهمية في مزاحمة** أثر القنوات الفضائية والشبكة العنكبوتية ووسائل التواصل الاجتماعي التقني على الناس وسهولة وصولهم إليها، وما فيها من مغريات مضلّلة، وفتن عظيمة لمسنا كثيرًا منها في حياة المسلمين في كل مكان.

• **ضرورة اهتمام الخطيب بالخطبة ليتجنب ضعف تأثير خُطَب الجمعة في الناس** بسبب ضعف الإعداد وسوء الإلقاء، وبالتالي يتحاشى نقد المصلين لخطباء الجمعة بعدم وجود أثر حقيقي لهذه المنابر في حياة الناس.

ومما يؤكّد ذلك أن العالم الإسلامي تنتشر فيه مساجد الجمعة، ومع ذلك نلحظ ضعفًا بالغًا وجهلًا عظيمًا في أهم القضايا الشرعية، وهي العقيدة الإسلامية –عقيدة أهل السنة والجماعة–، وكثير من أحكام العبادات الشرعية، وما يتعلّق بحقوق العباد، وإنكار المنكرات والمخالفات الشائعة.

• **إن مما يُذكّر به الخطيب الغيور على دينه**: أننا دعاة إلى الإسلام، وإلى التمسّك بالسنة والاعتصام بها.

وأن لنا الدور الهام في تعليم الناس الخير والهدى وتوعيتهم بالمخاطر في عقيدتهم وحياتهم، بالإضافة إلى أننا أحوج ما نكون إلى التأليف بين المسلمين وتوادّهم وترابطهم.

• **للخطابة شأن عظيم في الإسلام ومنزلة عالية**، فهي من الركائز الأساسية والوسائل المهمة في الدعوة إلى الله تعالى، وغالبًا الكلمة البليغة في الخطبة المؤثرة أنفع من قوة السلاح، ولهذا قالت العرب قديمًا: "رُب قول أنفذُ من صول".

• **يقدّم الخطيب الموفّق للمُصلّين جرعة إيمانية** تكفيهم للسير على هديها من الجمعة إلى الجمعة، فينقضي الأسبوع ما بين تذكُّر للخطبة الماضية وترقب للجمعة التالية.

• **الخطيب المبدع** هو الذي يجعل خطبته مثار نقاش إيجابي بين المصلين بعد الصلاة وفي مجالسهم، بما يقدّمه من معلومات قيّمة وموضوعات تمس الناس في دينهم ودنياهم، بأسلوب وسطي مستمد من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، دون إفراط أو تفريط.

أهـم أحكـام خـطبة الجمعة والخطيب والحاضرين

مع ذكر أهم أحكام خطب العيدين والاستسقاء والكسوف

نظراً لما في أحكام خطبة الجمعة من المسائل الكثيرة والتفصيلات الفقهية الطويلة؛ فقد اقتصرت على ذكر أهم أحكامها التي تتعلّق بالخطبة والخطيب والحاضرين، مع ذكر القول الراجح من أقوال الفقهاء، وما يترجّح لي، مع دعم الحكم بأقوى الأدلة، والعناية بتخريجها، دون التطرق للخلاف ومناقشة الأقوال، وكذلك دون حشو هذا القسم بكثرة المراجع.

ومن أراد الرجوع إلى المراجع فليرجع إلى أهم مرجعين في ذلك، وهما يعتبران بحق العمدة في جمع المسائل الفقهية المتعلقة بالخطبة والخطيب حيث ناقشاها بعمق وتأصيل، وهما: خطبة الجمعة وأحكامها الفقهية، للدكتور: عبد العزيز بن محمد الحجيلان، والشامل في فقه الخطيب والخطبة، للدكتور: سعود الشريم، – جزاهما الله خير الجزاء–، بالإضافة للإفادة من هذين المصدرين بنسبة قليلة في قسم: تقويم أخطاء الخطيب.

(الخطبة شرط لصلاة الجمعة):

الخطبة شرط في صلاة الجمعة لا تصح بدونها، وبذلك قال الحنفية، وجمهور المالكية، وهو الصحيح عندهم، والشافعية، والحنابلة، وهو مذهب الفقهاء كافة إلّا الحسن البصري فإنه شذ عن الإجماع وقال: ليست واجبة.

واستدلوا بأدلة، وأقواها:

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [الجمعة: ٩].

وجه الدلالة:

فعلى القول بأن المراد بالصلاة في الآية: الخطبة، فدل على وجوبها من وجهين:

الأول: أنه أمر بالسعي إليها، والأصل في الأمر الوجوب، والسعي الواجب لا يكون إلّا إلى واجب.

.**الثاني:** أن الله تعالى أمر بترك البيع عند النداء لها، أي أن البيع يحرم في ذلك الوقت، فتحريمها للبيع دليل على وجوبها، لأن المستحب لا يحرّم المباح.

وعلى القول بأن المراد: الصلاة، فإن الخطبة من الصلاة، والعبد يكون ذاكرًا لله بفعله، كما يكون مسبحاً لله بفعله.

وأيضاً من أقوى الأدلة: أن النبي ﷺ ما صلّى الجمعة في عُمره بغير خطبة، وقد أمرنا بالصلاة كما كان يصلي، ولو جازت الجمعة بغير خطبة لفعله ولو مرة تعليماً للجواز.

(يشترط خطبتان لخطبة الجمعة):

وبذلك قال: الإمام مالك في رواية عنه، وأخذ به بعض أصحابه، وبه قال الشافعية، وهو الرواية المشهورة عن الإمام أحمد، والمذهب عند أصحابه.

ومن أهم الأدلة:

عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما– قال: (كانَ النبيُّ يَخْطُبُ خُطْبَتَيْنِ يَقْعُدُ بيْنَهُما) رواه البخاري (٩٢٨).

وما رواه جابر بن سمرة – رضي الله عنه–: (كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَخطُبُ خُطبَتَيْنِ، يَخطُبُ ثم يَجلِسُ، ثم يَقومُ فيَخطُبُ) أخرجه مسلم، (٨٦٢)، وغيره.

(شروط الخطبة للخطيب):

- **(أولاً: النية):**

شرط لصحة الخطبة، وبهذا قال بعض الشافعية، وبه قال الحنابلة.

وأهم دليل في ذلك:

قال ﷺ: (إنَّما الأعْمالُ بالنِّيّاتِ، وإنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوى) رواه البخاري، (١)، ومسلم، (١٩٠٧).

فهو شامل بعمومه لخطبة الجمعة، لأنها عبادة من العبادات.

- **(ثانياً: اشتراط حضور العدد الذي تنعقد به الجمعة للخطبة):**

تعددت أقوال الفقهاء في العدد الذي تنعقد به الجمعة إجمالاً، **والراجح في ذلك:**

أن أقل ما تنعقد به: ثلاثة، وهذا هو قول: الحنفية، وهو رواية عن الإمام أحمد، واختارها شيخ الإسلام ابن تيمية.

والعمدة في ذلك: بأنه ليس فيه دليل صريح على اشتراط عدد كبير، وإنما يجب حضور الخطبة جماعة يتحقق بهم مقصودها من الوعظ والتذكير.

وهل يجب استمرار حضور العدد حتى نهاية الخطبة؟

الراجح: يشترط حضور القدر الواجب منها، فإن انفضوا في أثنائها لم يعتد بالركن المفعول حال غيبتهم، وبهذا قال: الشافعية والحنابلة. -وسيأتي توضيح الواجب من الخطبة في الأركان-.

• (ثالثاً: أن تكون بعد دخول وقت الجمعة):

ذهب أصحاب المذاهب الأربعة وابن حزم إلى أنه يشترط في خطبة الجمعة أن تكون بعد دخول وقت صلاة الجمعة، فإن وقعت أو جزء منها قبله لم تجزئ.

ولكن اختلفوا في أول وقت صلاة الجمعة، والراجح: أنه يبدأ بعد زوال الشمس كوقت الظهر، وبهذا قال الحنفية، والمالكية، والشافعية، والإمام أحمد في رواية عنه، وابن حزم، **واستدلوا**:

بما رواه أنس بن مالك -رضي الله عنه-: (أَنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يُصَلِّي الجُمُعَةَ حِينَ تَمِيلُ الشَّمْسُ) رواه البخاري (٩٠٤).

وبما رواه سلمة بن الأكوع -رضي الله عنه-قال: (كُنَّا نُجَمِّعُ مع رَسولِ اللهِ ﷺ إذَا زَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ نَرْجِعُ نَتَتَبَّعُ الفَيْءَ) أخرجه مسلم، (٨٦٠).

وكل من الحديثين واضح الدلالة.

• (رابعاً: تقديم الخطبة على الصلاة):

ذهب أصحاب المذاهب الأربعة إلى أن تقديم الخطبة على الصلاة شرط من شروط صحتها، وأنها لو أُخّرت عن الصلاة فأنها لا تصح، وقد قال بذلك الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، **وليس في ذلك خلاف**.

ومن أقوى الأدلة على ذلك:

قوله ﷺ: (صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي) أخرجه البخاري (٦٠٠٨)، ومسلم (٦٧٤).

وجه الدلالة: أن ﷺ أمرنا بالصلاة كما كان يصلي، وقد كان ﷺ يخطب قبل الصلاة، فيجب أن نفعل كفعله اقتداءً به، كما أنه لم يقدّم أبداً صلاة الجمعة على الخطبة طيلة حياته.

• (خامساً: القيام للخطيب حال الخطبة):

الراجح: أن قيام الخطيب حال الخطبة شرط مع القدرة عليه، وهذا هو القول الصحيح والمشهور عند الشافعية، وهو رواية عن الإمام أحمد، واختارها بعض أصحابه.

واستدلوا بقول الله تعالى: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا) [الجمعة: ١١].

وجه الدلالة: أن الله تعالى أخبر أن النبي ﷺ كان يخطب قائمًا، وقد قال سبحانه: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [الأحزاب: ٢١]، مع قوله عز وجل: (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [الأعراف: ١٥٨].

وما رواه جابر بن سمرة –رضي الله عنه–قال: (إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ كانَ يَخْطُبُ قَائِمًا، ثُمَّ يَجْلِسُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ قَائِمًا، فمَن نَبَّأَكَ أنَّهُ كانَ يَخْطُبُ جَالِسًا فقَدْ كَذَبَ؛ فقَدْ – وَاللَّهِ– صَلَّيْتُ معهُ أَكْثَرَ مِن أَلْفَيْ صَلَاةٍ) رواه مسلم، (٨٦٢)، قال النووي على قوله: (ألفي صلاة) "المراد الصلوات الخمس لا الجمعة" ا.هـ، ولا شك أن هذا الحديث يدل على مواظبته ﷺ على القيام حال الخطبة.

وإن كانت دلالة هذه الأدلة تبيّن أنها فعلية، ولكنها دالة على المواظبة، ليس من النبي ﷺ فحسب بل ومن خلفائه من بعده، حتى ورد الإنكار الشديد على من قعد، حيث ورد عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أنه دخل المسجد وعبد الرحمن بن أم الحكم يخطب قاعداً، فقال: "انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعداً، وقد قال الله تعالى: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا)" أخرجه مسلم، (٦٨٤).

ولا شك أن إنكار كعب هذا مع هذا الوصف الذميم، وتعليله بخطبته جالساً مع الاستدلال بالآية يدل على ما فهمه الصحابة –رضي الله عنهم – من المواظبة عن النبي ﷺ ومن بعده على وجوب الوقوف.

• (سادساً: الجهر بالخطبة):

الراجح: أنه يشترط جهر الخطيب بالخطبة بحيث يسمعه العدد المعتبر إن لم يكن هناك مانع، وبهذا قال المالكية، وهو الصحيح عند الشافعية، وبه قال الحنابلة.

واستدلوا:

بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ.) [الجمعة: ٩]، **وجه الدلالة**: أن الله تعالى أمر بالسعي إلى ذكره، ويدخل في ذكره الخطبة كما تقدّم، وإنما أمرهم ليستمعوا ويتعظوا ويتذكروا، وهذا لا يحصل إلّا مع الجهر بها، فدل على أن الجهر مأمور به، فهو واجب على الخطيب.

وبقوله ﷺ: (إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَومَ الجُمُعَةِ: أَنْصِتْ، والإِمَامُ يَخْطُبُ، فقَدْ لَغَوْتَ) أخرجه البخاري، (٩٣٤)، ومسلم، (٨٥١) باختلاف يسير.

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ أمر بالإنصات للخطبة، وحرّم السلام حالها، وهذا لا يكون له فائدة إلّا إذا كان الإمام يجهر بها، فاقتضى ذلك وجوب الجهر بالخطبة، ولأن الخطبة واجبة وشرط لصحة الجمعة كما تقدّم، والجهر وسيلة لأدائها وتحقيق المقصود منها، وما لا يتم الواجب إلّا به فهو واجب.

وفي العصر الحديث: تفضّل علينا رب العالمين بنعمة مكبّرات الصوت، والتي يحصل بها المقصود من سماع الخطبة، فللّه الحمد والمنّة.

• (سابعاً: كونها باللغة العربية):

اتفق الفقهاء كما هو واضح من كلامهم على أن الأولى أن تكون الخطبة باللغة العربية، ولكنهم اختلفوا في اشتراط ذلك باستثناء قراءة القرآن فيها عند من يقول بأنها ركن -كما سيأتي-.

والراجح: يشترط أن تكون بالعربية للقادر عليها، إلّا إذا كان السامعون جميعاً لا يعرفون العربية فإنه يخطب بلغتهم، وهذا الوجه الصحيح عند الشافعية، وبه قال بعض الحنابلة.

واستدلوا بعدة أدلة ولكن ليست بتلك القوة، وإنما أقوى دليل لهم في ذلك: أن النبي صلى الله عليه وسلم والسلف والخلف كانوا يخطبون بالعربية، فيجب اتباعهم في ذلك، وحتى هذا الدليل يرد عليه بأن المخاطبين كانوا عرباً.

وإنما الدليل الذي يعتمد عليه في ذلك: قوله عز وجلّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، وإلّا ما فائدة الخطبة باللغة العربية والجميع لا يعرفونها، إذ المقصود: التبيين للناس أمور دينهم بما يعرفونه ويفهمونه، لذا يترجّح القول باشتراط أن تكون خطبة الجمعة باللغة العربية إذا كان المخاطبين أغلبهم عرب، لكن إن كان جميع الحاضرين لا يعرفونها، فيخطب بلغتهم، وهو ما اختاره ابن عثيمين رحمه الله.

• (ثامناً: الموالاة في الخطبة):

معنى الموالاة: المتابعة بين أجزاء الشيء.

وهنا مسألتان:

الأولى: الموالاة بين أجزاء الخطبة.

والراجح: أنها شرط، فإن حصل فصل طويل عادة وجب الاستئناف، وبهذا قال المالكية، وهو القول الصحيح عند الشافعية، والقول الصحيح عند الحنابلة.

والدليل: أن المقصود من الخطبة الوعظ والتذكير واستمالة القلوب، ومع عدم الموالاة لا يتحقق ذلك على الوجه المطلوب لانفصال بعض الكلام عن بعض.

ولأن عدم الموالاة قد يؤدي إلى تعدد الخطب في الجمعة أكثر مما ورد وخاصة إذا تعددت موضوعات الخطبة، وتقدّم أن المشروع فيها خطبتان، أضف لما في عدم الموالاة ما يؤدي إلى السآمة والملل من قِبل السامعين، بل ونفرتهم من سماع الخطبة.

ولكن إن كان الفاصل يسيرًا جاز أن يكمل الخطبة لما روى بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه قال: خطَبنا رسولُ اللهِ ﷺ فأقبلَ الحسنُ والحسينُ -رضي اللهُ عنهما -عليهما قميصانِ أحمرانِ يعثرانِ، ويقومانِ، فنزلَ فأخذهما فصعدَ بهما، ثمَّ قالَ: ((صدقَ اللهُ (إِنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ) [التغابن: ١٥]، رأيتُ هذينِ فلمْ أصبرْ))، ثمَّ أخذَ في الخطبةِ. أخرجه أبو داود (١١٠٩)، والنسائي (١٥٨٥) باختلاف يسير، وسكت عنه أبو داود، وقد قال في رسالته لأهل مكة: كل ما سكت عنه فهو صالح، وقال: الضياء المقدسي في السنن والأحكام (٣٧٥/٢): إسناده على رسم مسلم، وكذا قال النووي في الخلاصة (٨٠٣/٢)، وصححه الوادعي في الصحيح المسند (١٥٤) وغيره.

الثانية: الموالاة بين الخطبة والصلاة.

والراجح: أنها شرط، فإن حصل فصل طويل وجب استئناف الخطبة، وبهذا قال المالكية، وهو القول الجديد للإمام الشافعي، والصحيح عند أصحابه، وهو الصحيح من المذهب عند الحنابلة.

والدليل: أن الخطبة والصلاة في الجمعة شبيهتان بصلاة الجمع، فلم يجز التفريق بينهما، ولأن الخطبة للجمعة فهي تسمى "خطبة الجمعة "، وهذا يتطلب اتصالها بالصلاة وإلّا لم تكن لها.

(أركان خطبة الجمعة)

أركان الخطبة، أي: لزوم الإتيان بها وعدم صحة الخطبة بدونها، وذلك بمعنى: إن لم يأتِ بها الخطيب فالخطبة لا تصح بدونها:

- **(الأول: حمد الله تعالى):**

وقد اختلف الفقهاء في حمد الله تعالى في خطبة الجمعة هل هو ركن، أو لا؟

والراجح: أنه سنة، وبهذا قال الحنفية، والمالكية، وهو ظاهر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، ورجّحه عبد الرحمن السعدي، وبه قال ابن حزم.

واستدلوا: لما رواه جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما–أنه قال: (كَانَتْ خُطْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ يَومَ الجُمُعَةِ يَحْمَدُ اللَّهَ، وَيُثْنِي عليه، ثُمَّ يقولُ علَى إثْرِ ذلكَ، وَقَدْ عَلَا صَوْتُهُ..) أخرجه مسلم، (٨٦٧).

وجه الدلالة: بأن هذا مجرد فعل، والفعل المجرد لا يدل على الوجوب، بل على الاستحباب، كما أن لفظ: (كان...) لا يدل على المداومة، وإن دل عليها فإنها لا تدل على الوجوب، فذلك لا يدل على الركنية وإنما على الاستحباب.

- **(الثاني: الصلاة على النبي ﷺ):**

الراجح: أنها سنة، وبهذا قال الحنفية، والمالكية، وبعض الحنابلة، واختاره ابن سعدي.

واستدلوا:

بأولاً: أن النبي ﷺ لم يذكر الصلاة عليه في خطبته، ولو كانت ركناً أو واجباً لذكره.

ثانياً: أن الأصل عدم الركنية والوجوب، فيعمل به.

- **(الثالث: الموعظة):**

الراجح: أنها ركن، فلا بد من اشتمالها على الموعظة، ولا يتعيّن لفظ الوصية بتقوى الله تعالى بل يقوم مقامه أي وعظ كان، ولا يكفي ذم الدنيا والتحذير من الاغترار بها، وبهذا قال الإمام الشافعي وجمهور أصحابه، وظاهر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، كما اختاره ابن سعدي.

واستدلوا:

أولاً: بما رواه جابر بن سمرة – رضي الله عنه–: (كانَتْ للنبيِّ ﷺ خُطْبَتانِ يَجْلِسُ بيْنَهُما يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَيُذَكِّرُ النّاسَ) رواه مسلم (٨٦٢).

فالشاهد من الحديث قوله: (ويذكِّر الناس).

لكن يناقش هذا الدليل بأن هذا مجرد فعل، والفعل المجرّد لا يدل على الوجوب،

بل على الاستحباب، وأن لفظ: (كان..) لا يدل على المداومة، وإن دل عليها فإنها لا تدل على الوجوب كما تقدّم.

وإنما الصواب من المعقول: أن المقصود من خطبة الجمعة الموعظة، فلا يجوز الإخلال بها، وهذا استدلال بمقصد من المقاصد الشرعية، وللمعلومية: الوعظ لا يختصّ بالترغيب والترهيب، وإنما يشمل كذلك التعليم لأحكام الدين.

ثانياً: واستدلوا على عدم تعيّن لفظ الوصية بتقوى الله تعالى بما يلي:

أن الغرض هو الوعظ والحمل على طاعة الله تعالى فيكفي ما دل على الموعظة طويلاً كان أو قصيراً، كأطيعوا الله وراقبوه، أو يكون مقصد الخطبة: الترغيب في الطاعة وما يقرّب إلى الله تعالى، والترهيب من المعصية، ولا يتعيّن لفظ التقوى.

ثالثاً: واستدلوا على أنه لا يكفي في الوعظ ذم الدنيا والتحذير من الاغترار بها بما يلي: أن ذلك قد يتواصى به منكرو الشرائع والبعث، فلا بد من الحمل على طاعة الله، والمنع من معصيته.

ولأن ما سبق هو منهج النبي ﷺ.

٠ (الرابع: المطلب الأول: قراءة شيء من القرآن في الخطبة):

اتفق أصحاب المذاهب على مشروعيتها كما هو ظاهر من أقوالهم، ولكنهم اختلفوا في اشتراطها.

والراجح: أنها سنة، وبهذا قال الحنفية، والمالكية، والشافعية في وجه عندهم، والإمام أحمد في رواية عنه، وبها أخذ بعض أصحابه، كما اختاره ابن سعدي.

واستدلوا:

بقول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ..) [الجمعة: ٩].

وجه الدلالة: أن الله تعالى أمر بالذكر مطلقاً عن قيد القراءة.

وأما ما رواه جابر بن سمرة – رضي الله عنه–: (كانَتْ للنبيِّ ﷺ خُطْبَتانِ يَجْلِسُ بيْنَهُما يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَيُذَكِّرُ النّاسَ) رواه مسلم (٨٦٢).

وما روته أم هشام بنت حارثة بن النعمان – رضي الله عنها–: (ما حَفِظْتُ ق، إلَّا مِن في رَسولِ اللهِ ﷺ، يَخْطُبُ بهَا كُلَّ جُمُعَةٍ) رواه مسلم، (٨٧٣).

فالرد على ذلك: بأن هذا مجرد فعل، والفعل المجرّد لا يدل على الوجوب، بل على الاستحباب، وأن لفظ: (كان..) لا يدل على المداومة، وإن دل عليها فإنها لا تدل على الوجوب كما تقدّم، لذا لم يرد ما يدل على الركنية، وإنما الوارد هو مجرد الفعل.

- **(المطلب الثاني: أقل مقدار للقراءة):**

اختلف الفقهاء – سواء من قال بالسنية أو الركنية– في أقل مقدار من القرآن يقرأ في خطبة الجمعة.

والراجح: يجزئ ما دون آية إذا استقل بمعنى، ولا يجزئ ما لا يستقل ولو كان آية كاملة، وبهذا قال بعض الحنابلة.

والدليل: بأنهم نظروا إلى المعنى، فما لم يستقل بمعنى لا يحصل به المقصود من القراءة، فلا فائدة منه فلا يجزئ ولو كان آية كاملة، وما استقل بمعنى أجزأ ولو كان دون آية، ولعدم ورود دليل على التحديد.

وقد تقدّم في المطلب السابق ترجيح السنية، فيكون المقصود في هذا الترجيح أقل مقدار للإتيان بالسنة.

- **(المطلب الثالث: قراءة ما فيه سجود تلاوة في الخطبة والسجود له):**

اختلف الفقهاء في حكم قراءة الخطيب في خطبة الجمعة لآية فيها سجود تلاوة، والسجود إذا قرأ.

والراجح: أنه يباح قراءة ما فيه سجود تلاوة في الخطبة، والسجود له، خلاف من قال بالكراهية، وبهذا قال الحنفية، والإمام الشافعي وأصحابه، والحنابلة، وابن حزم.

واستدلوا:

أولاً: عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه– قال: (قرأ رَسولُ اللهِ ﷺ وهو على المِنْبرِ﴿ص﴾ فلَمّا بلَغَ السَّجدةَ نَزَل فسَجَد، وسجد النّاسُ معه..) رواه أبو داود، (١٤١٠) وسكت عنه، وقد قال في رسالته لأهل مكة: كل ما سكت عنه فهو صالح، ورواه غيره، وصححه ابن حبان في صحيحه، (٢٧٦٥)، والبيهقي في السنن الكبرى، (٣١٨/٢)، وابن كثير في تفسير القرآن (٥٣/٧)، وقال: إسناده على شرط الصحيح، وصحّحه غيرهم.

ثانياً: أُثر عن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ – رَضِيَ اللَّهُ عنْه– (أنه قَرَأَ يَومَ الجُمُعَةِ علَى المِنْبَرِ بسُورَةِ النَّحْلِ حتَّى إذَا جَاءَ السَّجْدَةَ نَزَلَ، فَسَجَدَ وسَجَدَ النَّاسُ حتَّى إذَا كَانَتِ الجُمُعَةُ القَابِلَةُ قَرَأَ بهَا، حتَّى إذَا جَاءَ السَّجْدَةَ، قالَ: يا أيُّها النَّاسُ

إنَّا نَمُرُّ بالسُّجُودِ، فمَن سَجَدَ، فقَدْ أصَابَ ومَن لَمْ يَسْجُدْ، فلا إثْمَ عليه ولَمْ يَسْجُدْ عُمَرُ – رَضِيَ اللَّهُ عنْه–) رواه البخاري في صحيحه، (١٠٧٧).

وجه الدلالة: أن عمر رضي الله عنه قرأ السجدة في خطبة الجمعة ونزل فسجد، وفعله هذا كان مع حضور الصحابة – رضي الله عنهم–، ولم ينكر عليه أحد منهم، فدل ذلك على إباحة قراءة ما فيه سجود تلاوة في خطبة الجمعة والسجود لذلك.

ثالثاً: أن سجود التلاوة حال خطبة الجمعة سنة وجد سببها، ولا يطول الفصل بها، فاستُحِبَّ فعلُها كحمد الله – سبحانه وتعالى– إذا عطس، وتشميت العاطس.

فيترجّح إباحتها للخطيب، بمعنى إن شاء لم يفعلها، وإن شاء فعلها، ولكن ينبغي للخطيب أن ينبّه المأمومين إذا أراد السجود، ويتأكّد ذلك إذا كان هناك من لا يراه لبُعد أو حائل حتى لا يحصل تشويش على الناس.

بعد الانتهاء من مبحث الأركان يؤكّد على أن الترجيح:

عند التأمل في الأقوال والأدلة في تلك المسائل يتّضح أن الأظهر من الأقوال فيها – والله أعلم بالصواب – هو القول بأنه ليس لخطبة الجمعة أركان معينة بعينها غير تحصيل مقصودها وهو: الوعظ والتذكير، فتحصل بما يطلق عليه خطبة في العرف؛ لأن المأمور به هو ذكر الله وتذكير الناس، ولم يرد تحديده في الشرع. وأما ما ذكره أصحاب القول بالركنية من الأدلة فهي مجرد فعل، والفعل المجرّد لا يدل على الوجوب، كما أن القول بالركنية يقتضي بطلان الخطبة التي لا تشتمل على الأركان أو أحدها، وبالتالي بطلان صلاة الجمعة بأكملها، لأن الخطبة شرط لها كما تقدم في أول البحث، والقول بالبطلان دون دليل صريح وواضح الدلالة فيه صعوبة بالغة.

ولكن لا يعني عدم اشتراط: الحمد لله، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وقراءة شيء من القرآن؛ ألّا يذكر الخطيب ذلك، بل هي من السنن التي ينبغي للخطيب فعلها، بل لا يتصوّر خطبة جمعة ليس فيها: البدء بالحمد لله، أو ذكر آية أو آيات من القرآن، أو حديث، فيُصلّي الخطيب على النبي صلى الله عليه وسلم عند ذكر حديثه.

وإنما المقصود من ذلك: بيان الحكم بأنها ليست من الأركان، وألّا يبطل أحداً خطبة خطيب إذا غفل عن شيء من ذلك.

(السنن لخطبة الجمعة: أي الأفعال التي قبل الخطبة وما يكون في ثناياها)

نظراً لسنية واستحباب هذه السنن على القول الراجح، وسعة الأمر فيها؛ فيُكتفى بذكر السنة بالتعليل دون ذكر التفصيل، وإنما إشارات توضيحية، (ولا يعني ذلك التهوين من أجر السنة).

فيُسن للخطيب عند الخطبة وأثنائها عددٌ من السنن تتمثّل في التالي:

الأول: التجمّل:

ولا خلاف بين الفقهاء في ذلك، ويعني: الاغتسال، والتطيّب، ولبس أحسن الثياب، وأفضلها البياض إلّا إذا كان لعارض كبرد ونحوه فيلبس ما يناسب الحال.

الثاني: أن تكون على منبر أو موضع عالٍ:

أجمع العلماء على أنه يستحب كون الخطبة على منبر أو موضع عالٍ، ولأنه أبلغ في إعلام الحاضرين والذي يتحقق به مقصود الخطبة، والمفهوم من جملة كلام الفقهاء أن المنبر هو: ما يتخذ على يمين أو يسار المحراب من مرتفع يتكون من درجات ليقوم عليه الخطيب أثناء الخطبة.

الثالث: استقبال الخطيب للناس:

المسألة الأولى: استقبال الناس واستدبار القبلة:

يسن ذلك على القول الراجح، لأنه فعل النبي ﷺ، والفعل المجرّد يدل على السنيّة، واستدلوا على الصحة مع الاستدبار: بأن المقصود هو سماع الخطبة، وهو حاصل مع الاستدبار، كالأذان، فإن من سننه استقبال القبلة، ويجزئ مع استدبارها.

ولكن سنيّة الخطيب في استقبال الناس متأكّدة، لأنه يعظ الناس بخطبته، فكان إقباله عليهم أبلغ في الانتفاع بها، ولأنه ليس فيه مانع معتبر يمنع من ذلك.

المسألة الثانية: أن يقصد تلقاء وجهه فلا يلتفت:

ويسن ذلك على القول الراجح، لأنه فعل النبي ﷺ، ولأنه إذا قصد وجهه عم الحاضرين سماعه، وإذا التفت يميناً قصر عن سماع يسرته، وإذا التفت شمالاً قصر عن سماع يمنته، وسيأتي – إن شاء الله – في مبحث بدعية الالتفات والكلام عليه.

الرابع: استقبال الناس للخطيب:

وهو سنة على الراجح، حيث كان إذا جلس النبي ﷺ على المنبر في غير الجمعة، أو خطب قائماً في الجمعة استدار أصحابه إليه بوجوههم، وهذا إقراراً سكوتي منه عليه الصلاة والسلام لذلك.

ولأن الخطيب يعظ الناس، ولهذا استقبلهم بوجهه وترك استقبال القبلة، فيسن لهم أن يستقبلوه بوجوههم؛ لتظهر فائدة الوعظ، وتعظيم الذِكر، كما أنه من الأدب إقبالهم عليه.

الخامس: السلام على الناس:

المسألة الأولى: السلام إذا دخل المسجد:

اتفق على ذلك الجمهور بأنه يسن للخطيب أن يسلم على من حوله إذا دخل وقبل أن يصعد المنبر.

المسألة الثانية: السلام على الناس إذا صعد المنبر:

يسن ذلك على القول الراجح، لعموم الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة في الحث على إفشاء السلام.

ولأنَّ ذلك رُوي عن النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في سلامه على الناس إذا صعد المنبر، وإنْ كان الحديث المرفوعُ فيه ضَعْف، لكن الأمَّة أجمعتْ على العمل به، واشتهَر بينها أنَّ الخطيب إذا جاء وصعِد المنبر استقبلَ الناس وسلَّم عليهم.

السادس: الجلوس على المنبر حتى يفرغ المؤذن:

يسن ذلك لإجماع الصحابة – رضي الله عنهم –.

السابع: المسألة الأولى: الاعتماد على قوس أو عصا، أو نحوها:

يسن ذلك على القول الراجح، لثبوته من فعل النبي ﷺ، ولأن ذلك أعون للخطيب، وأمكن لروعه، وأهدأ لجوارحه، وخُصّ القوس والعصا لأنهما يستصحبان عادة في زمن النبي ﷺ كما تستصحب العصا عندنا.

المسألة الثانية: الاعتماد على سيف:

الراجح: بأنه لا يُشرع الاعتماد على السيف مطلقاً، لعدم فعل النبي ﷺ لذلك، وأيضاً رداً لمن سنّ ذلك: بأن الدين قام بالوحي، وأما السيف فلمحق أهل الشرك والضلال، ومدينة النبي ﷺ التي كان يخطب فيها إنما فُتحت بالقرآن، ولم تُفتح بالسيف.

المسألة الثالثة: ما يفعل الخطيب بيديه إذا لم يعتمد على شيء؟

الصواب: له أن يمسك يده الشمال بيده اليمين، أو يرسلهما، والدليل: أن الغرض هو الخشوع أثناء الخطبة، وعدم العبث، فما يرى الخطيب أنه يحقق له ذلك من الإمساك أو الإرسال يفعله.

الثامن: رفع الصوت بها زيادة على القدر الواجب:

اتفق الجمهور على السنية، وقد تيسّر ذلك في وقتنا الحاضر بفضل الله تعالى ثم بفضل وجود مكبرات الصوت، فما على الخطيب لتطبيق هذه السنة إلّا الاعتناء بهذه الأجهزة ومراعاة وضعها عند الإلقاء.

التاسع: المسألة الأولى: الجلسة بين الخطبتين:

الراجح: أنها سنة وليست شرطاً، لثبوت ذلك من فعله ﷺ، والفعل المجرّد يدل على السنية، ولأن الغرض من هذه الجلسة الفصل بين الخطبتين والإعلام بالفراغ من الأولى، وذلك لا يوجب كونه شرطاً.

بخلاف ما تقدّم معنا من اشتراط خطبتان لخطبة الجمعة، وإنما الحديث عن الجلسة بين الخطبتين.

المسألة الثانية: مقدار الجلسة بين الخطبتين:

الصواب: بأنها جلسة خفيفة للاستراحة والفصل بين الخطبتين، وأنه لا تقدير لها، بل بحسب اجتهاد الخطيب فيها، ولذلك لم يقدّرها أكثر الفقهاء في كتبهم بل يقتصرون على قولهم بأنها جلسة خفيفة، ولأن تقديرها لم يثبت في الأحاديث الصحيحة.

(السنن في خطبة الجمعة: أي الأفعال التي في صلب الخطبة)

يُسن في خطبة الجمعة عددٌ من السنن تتمثّل في خمس سنن، وسُيذكر بعض تعليلات الفقهاء عليها، علماً بأن أغلب أدلة بعضها في ثنايا البحث، وهي:

الأول: تقصيرها، ويكون قصرها معتدلاً، ولا يُبالغ بحيث يمحقها، وتقصير الخطبة الثانية أكثر من الأولى، قياساً على الإقامة مع الأذان، فكما أن السنة في الأذان أن يكون شفعاً والإقامة وتراً فتكون الإقامة أقصر، فكذلك خطبتا الجمعة، كما يمكن الاستدلال لذلك بالقياس على ركعتي الصلاة، فالسنة أن تكون الثانية أقصر من الأولى.

الثاني: أن تكون فصيحة بليغة مؤثرة مرتّبة لتكون أكثر تأثيرًا وتحقيقًا للمقصود، بالإضافة إلى الترسّل، والبيان، والإعراب، واجتناب الألفاظ الغريبة، وعدم العجلة والتمطيط.

الثالث: قراءة سورة (ق) فيها، لاشتمالها على البعث، والموت، والمواعظ الشديدة، والزواجر الأكيدة، لما ثبت فعل النبي ﷺ لذلك، وتكراره لها، لذا يستحب للخطيب فعل ذلك في بعض الأحيان اقتداء به، وأما قول من قال: بمشروعية قراءتها في كل جمعة استدلالاً بما رواه مسلم، (٨٧٣): (يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس) بأن لفظة: "جمعة" نكرة في سياق الإثبات، وهي لا تفيد العموم، ولكنها أفادت العموم في هذا الحديث بدخول لفظة "كل" عليها، ولكن يظهر أن هذا الحديث هو من العام المخصوص، بدليل ما ثبت عنه ﷺ أنه خطب خطباً كثيرة ليس فيها ذكر سورة (ق).

الرابع: إذا كان الدعاء للمسلمين مسنونًا في غير خطبة الجمعة، ففيها أولى، فهو مسنون في الخطبة الثانية من خطبتي الجمعة، والأولى في آخرها، ويؤيّد السنية بأن الساعة ساعة ترجى فيها إجابة الدعاء، والدعاء للمسلمين من أعظم الأمور وأهمها وأكثرها فائدة للإسلام والمسلمين في هذا الوقت، ويكون الدعاء للمسلمين بالأمور الهامة من نصرة الإسلام والمسلمين، وكبت أعداء الدين، ونحو ذلك.

وللمعلومية حديث (كان يستغفر للمؤمنين والمؤمنات في كل جمعة) لم يصح، لكن لا يمنع ذلك من الدعاء بالمغفرة لما سبق إيراده.

الخامس: الدعاء لولاة أمور المسلمين عامة، وبدون تعيين بأسمائهم ولا المبالغة في أوصافهم في الخطبة الثانية بالصلاح والإعانة على الحق، والقيام بالعدل، والنصر لجيوش الإسلام؛ مستحب، لعموم الأدلة الدالة على استحباب الدعاء، ولكن لا يكن ذلك راتبة في كل خطبة جمعة، لأن ليس فيه دليل مخصوص بعينه في ذلك.

وأما ماورد في ختم الخطبة الثانية بالاستغفار؛ فقد ذكر ذلك جملة من الفقهاء أنه من سنن خطبتي الجمعة أن يختم الثانية بالاستغفار كقوله: (استغفر الله لي ولكم)، ولكن الأدلة التي استدلوا بها ضعيفة، بل كره الجمهور ذلك، ولذا يترجّح بعدم سنية ذلك، ومن فعل ذلك من الخطباء فلا يداوم عليه في كل خطبة، وقد أصبح الغالب على ذلك في هذه الأزمنة الحاضرة أنه في نهاية الخطبة الأولى، فيرد على من فعل ذلك بما سبق.

حكم افتتاح خطبة الجمعة بخطبة الحاجة:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: علَّمنا رسول ﷺ خطبةَ الحاجةِ في النكاحِ وغيرِه: (الحمدُ للهِ نستعينُه ونستغفرُه ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، ثم يقرأُ ثلاثَ آياتٍ: (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: ١٠٢]، (يا أَيُّها النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيرًا وَنِساءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ والْأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء: ١]، (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) [الأحزاب: ٧٠].

رواه النسائي (١٤٠٤) وفيه أبو عبيدة لم يسمع من أبيه شيئاً، وأخرجه أبو داود (٢١١٨) باختلاف يسير، والترمذي (١١٠٥)، وابن ماجه (١٨٩٢) مطولاً باختلاف يسير، وقال البيهقي في السنن الكبرى، (١٤٦/٧): غير مرفوع، وقال شعيب الأرنؤوط: في تخريج المسند، (٣٧٢١) روي بإسنادين: إسناده من طريق أبي عبيدة – وهو ابن عبد الله بن مَسعودٍ–، ضعيف، ومن طريق أبي الأحوص –وهو عوف بن مالك بن نضلة الجشمي–، صحيح على شرط مسلم، أخرجه أبو داود (٢١١٨)، والنسائي (١٤٠٤)، وابن ماجه (١٨٩٢)، وأحمد (٣٧٢١) واللفظ له.

قال شعبة بن الحجّاج – رحمه الله–: "هذه القصة في خطبة النكاح وفي كل حاجة"، قال صاحب عون المعبود: "وقد استدل بحديث ابن مسعود رضي الله عنه هذا على مشروعية الخطبة عند النكاح وعند كل حاجة"، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولهذا استحبت وفعلت في مخاطبة الناس بالعلم عموماً وخصوصاً من تعليم الكتاب والسنة والفقه في ذلك، وموعظة الناس ومجادلتهم: أن يفتتح بهذه الخطبة الشرعية".

فظاهر ما مضى ذكره يدلّ على أنه لا بأس بافتتاح خطبة الجمعة بخطبة الحاجة في بعضِ الأحيان، نعم لم يثبت عن النبي ﷺ أنه كان يفتتح بها خطبة الجمعة، ولكن هذا لا يمنع من الإتيان بها، لأنه ليس هناك افتتاح بعينه لا تصح الخطبة إلّا به، بل بأي كيفية حمد الخطيب اللهَ وأثنى عليه في افتتاح خطبة الجمعة فقد وافق هدي النبي ﷺ.

وللفائدة قد ورد عنه ﷺ في افتتاح خطبة الجمعة نص ثابت كما في صحيح مسلم، (٨٦٧) عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما– قال: كان رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ في خطبتِه يومَ الجمعةِ: (أما بعدُ، فإن خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهديِ هديُ محمدٍ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ).

على أن لفظ: (كان) لا تقتضي التكرار لا لغة ولا عرفًا، قال النووي في شرح مسلم: إنه المختار الذي عليه أكثر المحققين من الأصوليين.

فينبغي للخطيب أن يحرص على ما ثبت عنه ﷺ فهو أرجح من خطبة الحاجة في خطبة الجمعة، وإن كان كما ذُكر بأن الأصوب أن: (كان) لا تقتضي المداومة، ولكن يعمل بما صدر عنه ﷺ في أول الخطبة أحياناً، والله أعلم وأحكم.

(مسائل قد تعتري الخطيب)

إذا أغمي على الخطيب أثناء الخطبة:

فإن وضوءه ينتقض يسيراً كان الإغماء أو كثيراً، وذلك بالإجماع كما حكاه ابن المنذر بقوله: "أجمع العلماء على وجوب الوضوء على المغمى عليه؛ لأن حسّه أبعد من حس النائم بدليل أنه لا ينتبه بالانباه".

أكل الخطيب وشربه حال الخطبة:

تعددّت أقوال الفقهاء في ذلك، والأقرب – والله أعلم–: جواز الشرب عند العطش، وأما الأكل فلا يناسب مقام هيبة الخطبة، كما أنه لا ينبغي أن يخطب وهو جائع جداً وباستطاعته أن يأكل ما يسد رمقه قبل الخطبة، وللمعلومية شرب الماء يخفف كثيراً من الجوع، والخطبة وقتها ليس بالطويل الذي يمنعه من تناول الأكل بعد أداء الصلاة.

حكم تبسّم أو ضحك الخطيب:

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه–: أنَّ رَجُلًا جاءَ إلى النبيِّ – يَومَ الجُمُعَةِ، وهو يَخْطُبُ بالمَدِينَةِ، فَقالَ: قَحَطَ المَطَرُ، فاسْتَسْقِ رَبَّكَ. فَنَظَرَ إلى السَّماءِ وما نَرى مِن سَحابٍ، فاسْتَسْقى، فَنَشَأَ السَّحابُ بَعْضُهُ إلى بَعْضٍ، ثُمَّ مُطِرُوا حتّى سالَتْ مَثاعِبُ المَدِينَةِ، فَما زالَتْ إلى الجُمُعَةِ المُقْبِلَةِ ما تُقْلِعُ، ثُمَّ قامَ ذلكَ الرَّجُلُ أوْ غَيْرُهُ، والنبيُّ ﷺ يَخْطُبُ، فَقالَ: غَرِقْنا، فادْعُ رَبَّكَ يَحْبِسْها عَنّا، **فَضَحِكَ** ثُمَّ قالَ: (اللَّهُمَّ حَوالَيْنا ولا عَلَيْنا) مَرَّتَيْنِ أوْ ثَلاثًا، فَجَعَلَ السَّحابُ يَتَصَدَّعُ عَنِ المَدِينَةِ يَمِينًا وشِمالًا، يُمْطَرُ ما حَوالَيْنا ولا يُمْطِرُ منها شيءٌ، يُرِيهِمُ اللَّهُ كَرامَةَ نَبِيِّهِ ﷺ وإجابَةَ دَعْوَتِهِ. أخرجه البخاري (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧).

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله–: "وفيه جواز تبسّم الخطيب على المنبر تعجباً من أحوال الناس".

• (الجمع بين النهي عن تشبيك الأصابع في المسجد وتشبيك الخطيب يديه للتمثيل):

قد يحتاج الخطيب في خطبته إلى تحريك يديه للتمثيل اقتداء بالنبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي موسى – رضي الله عنه– عن النبي ﷺ أنه قال: (إنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا). وشَبَّكَ

أصَابِعَهُ، أخرجه البخاري، واللفظ له (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥)، ولكن قد يُشكل على هذا ما جاء من النهي عن تشبيك الأصابع في المسجد، **فالجواب عن هذا الإشكال على وجوه:**

الوجه الأول: أن أحاديث النهي لا تصح بل هي ضعيفة، فقد قال ابن بطال – رحمه الله–: هي مراسيل ومسندة من طرق غير ثابتة، وضعّفها كذلك الحافظ ابن حجر – رحمه الله–.

الوجه الثاني: قد ثبت في الصحيحين خبر ذي اليدين أنه ﷺ شبّك أصابعه في المسجد، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: صَلَّى بنَا رَسولُ اللَّهِ ﷺ إحْدَى صَلَاتَيِ العَشِيِّ، فَصَلَّى بنَا رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَقَامَ إلى خَشَبَةٍ مَعْرُوضَةٍ في المَسْجِدِ، فَاتَّكَأَ عَلَيْهَا كَأنَّهُ غَضْبَانُ، ووَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى علَى اليُسْرَى، وشَبَّكَ بيْنَ أصَابِعِهِ... الحديث أخرجه البخاري (٤٨٢)، ومسلم (٥٧٣)، وذلك يفيد عدم التحريم، ولا يمنع الكراهة لكونه فعله نادر.

الوجه الثالث: أنه ليس بين الأحاديث تعارض –على فرض صحة أحاديث النهي عن التشبيك–، إذ المنهي عنه هو فعله على وجه العبث، والذي في الحديث إنما هو لمقصود التمثيل وتصوير المعنى في النفس بصورة الحسّ، ويجاب عن حديث ذي اليدين بأن تشبيكه إنما وقع بعد انقضاء الصلاة في ظنه، فهو في حكم المنصرف من الصلاة.

هل يجوز أن يتولّى الصلاة من لم يتولَّ الخطبة؟

السنة أن يتولّى الصلاة من يتولّى الخطبة، لأن النبي ﷺ كان يتولاّهما بنفسه، وكذلك خلفاؤه رضي الله عنهم من بعده، لكن من ناحية الجواز من عدمه فيجوز أن يتولّى الصلاة غير من تولّى الخطبة، وهو قول جمهور أهل العلم من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

(مسائل لا تشرع للخطيب)

اختتام الخطبة الثانية بقول: والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

ورد بعض الأدلة في ذلك ولكن فيها ضعف، ولم يقل ذلك من أهل العلم، والله أعلم.

(حكم التغنّي بالآيات القرآنية في الخطبة):

ما يفعله بعض الخطباء حين استشهادهم في خطبهم ببعض الآيات حيث يقومون بالتغنّي بها ولو كانت آيتين فأقل، فهل لهذا الفعل أصل من سنة النبي ﷺ أو فعل الصحابة رضوان الله عليهم أم لا؟

بحث من أهل العلم ذلك –كما فعل الشيخ الدكتور سعود الشريم وفقه الله–، فلم يجد ما يدل على أن هذا من سنة النبي ﷺ ولا من فعل الصحابة رضوان الله عليهم، بل قد وجد أحاديث كثيرة يستشهد فيها النبي ﷺ بآية من القرآن ولم يأت فيها ما يدل على أنه كان يتغنّى بها، كما جاء عن الشيخين في صحيحيهما عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه– لَمّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام ٨٢] شَقَّ ذلكَ على أصْحابِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، وقالوا: أيُّنا لَمْ يَلْبِسْ إيمانَهُ بظُلْمٍ؟ فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: (إنَّه ليسَ بذاكَ، ألا تَسْمَعُ إلى قَوْلِ لُقْمانَ لِابْنِهِ: ﴿إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾) [لقمان: ١٣] أخرجه البخاري (٤٧٧٦) ومسلم (١٢٤) باختلاف يسير.

فأنت ترى في هذا الحديث أنه لم يذكر فيه أن النبي ﷺ تغنّى بهذه الآية ولا ابن مسعود كذلك، ومثل هذا كثير في السنة ولو فعله ﷺ لنُقل إلينا.

بل إنه قد جاءت أحاديث تدل على أنه ﷺ كان يقرأ شيئاً من القرآن في خطبته، فقد ثبت أنه ﷺ قرأ على المنبر قول الله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ [الزخرف٧٧]. أخرجه البخاري (٣٢٣٠)، ومسلم (٨٧١) باختلاف يسير، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قرأ سورة (ق) على المنبر، كما مر معنا سابقاً.

ومع ذلك فإن كل من رووا هذه الأحاديث لم يذكروا أن النبي ﷺ تغنّى بتلك الآيات التي قرأها على المنبر، وإن كانت سورة (ق) قرأها كاملة فيحتمل أنه تغنّى بها، ومع هذا لم ينقل إلينا مما يؤكّد ذلك.

وهذا خلاف سنة النبي ﷺ المعروفة عنه بالاستقراء سواء كانت في أثناء الخطبة أو في أثناء حديثه للصحابة رضي الله عنهم، ولا يعلم بعد التتبع ما يدل على أنه ﷺ كان يتغنّى بالآية الواحدة أو الآيتين في الاستشهاد، والعلم عند الله تعالى.

تنبـــيـه:

قد يقول قائل: إن الله أمر نبيه ﷺ بقوله ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل٤] ولم يقيّد ذلك بأكثر من آيتين أو نحوهما؟

فالجواب: أن يقال: هناك فرق بين الترتيل والتغنّي، فلا بأس للخطيب إذا استشهد بآية أو آيتين أن يرتّل، لكنه لا يتغنّى؛ لأن هناك فرقاً بينهما، وهو أن الترتيل كما قال ابن الأثير – رحمه الله–: "ترتيل القراءة: التأني فيها والتمهّل وتبيين الحروف والحركات"، وقال ابن كثير عن قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ أي: "اقرأه على تمهّل".

وأما التغنّي فقد جاء ما يدل عليه في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: (ما أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ كإِذَنِهِ لنبيٍّ يتغنّى بالقرآنِ) أخرجه البخاري (٥٠٢٣)، ومسلم (٧٩٢)، قال الشافعي رحمه الله: "معناه تحسين القراءة وترقيقها".

وبهذا يتضح الفرق بين التغنّي والترتيل، وأن التأني لا بأس به في الخطب بخلاف التغنّي والذي لم أقف على ما يدل عليه من فعله ﷺ، والله أعلم.

فائدة:

قال الشيخ بكر أبو زيد – رحمه الله–: "مما أحدثه الوعاظ، وبعض الخطباء في عصرنا، مغايرة الصوت عند تلاوة الآيات من القرآن لنسق صوته في وعظه أو الخطابة، وهذا لم يعرف عن السالفين، ولا الأئمة المتبوعين، ولا تجده لدى أجلّاء العلماء في عصرنا، بل يتنكبونه، وكثير من السامعين لا يرتضونه، والأمزجة مختلفة، ولا عبرة بالفاسد منها، كما أنه لا عبرة بالمخالف لطريقة صدر هذه الأمة وسلفها، والله أعلم".

(حكم الاستشهاد بالحديث الضعيف):

أرجح الأقوال هو قول المانعين من قبول الحديث الضعيف مطلقاً، لا في الأحكام الشرعية ولا في فضائل الأعمال؛ لأمور منها:

١. اتفاق علماء الحديث على تسمية الحديث الضعيف بالمردود.

٢. أن الضعيف لا يفيد إلّا الظن المرجوح، والظن لا يغني من الحق شيئاً.

٣. أن جواز الاحتجاج بالحديث الضعيف يترتب عليه ترك الأحاديث الصحيحة والزهد فيها.

٤. قد تكون الأحاديث الضعيفة سبباً في نشوء البدع من خلال تشريع ما لم يشرعه

الله، أو يشرعه رسوله ﷺ.

٥. وأما من أجاز ذلك، فإنه يجاب عن أقوالهم بما يأتي:

أولاً: أن ما نُقل عن الإمام أحمد وابن مهدي وابن المبارك رحمهم الله في قولهم: إذا روينا في الحلال والحرام شدّدنا، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا.

قد أجاب عنه العلامة أحمد شاكر – رحمه الله– في الباعث الحثيث، حيث قال: "فإنما يريدون فيما أرجح، – والله أعلم– أن التساهل إنما هو في الأخذ بالحديث الحسن الذي لم يصل إلى درجة الصحة، فإن الاصطلاح في التفرقة بين الصحيح والحسن لم يكن في عصرهم أمراً واضحاً، بل كان أكثر المتقدمين لا يصف الحديث إلّا بالصحة أو بالضعف فقط".

قال الشيخ سعود الشريم – وفقه الله–: ولعل مراد العلامة أحمد شاكر وغيره بالحسن: الحسن لغيره، وأما الحسن لذاته فهو حجّة، كما قال الحافظ العراقي في ألفيته:

وهو بأقسام الصحيح ملحق *** حجيّة وإن يكن لا يلحق

ثانياً: أن الشروط التي ذكرها الحافظ ابن حجر يجاب عنها كالتالي:

أما الشرط الأول: وهو أن يكون الضعف غير شديد:

فإن معرفة حال الحديث وكونه شديد الضعيف من عدمه مما يشق الوقوف عليه عند جماهير الناس، وأما أهل العلم بالحديث فعندهم في الصحيح غنية عن الضعيف.

وأما الشرط الثاني: وهو أن يكون الحديث مندرجاً تحت أصل عام:

فهذا ردٌّ على أصحابه، لأننا لو قلنا به؛ لظهر أن العمل في الواقع ليس بهذا الحديث الضعيف، وإنما هو بالأصل العام الذي اندرج تحته الحديث الضعيف، وأن العمل به وارد سواء وجد الحديث الضعيف أم لا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله–: "ولا يجوز أن يعتمدَ في الشريعة على الأحاديث الضعيفة التي ليست صحيحة ولا حسنة، لكن أحمد بن حنبل – رحمه الله– وغيره من العلماء جوّزوا أن يروى في فضائل الأعمال ما لم يعلم أنه ثابت، إذا لم يعلم أنه كذب، وذلك أن العمل إذا عُلم أنه مشروع بدليل شرعي، وروي في فضله حديث لا يعلم أنه كذب، جاز أن يكون الثواب حقاً، ولم يقل أحد من الأئمة: إنه يجوز أن يجعل الشيء واجباً أو مستحباً بحديث ضعيف، ومن قال هذا فقد خالف الإجماع".

وأما الشرط الثالث: ألّا يعتقد عند العمل به ثبوته، لئلا ينسب إلى النبي ﷺ ما لم يقله:

فإنه يرد على نفسه، إذ ما الفائدة من حديث لا تعتقد عند العمل به ثبوته عن النبي ﷺ لئلا ينسب إليه ما لم يقله، والواقع أنه إذا لم نعتقد ثبوته عن النبي ﷺ فهو وكلام البشر سواء.

ولذلك فإن حاصل الأمر أنه لا يجوز العمل بالحديث الضعيف عند أئمة المحققين:

كابن معين، والبخاري، ومسلم، وابن العربي، وابن حزم، وابن رجب، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وغيرهم.

(صلاة الخطيب تحية المسجد بعد دخوله وقبل صعود المنبر):

وهذا قد يقع من بعض الخطباء، بينما السنّة في حقه أن يصعد المنبر حال دخوله، ولا تشرع له تحية المسجد، إذ لا يقاس الخطيب في ذلك على المصلين، وهذا قول الجمهور من الفقهاء، مستدلين بأن ذلك هو المنقول عن فعل رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين – رضي الله عنهم–، ومن بعدهم.

وذلك لأن من السنة أن يأتي الخطيب المنبر بعد دخول الوقت، فقد نقل النووي – رحمه الله– عن المتولي من الشافعية قوله: "يستحب للخطيب ألّا يحضر للجمعة إلّا بعد دخوله الوقت، بحيث يشرع فيها أول وصوله المنبر؛ لأن هذا هو المنقول عن رسول ﷺ، وإذا وصل المنبر صعده ولا يصلي تحية المسجد، وتسقط هنا التحية بسبب الاشتغال بالخطبة كما تسقط في حق الحاج إذا دخل المسجد". – يعني المسجد الحرام ليطوف–.

• (دعاء الخطيب عند صعود المنبر وقبل جلوسه حال الأذان):

من الأمور التي لا تشرع قيام الخطيب بالدعاء عند صعود المنبر وقبل جلوسه للأذان، بل هي من البدع المحدثة التي تفعل في بعض البلدان، وممن ذكرها من البدع: الشافعية والحنابلة كما قال به شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

• (قراءة الخطيب عند صعوده المنبر):

آية: (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ) [سورة الأحزاب: ٥٦]، وحديث النبي ﷺ: (إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَومَ الجُمُعَةِ: أَنْصِتْ، والإِمَامُ يَخْطُبُ، فقَدْ لَغَوْتَ) أخرجه البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١) باختلاف يسير، ذكر بدعية ذلك: ابن نجيم الحنفي، وابن عابدين، واللجنة الدائمة للإفتاء.

• (قول الخطيب: ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة):

ذكر خطأ ذلك الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ بكر أبو زيد.

ويظهر خطأ ذلك – والله أعلم– من إحدى جهتين: بأن خطباء الصحابة والسلف الصالح لم ينقل أنهم كانوا يحثّون الناس على ذلك أثناء الدعاء، والجهة الأخرى: التزام ذلك في كل خطبة، وإنما لو ذكر الخطيب هذا القول من باب التنبيه على أهمية اليقين في الدعاء ولم يكن مداوماً عليه؛ فلا حرج فيه.

• (عدم مشروعية اعتماد الخطيب على السيف):

وذلك لم يثبت عن النبي ﷺ، وعلى قول من قال بجوازه من الفقهاء فإنه لا يشرع الدق به على المنبر، وكذلك الدق بالعصا، بل قالوا: إنه بدعة، كما ذكره الإمام النووي – رحمه الله– وغيره، والعبادات توقيفية، وبناء عليه يستدل لهم بعموم حديث عائشة – رضي الله عنها– المشهور في قوله ﷺ: (مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنا هذا ما ليسَ منه فَهو رَدٌّ) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم، (١٧١٨).

• (إشارة الخطيب باليد أثناء الخطبة):

قد يتحمّس الخطيب أثناء إلقاء الخطبة، ويدفعه مضمون الكلام إلى الانفعال، فيدفعه ذلك إلى الإشارة باليد تعبيراً عما يتكلم عنه، وقد ذكر بعض الفقهاء أن ذلك غير مشروع، وإنما المشروع الإشارة بالإصبع بل صرّح بعض أهل العلم بأنه – أي رفع اليد– بدعة، وهذا إن كان بقصد.

وذلك لحديث عمارة بن رويبة – رضي الله عنه–، أنه رَأَى بشْرَ بنَ مَرْوَانَ علَى المِنْبَرِ رَافِعًا يَدَيْهِ، فَقالَ: قَبَّحَ اللَّهُ هَاتَيْنِ اليَدَيْنِ! لقَدْ رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ ما يَزِيدُ علَى أَنْ يَقُولَ بيَدِهِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بإِصْبَعِهِ المُسَبِّحَةِ. [وفي رواية]: رَأَيْتُ بشْرَ بنَ مَرْوَانَ يَومَ جُمُعَةٍ يَرْفَعُ يَدَيْهِ، فَقالَ عُمَارَةُ بنُ رُؤَيْبَةَ... فَذَكَرَ نَحْوَهُ. رواه مسلم، (٨٧٤)، وفيه أيضا مشروعية الإشارة بالإصبع عند ذكر الله، وأشار إلى ذلك ابن القيم -رحمه الله – حيث قال في بيان هديه ﷺ في خطبة الجمعة: "وكان يشير بأصبعه السبابة في خطبته عند ذكر الله تعالى..".

• (التفات الخطيب يميناً وشمالاً أثناء الخطبة كما يدخل في ذلك: الالتفات يميناً وشمالاً في الخطبة عند الصلاة على النبي ﷺ أو في غيرها):

تقدّم في الكلام على السنن: بأن السنة في حق الخطيب أن يقصد تلقاء وجهه أثناء الخطبة، وقد نص بعض الفقهاء على أن الالتفات يمينًا وشمالاً في حقه غير مشروع، بل عدّه بعضهم من البدع.

وخاصة ما يفعله بعض الخطباء عند الصلاة على النبي ﷺ، قال النووي – رحمه الله–: ".. ولا يفعل ما يفعله بعض الخطباء في هذه الأزمان من الالتفات يمينا وشمالاً في الصلاة على النبي ﷺ ولا غيرها، فإنه باطل لا أصل له، واتفق العلماء على كراهة هذا الالتفات، وهو معدود من البدع المنكرة" ا.هـ، والظاهر من الكلام أن قصده بالكراهة كراهة التحريم، ودليل ذلك: أن هذا خلاف فعل النبي ﷺ حيث كان يقصد تلقاء وجهه إذا قام في الخطبة، وهذا إذا قصد الالتفات ولم يكن هناك حاجة، أما إذا فعله بدون قصد، أو كان هناك حاجة فلا بأس كما تقدم في الإشارة باليد.

كما أن الالتفات يميناً وشمالاً في الخطبة عند الصلاة على النبي ﷺ أو في غيرها:

قد قاله: الماوردي، وابن رجب، وابن عابدين – رحمهم الله–، حيث قالوا: هو معدود من البدع المنكرة.

• (رفع اليدين حال الدعاء في الخطبة):

تقدّم الكلام على الدعاء في السنن في خطبة الجمعة، وأن أقل الأقوال فيه: السنية، وهو ما ظهر رجحانه، وقد اختلف الفقهاء في حكم رفع اليدين أثناء هذا الدعاء.

والراجح: أنه مكروه في غير دعاء الاستسقاء، والمشروع الإشارة بالإصبع، وهذا هو الصحيح من الوجهين عند الحنابلة، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– حيث جاء في الاختيارات: "ويكره للإمام رفع يديه حال الدعاء في الخطبة، وهو أصح الوجهين لأصحابنا".

واستدلوا على الكراهة في غير دعاء الاستسقاء ومشروعية الإشارة بالإصبع بما رواه مسلم في حديث عمارة بن رويبة – رضي الله عنه–، –السابق– أنه رَأَى بِشْرَ بنَ مَرْوَانَ علَى المِنْبَرِ رَافِعًا يَدَيْهِ، فَقالَ: قَبَّحَ اللَّهُ هَاتَيْنِ اليَدَيْنِ! لَقَدْ رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ ما يَزِيدُ علَى أَنْ يَقُولَ بيَدِهِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بإِصْبَعِهِ المُسَبِّحَةِ.

وقال ابن القيم – رحمه الله – عن الإشارة بالإصبع: "كان يشير بإصبعه السبابة في خطبته عند ذكر الله تعالى ودعائه"، واستدلوا على عدم الكراهة في دعاء الاستسقاء بما يلي: ما رواه أنس بن مالك – رضي الله عنه– قال: (أصابَ النَّاسَ سَنةٌ علَى عَهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فبَينا رسولُ ﷺ يخطُبُ علَى المنبَرِ يومَ الجمُعةِ فقامَ أعرابيٌّ، فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ هلَكَ المالُ وجاعَ العيالُ فادعُ اللَّهَ لَنا فرفعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَيهِ...الحديث) أخرجه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧) باختلاف يسير، وهذا واضح الدلالة.

(القنوت للنوازل في الجمعة):

قال ابن المنذر – رحمه الله-: "اختلف أهل العلم في القنوت في الجمعة، فكرهت طائفة القنوت في الجمعة، وممن كان لا يقنت في صلاة الجمعة: علي بن أبي طالب، والمغيرة بن شعبة، والنعمان بن بشير، وبه قال عطاء، والزهري، وقتادة، ومالك، وسفيان الثوري، والشافعي، وإسحاق، وقال أحمد: بنو أمية كانت تقنت، وروي عن محمد بن علي، قال: القنوت في الفجر، والجمعة، والعيدين، وكل صلاة يجهر فيها بالقراءة، قال ابن المنذر: بالقول الأول أقول" ا.هـ.

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ما حكم القنوت في صلاة الجمعة؟

فأجاب: "يقول العلماء: إن الإمام لا يقنُت في صلاة الجمعة؛ لأن الخطبة فيها دعاء للمؤمنين، فيُدعى لمن يُراد أن يُقْنَت لهم في أثناء الخطبة، هكذا قال أهل العلم".

فقيل له: وإن قنت؟

فأجاب: "ما دام أن العلماء قالوا: لا يقنت، فعليه أن يترك".

فقيل له: وهل هو جائز؟

فأجاب: "لا بأس؛ لأنه حتى لو قنت فإنه لا يعتبر عاصياً؛ لكن الأحسن أن يدعو لمن أراد القنوت لهم في أثناء الخطبة" ا.هـ.

• (قول الخطيب: "من يطع الله ورسوله، فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى"):

بالتشريك بين ضمير الله عز وجل وضمير رسوله ﷺ، ذكر ذلك الشافعي – رحمه الله –وجعله من مكروهات الكلام في الخطبة، وذلك استناداً لما رواه مسلم في صحيحه (٨٧٠) عن عدي بن حاتم الطائي – رضي الله عنه-: أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقالَ: مَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسولَهُ، فقَدْ رَشَدَ، وَمَن يَعْصِهِما، فقَدْ غَوى، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: (بئْسَ الخَطِيبُ أَنْتَ! قُلْ: وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسولَهُ). [وفي رواية]: (فقَدْ غَوِيَ).

• (كلام الخطيب أثناء الخطبة فيما لا يعنيه ولا يعني الناس، أو بما يقبح من الكلام):

فقد كرهه الشافعي كذلك، وقبل ذلك هو خلاف الشرع في نفع الناس، أو الوقوع في الإثم بما يقبح من الكلام.

• (أمر الخطيب المأمومين بالصلاة على النبي ﷺ حال الخطبة):

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله–: "ورفع الصوت قدّام الخطيب مكروه أو محرم اتفاقاً، ولا يرفع المؤذن ولا غيره صوته بصلاة ولا غيرها" ا.هـ.

سئل الشيخ ابن باز – رحمه الله–: بعض الأئمة في خطبة الجمعة وأثناء الخطبة يقول: سمّعونا الصلاة على النبي بين الفينة والأخرى، وأكثر من خمس أو ست مرات في الخطبة الواحدة، ويقول ذلك باللهجة العامية، فهل هذا جائز؟

فأجاب: "هذا غير مشروع، هذا ليس بمشروع، لا يقول: سمّعونا، بل الواجب عليهم الإنصات في الخطبة، الواجب على الجماعة الإنصات للخطيب حتى يستفيدوا من خطبته، وإذا صلّى على النبي ﷺ بينه وبين نفسه عند سماع ذكره ﷺ، هذا سنة لا يرفع صوته، بينه وبينه نفسه حتى لا يشوش على غيره".

(الترنم والتمطيط أثناء الخطبة):

كره ذلك جماعة من أهل العلم كالشافعي، وتبعه في ذلك: الشيرازي، والبغوي، والنووي، وابن قدامة، وابن الجوزي – رحمهم الله–، كما كره ذلك غيرهم من أهل العلم.

(مسائل مشتركة بين الخطيب والحاضرين)

وإن كان منها لا يهم الخطيب مباشرة وإنما يهم الحاضرين، إلّا أن ذلك ممّا ينبغي للخطيب فقهه حتى يرشد به من وقع في ذلك من الحاضرين.

• (حكم كلام الخطيب في خطبة الجمعة بغير الخطبة):

الراجح: أن ذلك لا يجوز إلّا لمصلحة، فيباح، وبهذا قال المالكية، وبعض الشافعية، وهو الصحيح من المذهب عند الحنابلة، وعليه أكثرهم.

واستدلوا: بما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما– قال: جَاءَ رَجُلٌ والنبيُّ ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ يَومَ الجُمُعَةِ، فَقالَ: (أَصَلَّيْتَ يا فُلَانُ؟) قالَ: لَا، قالَ: (قُمْ فَارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ) أخرجه البخاري (٩٣٠)، ومسلم (٨٧٥) باختلاف يسير.

• (حكم كلام الحاضر للخطبة إذا كان يسمعها):

الراجح: يحرم الكلام، ويجب الإنصات، وتباح مخاطبة الإمام لحاجة، وبهذا قال الحنفية والمالكية وهو القول القديم للإمام الشافعي وهو الصحيح من المذهب عند الحنابلة، وبه قال ابن حزم.

واستدلوا على حرمة الكلام ووجوب الإنصات: بقوله ﷺ: (إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَومَ الجُمُعَةِ: أَنْصِتْ، والإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوْتَ) أخرجه البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١) باختلاف يسير.

واستدلوا على إباحة مخاطبة الإمام لحاجة: لما رواه أنس بن مالك – رضي الله عنه–قال: (أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ علَى عَهْدِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فَبيْنَا رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ علَى المِنْبَرِ يَومَ الجُمُعَةِ قَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، هَلَكَ المَالُ، وجَاعَ العِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا أنْ يَسْقِيَنَا، قالَ: فَرَفَعَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ وما في السَّمَاءِ قَزَعَةٌ، قالَ: فَثَارَ سَحَابٌ أمْثَالُ الجِبَالِ..) الحديث أخرجه البخاري (١٠٣٣)، ومسلم (٨٩٧).

• (حكم كلام الحاضر للخطبة إذا كان لا يسمعها):

الراجح: يحرم عليه الكلام، وبهذا قال بعض الحنفية، وبه قال المالكية، وهو قول للشافعية، والمذهب عند الحنابلة وعليه أكثرهم، وبه قال ابن حزم.

واستدلوا: بعموم الأدلة الدالة على تحريم الكلام في خطبة الجمعة، ومن أبرزها: ما ثبت في الصحيحين، في قوله ﷺ: (إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَومَ الجُمُعَةِ: أَنْصِتْ، والإِمَامُ يَخْطُبُ، فقَدْ لَغَوْتَ) وتقدّم تخريجه.

ومن المعقول: أن المأمور به في الخطبة شيئان الاستماع والإنصات، فمن قرب من الإمام فقد قدر عليهما، ومن بعد عنه فقد قدر على أحدهما وهو الإنصات، فيجب عليه أن يأتي بما قدر عليه.

ولأنه يؤدي إلى التشويش، وقد يجر إلى كلام مكروه أو محرّم في المسجد، كما قد يحصل معه إهانة لمقام الخطبة، ويُجرّئ السفهاء على ابتذالها.

• (حكم رد السلام، وتشميت العاطس أثناء الخطبة من الحضور):

الراجح: أنه يحرُم، وبهذا قال أكثر الحنفية، وبه قال المالكية، وهو الوجه الصحيح عند الشافعية، ورُوي عن الإمام أحمد.

واستدلوا: بعموم الأدلة الدالة على تحريم الكلام في خطبة الجمعة، ومن أبرزها: ما ثبت في الصحيحين، في قوله ﷺ: (إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَومَ الجُمُعَةِ: أَنْصِتْ، والإِمَامُ يَخْطُبُ، فقَدْ لَغَوْتَ) وتقدّم تخريجه.

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ سمّى الأمر بالمعروف حال الخطبة لغواً، مع أنه أمر مطلوب شرعاً، وفيه فائدة متعدية للآخرين هي منع التشويش عليهم، فكذلك رد السلام وتشميت العاطس، بل هو أولى.

ومن المعقول: أن تشميت العاطس يترتب عليه ترك الاستماع المفروض والإنصات، والتشميت ليس بفرض، فلا يجوز ترك الفرض لأجله، وكذا رد السلام في هذه الحالة ليس بفرض، كما أن ذلكم مما يمكن تحصيله في كل حالة، أما سماع الخطبة فلا يتصور إلّا في هذه الحالة.

واستدلوا على تحريمهما على من لم يسمع: أن وجوب الإنصات شامل لهم، فيكون المنع من رد السلام وتشميت العاطس ثابتاً في حقهم، كالسامعين.

• (حكم الصلاة على النبي ﷺ إذا ذكره الخطيب والجهر بها):

الراجح: أنها تجوز الصلاة عليه سرًا، وهذا مروي عن أبي يوسف من الحنفية، وبه قال الحنابلة، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.

واستدلوا على ذلك:

١- أن الصلاة على النبي ﷺ سراً لا يشغل عن سماع الخطبة، ففي فعله إحراز للفضيلتين: الصلاة والاستماع.

٢- أن الخطيب إذا قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [الأحزاب: ٥٦]، فهو يبلغ الحاضرين أمراً، فيجب عليهم امتثاله.

ولما في ذلك من الجمع بين الأدلة التي ورد فيها الأمر بالصلاة على النبي ﷺ عند ذكره، والتي ورد فيها تحريم الكلام في خطبة الجمعة، وأما رفع الصوت بها فغير مشروع.

• (حكم التأمين على الدعاء والجهر به):

الراجح: يجوز التأمين سراً لا جهراً، وهو القول الصحيح عند الحنابلة، واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.

واستدلوا: بأن الحاضر للخطبة يشغل غيره عن الاستماع إذا جهر بالتأمين، فيؤمّن سراً، وفيه إدراك لفضيلة التأمين على الدعاء، وعدم تشويش على السامعين ومخالفة للأمر بالإنصات.

• (ما يُستثنى من تحريم الكلام أو كراهته في خطبة الجمعة):

استثنى الفقهاء من تحريم الكلام أو كراهته حال خطبة الجمعة للخطيب والحاضر ما كان لأمر واجب ناجز، كتحذير ضرير من الوقوع فيما يضرّه، أو من يخاف عليه من حيّة، أو حريق، أو هدم، أو نحوه مما يقتل أو يضر.

والدليل على ذلك:

- أن التحذير من هذه الأشياء يجوز في نفس الصلاة مع فسادها به، ففي الخطبة من باب أولى.
- كما يمكن الاستدلال لذلك بالقاعدة المشهورة: "الضرورات تبيح المحظورات".

وهناك أحوال يلحقها بعضهم بذلك، وحالات تتمثّل في المسائل التالية:

المسألة الأولى: حكم الكلام بعد صعود الخطيب المنبر وقبل الشروع في الخطبة، وبعد الفراغ منها وقبل الشروع في الصلاة.

الراجح: يجوز الكلام في الحالتين، وبهذا قال أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة، والمالكية، والشافعية، وهو المذهب عند الحنابلة، وعليه أكثرهم.

ومن أبرز أدلتهم: ما ثبت في الصحيحين، في قوله ﷺ: (إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَومَ الجُمُعَةِ: أَنْصِتْ، والإِمَامُ يَخْطُبُ، فقَدْ لَغَوْتَ) وتقدّم تخريجه.

وجه الدلالة: أن قوله: (والإمام يخطب): جملة حالية تُخرِج ما قبل الخطبة من حين خروج الخطيب وما بعده إلى أن يشرع في الخطبة، وكذلك ما بعدها إلى إقامة الصلاة.

المسألة الثانية: حكم الكلام بين الخطبتين:

الراجح: يجوز الكلام في هذه الحال، وبهذا قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة، وهو قول للشافعية، والوجه الصحيح عند الحنابلة.

ومن أبرز أدلتهم: ما سبق في الحديث السابق، ووجه دلالته واضح: بأن النبي ﷺ وصف المتكلم حال خطبة الإمام باللغو، وهذا لا ينطبق على حال جلوسه – أي الإمام – بين الخطبتين؛ لأنه لا يخطب، فيباح.

المسألة الثالثة: حكم الكلام إذا سكت الخطيب للتنفّس:

الراجح: يحرم الكلام في هذه الحالة، وهذا هو القول المشهور عند الحنابلة.

ويمكن الاستدلال لهم: بأن السكوت للتنفّس سكوت عارض قليل، لا يقصد به فعل شيء مشروع، ولا الفصل بين أجزاء الخطبة، والخطيب في حاله يعد مستمراً في خطبته شرعاً وعرفاً وحكماً، فيحرم الكلام، كما لو كان الخطيب يتكلم.

المسألة الرابعة: حكم الكلام إذا شرع الخطيب في الدعاء:

الراجح: يحرم الكلام في حال الدعاء مطلقاً وهذا هو الظاهر من قول الحنفية، والمالكية، وأحد القولين للشافعية، حيث قالوا بتحريم الكلام على الحاضر حال الخطبة، ولم يستثنوا شيئا منها كما تقدّم، وهو الصحيح من المذهب عند الحنابلة.

ودليل ذلك: أن الدعاء تابع للخطبة، فيثبت له ما ثبت لها، ومن ذلك تحريم الكلام.

(مسائل متفرقة)

• (حكم الصلاة خلف الإمام والخطيب الكافر، أو المبتدع الذي يكفّر ببدعته، أو المبتدع بدعة لا تخرجه من الملّة، أو الفاسق):

اتفق أهل العلم على أنه لا تجوز الصلاة خلف الكافر، ولا خلف المبتدع الذي يُكفَّر ببدعته، ثم اختلفوا في حكم إعادة الصلاة، والصحيح في ذلك وجوب الإعادة كما ذكر ذلك النووي، وابن قدامة، وشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمهم الله–، وغيرهم.

وأما إذا كان الخطيب مبتدعاً بدعةً لا تخرجه من الملّة أو فاسقاً:

فقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– عن الصلاة خلف المبتدع، فأجاب قائلاً: "ولو علم المأموم أن الإمام مبتدع يدعو إلى بدعته، أو فاسق ظاهر الفسق، وهو الإمام الذي لا تمكن الصلاة إلّا خلفه، كإمام الجمعة والعيدين، والإمام في صلاة الحج بعرفة ونحو ذلك، فإن المأموم يصلي خلفه عند عامة السلف والخلف، وهو مذهب أحمد، والشافعي، وأبي حنيفة، وغيرهم، ولهذا قالوا في العقائد: إنه يصلي الجمعة والعيد خلف كل إمام براً كان أو فاجراً.

وقال شيخ الإسلام أيضاً: ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر فهو مبتدع عند الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة.. فإن الصحابة – رضي الله عنهم– كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفجار ولا يعيدون، كما كان ابن عمر – رضي الله عنهما– يصلي خلف الحجاج، وابن مسعود – رضي الله عنه– وغيره يصلون خلف الوليد بن عقبة، وكان يشرب الخمر.

وقال أيضاً: وإنما تنازع العلماء في الإمام إذا كان فاسقاً أو مبتدعاً وأمكن أن يصلي خلف عدل، فقيل: تصح الصلاة خلفه وإن كان فاسقاً، وهذا مذهب الشافعي، وأحمد في إحدى الروايتين، وأبي حنيفة، وقيل: لا تصح خلف الفاسق إذا أمكن الصلاة خلف العدل، وهو إحدى الروايتين عن مالك وأحمد". ا.هـ.

ولا شك بأن الأفضل والأحوط للدين: ألّا يصلي خلف الفاسق أو المبتدع إذا أمكن أن يصلي خلف عدل.

وقال الماوردي – رحمه الله – كما أيّد ذلك أهل العلم: بأنه "يحرم على الإمام نصب الفاسق إماماً في الصلوات؛ لأنه مأمور بمراعاة المصالح، وليس منها أن يوقع الناس في صلاة مكروهة".ا.هـ.

الجمع بين الجمعة والعصر للمطر:

يجوز الجمع بين الظهر والعصر للمطر، وهو مذهب الحنابلة، ولهذه المسألة أصلاً وهو حديث ابن عباس – رضي الله عنهما–: (صَلّى رَسولُ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ والْعَصْرَ جَمِيعًا بالمَدِينَةِ، في غيرِ خَوْفٍ، وَلا سَفَرٍ، قالَ أَبُو الزُّبَيْرِ: فَسَأَلْتُ سَعِيدًا: لِمَ فَعَلَ ذلكَ؟ فَقالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبّاسٍ كما سَأَلْتَنِي، فَقالَ: أَرادَ أَنْ لا يُحْرِجَ أَحَدًا مِن أُمَّتِهِ) رواه مسلم، (٧٠٥).

ولكن هل يجوز الجمع بين الجمعة والعصر للمطر؟

الراجح: بالنظر إلى علّة الجمع وهي رفع المشقة، فإنها دالة على وجودها في الجمعة والعصر، والمشقة تجلب التيسير، وقد جوّز الشافعية ذلك بخلاف الأئمة الثلاثة، ولا يلزم من عدم ذكر الجمعة في حديث ابن عباس – رضي الله عنهما– أنها غير داخلة في إذن الجمع، إذ لا فرق بين عصر السبت والخميس وبين عصر الجمعة، والشرع لا يجمع بين المتضادات ولا يفرق بين المتماثلات.

تحدَّث الخطيب أو غيره بالوعظ بعد صلاة الجمعة:

أجاز ذلك بعض أهل العلم، ومن أفضل الإجابات: ما سُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن ذلك: هل يجوز الوعظ بعد صلاة الجمعة؟

الجواب: "لا نعلم دليلاً يدل على منع الموعظة بعد الصلاة، ومعلوم أن الدواعي لإلقاء الموعظة تختلف باختلاف أحوال من يلقيها، وحاجة الناس لها، وأحوال الأئمة الذين يقومون بإلقاء الخطب، فمن أراد الجلوس للاستماع أو أراد الخروج، فالأمر في ذلك واسع، وأما الآية: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ) [الجمعة:١٠]، فلا تتعارض مع إلقاء الموعظة" ا.هـ.

وإن جاز ذلك: لكن الأولى أن يُقتصر على ما هو هام وضروري للمستمعين، وألا يطيل في ذلك، حتى لا يكون فيه ملل للحاضرين، مع التنبّه ألا يكون بشكل مستمر بعد كل جمعة حتى لا تكون كالراتبة.

السنة البعدية للخطيب وغيره وكم عددها وأين تُصلّى؟:

قال ﷺ: (إذا صلّى أحدُكم الجُمُعةَ، فليُصَلِّ بَعدَها أربعَ رَكَعاتٍ) رواه مسلم، (٨٨١)، ورواه غيره، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (وكانَ لا يصلِّي - يعني النبي ﷺ - بعدَ الجمعَةِ حتى ينصرِفَ فيُصَلِّي ركعتينِ في بيتِهِ) رواه البخاري، (٩٣٧)، ومسلم، (٧٢٩)، باختلاف يسير.

وقد جمع بعض أهل العلم بين القولين: على أن الأربع إذا صلاها في المسجد، والاثنتين إذا صلاها في بيته، جمعاً بين الروايات، وممن قال بذلك: إسحاق بن راهويه، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم - رحمهم الله-.

وهل الأفضل أن يصلي الخطيب أو غيره الراتبة البعدية في المسجد أو البيت؟

السنة كما ورد عنه ﷺ في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما- السابق أن تُصلّى الراتبة في البيت، وقد يجد الخطيب أو غيره من المأمومين بأنه أخشع له أن يصليها في المسجد أو خشية أن تلهيه بعض أشغاله عن صلاتها في البيت؛ فحينئذٍ يقال في حق من كان كذلك أن يصليها في المسجد.

ولكن هل يجوز أن يتنفّل بأكثر من أربع ركعات؟

إذا نوى الخطيب أو غيره بأن التنفّل ليس من الراتبة البعدية بعد الأربع ركعات؛ فلا يمنع ذلك لعموم النصوص الواردة في فضل النوافل.

(من أهم أحكام صلاة العيد للخطيب)

إذا وافق يوم الجمعة يوم عيد:

روي حديث عنه ﷺ أنه قال: (قد اجتَمَع في يومِكم هذا عيدانِ، فمن شاء أجزَأَه من الجُمُعةِ، وإنّا مُجمِعون) أخرجه أبو داود (١٠٧٣) واللفظ له، وابن ماجه بعد حديث (١٣١١)، وقد اختلف أهل العلم في صحة هذا الحديث من ضعفه، وبناءً على ذلك تعددت أقوال الفقهاء في هذه المسألة.

والصحيح من هذه الأقوال: وهو الذي اختاره جماعة من المحققين، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله–: أن من شهد العيد سقطت عنه الجمعة، وقال شيخ الإسلام: "لكن على الإمام أن يقيم الجمعة ليشهدها من شاء شهودها ومن لم يشهد العيد، وهذا هو المأثور عن النبي ﷺ وأصحابه، كعمر، وعثمان، وابن مسعود، وابن عباس، وابن الزبير وغيرهم، ولا يعرف عن الصحابة – رضي الله عنهم جميعاً– في ذلك خلاف، وأصحاب القولين المتقدمين لم يبلغهم ما في ذلك من السنة عن النبي ﷺ " ا.هـ.

ويعني بأصحاب القولين: من أوجب الجمعة مع العيد، ومن قال: تسقط عن أهل البر.

ولا يعني أن ذلك: أن تسقط صلاة الظهر لمن لم يصلي الجمعة وقد شهد صلاة العيد، بل يجب عليه أن يصليها ظهراً.

حكم تنفّل الإمام قبل العيدين وبعدهما:

عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما–: أنَّ النبيَّ ﷺ خَرَجَ يَومَ الفِطْرِ، فَصَلّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهما ولا بَعْدَها ومعهُ بلالٌ، أخرجه البخاري، (٩٨٩)، ومسلم، (٨٨٤).

فالصواب: أن صلاة العيد لم يثبت لها سنة قبلها ولا بعدها، وقال به الزهري، وابن جريج، وأحمد، وجماعة من المحققين.

لكن إذا كانت صلاة العيد ليست في المصلّى وإنما في المسجد وأتى الإمام مبكراً ولم يحن وقت الصلاة وكان ذلك في غير وقت النهي؛ فيُسن له تحية المسجد، وكذلك المأموم، وأيضاً إذا أراد الإمام أو المأموم صلاة الضحى بعد صلاة العيد وخطبتها فلا حرج في ذلك، لأن النية واقعة لصلاة الضحى وليس بقصد أداء سنة بعدية لصلاة العيد.

على أنه يُفضّل للإمام أن يتحرّى صلاة الضحى بعيداً عن أنظار الناس حتى لا يظنوا أن لصلاة العيد سنة بعدية فيقتدوا به في ذلك.

التكبير في خطبتي العيدين:

لم يرد دليل صحيح صريح في ذلك، وإنما هو قول لبعض أهل العلم، واستحباب ذلك يحتاج لدليل ثابت، فلا يُسن للخطيب في الخطبة التكبير.

خطبة العيدين بعد الصلاة:

عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما– قال: كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ، وأَبُو بَكْرٍ، وعُمَرُ– رَضِيَ اللَّهُ عنْهما–، يُصَلُّونَ العِيدَيْنِ قَبْلَ الخُطْبَةِ) أخرجه البخاري، (٩٦٣)، ومسلم، (٨٨٨).

وأُخّرت الخطبة عن الصلاة لأنها لم تكن واجبة فجعلت في وقت يتمكّن من أراد تركها، بخلاف خطبة الجمعة، كما قال ذلك ابن قدامة – رحمه الله–، وقد نقل الصنعاني – رحمه الله– الإجماع على عدم وجوب الخطبة في العيدين.

وقال ابن قدامة – رحمه الله–: "وجملته أن خطبتي العيدين بعد الصلاة، لا نعلم فيه خلافاً بين المسلمين إلّا عن بني أمية وروي عن عثمان وابن الزبير أنهما فعلاه ولم يصح ذلك عنهما، ولا يعتد بخلاف بني أمية؛ لأنه مسبوق بالإجماع الذي كان قبلهم، ومخالف لسنة رسول الله ﷺ الصحيحة، وقد أُنكر عليهم فعلهم، وعدّ بدعة مخالفاً للسنة".

تنبيه: وإن كان ابن قدامة يُضعَّف أثر عثمان – رضي الله عنه–، لكن الصواب أنه ورد عنه بإسناد صحيح قال الحسنُ البصريُّ – رحمه الله– "أولُ من خطب قبل الصلاةِ عثمانُ – رضي الله عنه–، صلَى بالناسِ صلاةَ العيدِ ثم خطبهم – يعني على العادةِ – فرأى ناسًا لم يدركوا الصلاةَ، ففعل ذلك أي صار يخطبُ قبل الصلاةِ". وصححه ابن عبد البر في الاستذكار والتمهيد، وابن حجر في الفتح، والصنعاني في سبل السلام.

ومن أثبته عن عثمان – رضي الله عنه– الإمام مالك بن أنس – رحمه الله– فقد جاء في: البيان والتحصيل، لابن رشد الجد، وروى ابن نافع عن مالك ما يدل على ذلك قال: "السنة أن تُقدّم الصلاة قبل الخطبة، وبذلك عمل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان صدراً من ولايته" ا.هـ، وذكره أيضاً ابن

بطَال في شرح البخاري، وابن عبد البر في الاستذكار، وهذا التقييد من الإمام مالك – رحمه الله– مفهومه مخالفته في آخر ولايته.

وإنما تم إيراده للأمانة العلمية، وبلا شك اتباع السنة هو الحجة.

هل للعيد خطبتان؟:

ذهب الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وغيرهم، على أن للعيد خطبتين كما هي الحال في الجمعة، وقد استدل منهم بأدلة فيها ضعف، ولكن قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عمّن يرى الخطبتين في العيدين: مقتضاه أنه احتج بالقياس.

هل يجلس الخطيب في صلاة العيدين بعد أن يصعد المنبر؟:

الصواب: أنه لا يجلس عقيب صعوده؛ لأن الجلوس في الجمعة للأذان ولا أذان ها هنا، ذكر ذلك ابن قدامة والشوكاني، ولأن أحاديث وصف صلاة العيدين في الصحيحين وغيرهما لم يأت فيها ما يدل على أنه ﷺ كان يجلس قبل أن يخطب في العيدين.

(من أهم أحكام صلاة الاستسقاء للخطيب)

هل خطبة الاستسقاء قبل الصلاة أم بعدها؟:

الراجح: قول عامة الفقهاء كما ذكر ذلك ابن عبد البر – رحمه الله– "أن الخطبة بعد الصلاة، وليس ذلك للوجوب، وإنما على سبيل التخيير، فإن شاء قدّم الصلاة، وإن شاء قدّم الخطبة". ا.هـ.

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله–: "ويمكن الجمع بين ما اختلف من الروايات في ذلك بأنه ﷺ بدأ بالدعاء ثم صلى ركعتين ثم خطب، فاقتصر بعض الرواة على شيء وبعضهم على شيء، وعبرّ بعضهم عن الدعاء بالخطبة، فلذلك وقع الاختلاف". ا.هـ.

وإن كانت أدلة القائلين بتقديم الصلاة أقوى من القائلين بتقديم الخطبة.

ولكن كما أورد ابن عبد البر أنه قول جمع من أهل العلم السابقين، وأن ذلك ليس للوجوب، وإنما جواز الأمرين؛ فكذلك هو قول جمع من العلماء المعاصرين: كمحمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية سابقاً، وابن باز، وابن عثيمين – رحمهم الله–.

هل خطبة الاستسقاء واحدة أم اثنتان؟:

الراجح: أن الإمام لا يخطب في الاستسقاء إلّا خطبة واحدة، وممن قال بذلك الإمام أحمد في أصح الروايتين عنه، وقال به عبدالرحمن بن مهدي، وأبو يوسف، واختاره الزيلعي، وابن قدامة.

ودليل أصحاب هذا القول: هو ما جاء بأنه ﷺ خطب بهم في الاستسقاء هكذا مطلقاً، ولم يأت ما يدل على أنه جلس بينهما جلسة للاستراحة.

عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما– قال: (خرجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ للاستسقاء مُتبذِّلًا مُتواضعًا متخشِّعًا مُتضرِّعًا، حتّى أتى المصلّى، فلم يخطُب كخُطبتَكُم هذِهِ، ولَكِن لم يزَلْ في الدُّعاءِ والتَّضرُّعِ والتَّكبيرِ، وصلّى رَكْعتينِ كما كانَ يصلِّي في العيدِ) أخرجه أبو داود (١١٦٥)، والترمذي (٥٥٨)، والنسائي (١٥٢١)، وابن ماجه (١٢٦٦)، وأحمد (٣٣٣١) باختلاف يسير، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه ابن قدامة، والنووي، وابن دقيق العيد، وغيرهم.

قال ابن قدامة – رحمه الله– عن حديث ابن عباس – رضي الله عنهما– السابق: "وهذا يدل على أنه ما فصل بين ذلك بسكوت ولا جلوس، ولأن من نقل الخطبة لم ينقل خطبتين، ولأن المقصود إنما هو دعاء الله تعالى ليغيثهم، ولا أثر لكونها خطبتين في ذلك". ا.هـ.

متى يقول الخطيب عن المطر: (اللهم حوالينا ولا علينا):

من المعلوم أن للخطيب أن يستسقي في الجمعة كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ، غير أن بعض الخطباء لا يفرقون بين طلب نزول المطر وبين رفعه، وذلك من حيث إن بعضهم يجمع الأمرين في دعائه فيقول الدعاء المشهور في طلب السقيا: (اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً .. الخ) ثم يتبع ذلك بقوله: (اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الضراب والآكام.. الخ).

والصواب في هذه المسألة: هو التفريق بين الأمرين، فلا يجعل قوله: (اللهم حوالينا ولا علينا) إلّا فيما إذا كثر المطر عليهم وخشوا ضرره، وأما إذا لم يكن كذلك فإن هذه الصيغة لا تشرع حينئذٍ، **ودليل ذلك:** حديث الأعرابي المشهور في طلب السقيا والنبي ﷺ على المنبر يوم الجمعة، حيث لم يدعُ ﷺ بذلك إلّا لمّا رأى تضرر الناس فقال: (اللهم حوالينا ولا علينا)، – وقد سبق– ولتكرير الفائدة هذا نصّه:

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه–: أنَّ رَجُلًا جاءَ إلى النبيِّ ﷺ يَومَ الجُمُعَةِ، وهو يَخْطُبُ بالمَدِينَةِ، فَقالَ: قَحَطَ المَطَرُ، فاسْتَسْقِ رَبَّكَ. فَنَظَرَ إلى السَّماءِ وما نَرى مِن سَحابٍ، فاسْتَسْقى، فَنَشَأَ السَّحابُ بَعْضُهُ إلى بَعْضٍ، ثُمَّ مُطِرُوا حتّى سالَتْ مَثاعِبُ المَدِينَةِ، فَما زالَتْ إلى الجُمُعَةِ المُقْبِلَةِ ما تُقْلِعُ، ثُمَّ قامَ ذلكَ الرَّجُلُ أوْ غَيْرُهُ، والنبيُّ ﷺ يَخْطُبُ، فَقالَ: غَرِقْنا، فادْعُ رَبَّكَ يَحْبِسْها عَنّا، فَضَحِكَ ثُمَّ قالَ: **(اللَّهُمَّ حَوالَيْنا ولا عَلَيْنا)** مَرَّتَيْنِ أوْ ثَلاثًا، فَجَعَلَ السَّحابُ يَتَصَدَّعُ عَنِ المَدِينَةِ يَمِينًا وشِمالًا، يُمْطَرُ ما حَوالَيْنا ولا يُمْطِرُ منها شيءٌ، يُرِيهِمُ اللَّهُ كَرامَةَ نَبِيِّهِ ﷺ وإجابَةَ دَعْوَتِهِ. أخرجه البخاري (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧).

حكم وحكمة تحويل الرداء في الاستسقاء، وهل يخص الخطيب دون غيره، وكيفية ذلك:

هذه المسألة ليست خاصة بالخطيب وحده، بل يشاركه فيها جميع المصلين، على قول جمهور أهل العلم، ولأن ما فعله النبي ﷺ ثبت في حق غيره ما لم يقم على اختصاصه به دليل، وقد عُقل المعنى في ذلك، وهو التفاؤل بقلب الرداء، ليقلب الله ما بهم من الجدب إلى الخصب.

وتحويل الرداء ليس على سبيل الوجوب، وإنما هو من السنة، فيستحب فعله اقتداء بنبينا ﷺ.

وكيفية ذلك كما ذكر الجمهور: أنه يجعل الأيسر على الأيمن، ويجعل الأيمن على الأيسر، وبهذا قال مالك، والشافعي في القديم، وأحمد، وصاحبا أبي حنيفة، وغيرهم.

وذلك لما ثبت في صحيح البخاري، (١٠٢٧) عن عبد الله بن زيد – رضي الله عنه– قال: خَرَجَ النبيُّ ﷺ إلى المُصَلّى يَسْتَسْقِي واسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، فَصَلّى رَكْعَتَيْنِ، وقَلَبَ رِداءَهُ قالَ سُفْيانُ: فأخْبَرَنِي المَسْعُودِيُّ، عن أبِي بَكْرٍ، قالَ: جَعَلَ اليَمِينَ على الشِّمالِ.

ويكون وقت قلب الرداء بعد صلاة وخطبة الاستسقاء كما ثبت في الحديث السابق.

كما أن حال قلب الرداء في حال استقبال القبلة، وهو الراجح على مذهب الإمام أحمد.

وقد وردت رواية أخرى في الصحيحين بأن قلب الرداء قبل الصلاة فعن عبداللهِ بنِ زيدٍ – رضي الله عنه– قال: قال خرجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا يستسقي فحوَّلَ إلى النّاسِ ظَهرَه يدعو اللَّهَ عزَّ وجلَّ واستقبلَ القبلةَ وحوَّلَ رداءَه ثمَّ صلّى رَكعتَينِ. أخرجه البخاري (١٠٢٨) بنحوه، ومسلم (٨٩٤) باختلاف يسير.

والأمر – والله أعلم– في ذلك واسع.

ومتى يعيد الرداء إلى مكانه بعد تحويله؟

قال الشافعي – رحمه الله–: "ولا يحول رداءه إذا انصرف من مكانه الذي يخطب فيه، وإذا حولوا أرديتهم أقرّوها محولة كما هي، حتى ينزعوها متى نزعوها"، بمعنى كما ذكر النووي – رحمه الله–: "وتبقى كذلك في منازلهم حتى ينزعوا ثيابهم، سواء نزعوها أول وصولهم المنازل أم بعده".

كيفية رفع اليدين للدعاء في الاستسقاء:

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه–: (كانَ النبي صلى الله عليه وسلم لا يرفعُ يدَيهِ في شيءٍ من دعائِه إلّا عندَ الاستسقاءِ فإنَّهُ كانَ يرفعُ يدَيهِ حتّى يرى بياضُ إبطيهِ) أخرجه البخاري (١٠٣١)، ومسلم (٨٩٥)، ولمسلم عن أنس بن مالك – رضي الله عنه–: (أنَّ النبيَّ ﷺ اسْتَسْقى، فأشارَ بظَهْرِ كَفَّيْهِ إلى السَّماءِ).

قال النووي: "هذا الحديث يوهم ظاهره أنه لم يرفع ﷺ إلّا في الاستسقاء، وليس الأمر كذلك، بل قد ثبت رفع يديه ﷺ في الدعاء في مواطن غير الاستسقاء، وهي أكثر من أن تحصر، ويتأوّل هذا الحديث على أنه لم يرفع الرفع البليغ بحيث يرى بياض إبطيه إلّا في الاستسقاء" ا.هـ.

وأما ما يفعله بعض الناس من رفع اليدين في دعاء الاستسقاء إلى علو يجاوزون به الرأس، فهو مخالف لهدي النبي ﷺ، وذلك لما رواه أبو داود (١١٦٨) وغيره عن عمير مولى أبي اللحم – رضي الله عنه–: (أنه رأى النبيَّ ﷺ يستسقي عند أحجارِ الزَّيتِ قريبًا من الزَّوراءِ قائمًا يدعو يستسقي رافعًا يدَيه قبلَ وجهِه لا يجاوزُ بهما رأسَه) وسكت عنه أبو داود، وقد قال في رسالته لأهل مكة: كل ما سكت عنه فهو صالح، وصححه ابن حبان، والوادعي، وشعيب الأرنؤوط، وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم.

تنبيه الخطباء حول موضوع خطبة الاستسقاء:

من يشاهد في وقتنا الحاضر كثيراً من صلوات الاستسقاء يجد أن جملة من الخطباء يغفلون عن جانب مهمٍ فيها، ألا وهو كثرة الاستغفار والتضرع، حيث إن عدداً منهم ليس بالقليل يجعل جلَّ اهتمامه في الخطبة بما لم يشرع الاستسقاء لأجله، حيث يضمِّنون خطبهم أموراً خارجة عن مقتضى الحال فلربما تحدّث بعضهم عن قضايا اجتماعية، وآخرون عن قضايا سياسية، وطائفة أخرى عن شؤون المسلمين العامة أو الخاصة، أيّا كان ذلك الموضوع وأهميته ومصلحته إلّا أن خطبة الاستسقاء لها مقام آخر، هو مقام الاستغفار والدعاء والتضرع والابتهال إلى الله والتذلل بين يديه.

ومن أصرح الأدلة على ذلك: حديث ابن عباس – رضي الله عنهما– عند أصحاب السنن قال: (إن رسول الله ﷺ خرج متبذلاً متواضعاً، متضرعاً، حتى أتى المصلى، فلم يخطب خطبتكم هذه، ولم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير، وصلى ركعتين كما يصلي في العيد) وسبق تخريجه، وهو صحيح، ويؤكّد ذلك قول ابن عباس – رضي الله عنهما–: (فلم يخطب خطبتكم هذه).

ومما يدخل في الاستغفار والتضرع: الموعظة اليسيرة، كما ذكر أهل العلم، الحاوية على الحث على التوبة من المعاصي، والخروج من المظالم، والصيام، والصدقة، وترك التشاحن؛ ليكون أقرب لإجابتهم.

(من أهم أحكام صلاة الكسوف والخسوف للخطيب)

هل للخسوف والكسوف خطبة؟:

الراجح: يشرع لهما خطبة، وممن قال بذلك الشافعي، وهو رواية عن الإمام أحمد.

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله– مُعقباً على قول من لم يرَ الخطبة للكسوف: "وتعقّب بأن الأحاديث ثبتت فيه وهي ذات كثرة، وبما في الأحاديث الصحيحة من التصريح بالخطبة وحكاية شرائطها من الحمد والثناء والموعظة وغير ذلك مما تضمنته الأحاديث، فلم يقتصر على الإعلام بسبب الكسوف، والأصل مشروعية الاتباع، والخصائص لا تثبت إلَا بدليل" ا.هـ.

فالقول بمشروعية الخطبة في صلاة الخسوف أو الكسوف هو الصحيح الذي دلَّ عليه الدليل من فعله صلى الله عليه وسلم.

إذا اجتمع عيد وكسوف أو جمعة وكسوف:

(وإن كان من أهل العلم من يرى استحالة اجتماع عيد وكسوف)، وإنما لو قُدِّر حدوث ذلك؛ **فالصواب من أقوال الفقهاء**: أنه يُقدّم ما يُخشى فواته، قال الشافعي – رحمه الله–: "وإن اتفق العيد والكسوف في ساعة صلَى الكسوف قبل العيد؛ لأن وقت العيد إلى الزوال، ووقت الكسوف ذهاب الكسوف".

وأن اجتمع جمعة وكسوف: قال الشافعي: "وإن كسفت الشمس في وقت الجمعة، بدأ بصلاة كسوف الشمس وخفف فيها، فقرأ في كل واحدة من الركعتين اللتين في الركعة الأولى بأم القرآن وسورة (قل هو الله أحد)، وما أشبهها، ثم خطب في الجمعة، وذكر الكسوف في خطبة الجمعة".

ثم قال كلاماً يجمع هذه الأمور كلها في قاعدة عامة فقال: "إذا اجتمع أمران يخاف فوت أحدهما، ولا يخاف فوت الآخر، بدأ بالذي يخاف فوته، ثم رجع إلى الذي لا يخاف فوته" ا.هـ، وبمثل قول الشافعي هذا قال الماوردي – رحمهما الله–.

صفـات الـخطيـب

الخطيبُ داعيةٌ إلى رب العالمين فهو بذلك قدوةٌ، ولذا يحتاج لصفات تعطيه ثقة الناس فيه وحبهم والميل إليه؛ للانتفاع بدعوته، (على أن يكون تحلّيه بهذه الصفات قاصدًا بها مرضاة الله جل جلاله لا استجداء وتوسّل رضا المخلوقين).

ومن أولى تلك الصفات:

- **(طهارة القلب والجوارح من درن المعاصي وشؤمها):**

إذا عُرف الخطيب بسوء أو نقيض ما يدعو إليه ولسان حاله يناقض مقاله، سيضعف تأثيره ولا يصل إلى قلوب الناس حديثه، ويشك السامعون في قوله ويرتابون في صدقه.

ولأن أمة الإسلام أمة دعوة وأصحاب رسالة نهاهم الله سبحانه عن أن يقولوا ما لا يفعلون فقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ) [الصف: ٢، ٣]، ويقول جل وعلا: (أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ) [البقرة: ٤٤]، وقال تعالى إخبارًا عن نبيه شعيب عليه الصلاة والسلام: (وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ) [هود: ٨٨].

وعن أسامة بن زيد – رضي الله عنهما– قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يُؤْتى بالرَّجُلِ يَومَ القِيامَةِ، فيُلْقى في النّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بها كما يَدُورُ الحِمارُ بالرَّحى، فَيَجْتَمِعُ إلَيْهِ أَهْلُ النّارِ، فيَقولونَ: يا فُلانُ ما لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بالمَعروفِ، وَتَنْهى عَنِ المُنْكَرِ؟ فيَقولُ: بَلى، قدْ كُنْتُ آمُرُ بالمَعروفِ وَلا آتِيهِ، وَأَنْهى عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ) أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩).

فكما أن الدنس بالمعاصي له آثاره السيئة في الدنيا فكذلك توعد الله فاعلها بالعقاب في الآخرة؛ لذا لا بد للعبد – فضلًا عن الخطيب– مجاهدة النفس على الصلاح قبل الإصلاح، ولهذا كان رسول الهدى ﷺ يدعو الله سبحانه فيقول: (اللهم إني أسألُك الهُدى والتُّقى، والعفافَ والغِنى) أخرجه مسلم (٢٧٢١).

بل ومن أدعية استفتاحه بالصلاة: (اللَّهمَّ باعد بيني وبينَ خطاياىَ كما باعدتَ بينَ المشرقِ والمغربِ، اللَّهمَّ نقِّني من خطاياىَ كما ينقّى الثَّوبُ الأبيضُ منَ الدَّنسِ، اللَّهمَّ اغسلني من خطاياىَ بالماءِ والثَّلجِ والبَرَدِ) أخرجه البخاري (٧٤٤)، ومسلم (٥٩٨) باختلاف يسير.

لهذا لا بد لكل صاحب دعوةٍ أو مبلغ علمٍ من طهارة النفس والجوارح من درن المعاصي وشؤمها، ومجاهدة النفس على ذلك؛ وإن وقع في ذنب استغفر وتاب وأناب إلى التواب، حتى تقبل دعوته وتسمع كلمته، قاصدًا بذلك مرضاة الله وحده.

• **كما أن من أهم الصفات التي يجب أن نعتني بها ويعتني الخطيب الموفّق، بل ونورّثه للناس ألا وهي: (تقوى رب العالمين في السر والعلن)**: لأن بها بلا شك النجاة والفلاح في الدارين، وحثنا سبحانه المزيد من تحقيقها كما قال جلّ شأنه: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ) [آل عمران: ١٠٢].

ومن أبرز العلامات على تقوى الخطيب لله، ما يراه الناس فيه بأم أعينهم، ومن ذلك:

• خشيته وورعه وزهده الصادق في نفسه وعمّا في أيدي الناس.

• حرصه على الطاعات والبعد عن السيئات.

• حسن خُلقه وتعامله، وبعده عن سيئ الأخلاق أو ظلم أحد.

• جهده في حسن التحضير والإعداد المُسبق للخطبة.

• انتقائه للموضوعات التي فيها صلاح لعقيدتهم وعباداتهم ومعاملاتهم وما يهمهم في العاجل والآجل.

• اختياره للألفاظ المؤثرة، واتباع الأساليب المُقنعة لهم، وتجديد طريقة العرض المشوّقة، وغير ذلك مما يدركه من اتقى رب العالمين في تحمل أمانة هذا المنبر الجليل.

• **مما يجب أن نحرص عليه ويحرص عليه الخطيب ويتحلّى به: (الإخلاص)**: لأنه رأس مال المسلم في حياته، والخطيب أولى الناس بالعناية ومراقبة نفسه في ذلك فلا يريد بعمله إلّا وجه الله عزّ وجل، دون سواه، لا طمعًا في ثناء الناس، ولا حبًا للشهرة، ولا عجبًا بالعمل.

ومما يدفعنا والخطيب أن نحقق الإخلاص أن نذكّر أنفسنا دومًا:

أن رب العالمين لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم جلّ جلاله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيّنة ٥]، ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف ١١٠]، ويقول المصطفى ﷺ: (إنَّما الأعْمالُ بالنِّيَّةِ، وإنَّما لِامْرِئٍ ما نَوى، فمَن كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ، ومَن كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى دُنْيا يُصِيبُها أوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُها، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هاجَرَ إلَيْهِ).

رواه البخاري (٦٦٨٩) ومسلم (١٩٠٧)، واللفظ للبخاري.

ولنعلم أن انتفاع الناس بمن يتصدّر لنفعهم سببه الرئيس: الإخلاص، قال علي بن الفضيل بن عياض لأبيه: يا أبتِ ما أحلى كلام أصحاب محمد ﷺ! قال: يا بني وتدري لم حلا؟ قال: لا، قال لأنهم أرادوا به الله – تبارك وتعالى–، وقيل لحمدون القصّار: ما بالُ كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلموا لعِزِّ الإسلام، ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلمُ لعِز النفس، وطلب الدنيا، وقبول الخلق.

فما أحوجنا لمجاهدة نياتنا، لا ليُقال: مجيد، أو مؤثّر، أو فصيح، أو فاهم مُفهم، ونسأل رب العالمين دوماً صلاح النية والعمل، وأن ينفعنا بما نقول من علم نافع وينفع بنا، ويقبلنا برحمته وفضله.

ولنتذكّر خطر الرياء، والطمع في ثناء الناس، وأن صاحبه متوعّد بأنه من الثلاثة الذي أولَ مَن تُسعَّرُ بهم النارُ، والذي منهم ما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم بقوله: (.. ورَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ، وعَلَّمَهُ وقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ، وعَلَّمْتُهُ وقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقالَ: عالِمٌ، وقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقالَ: هو قارِئٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجْهِهِ حتّى أُلْقِيَ في النّارِ..) رواه مسلم، (١٩٠٥).

- **ومن الصفات الهامة التي لا غنى لنا عنها:**
- **(اللجوء إلى من بيده التوفيق والسداد وحسن الافتقار إليه):** فنحن ضعفاء إلّا بالقوي العزيز، فإذا كان المسلم بحاجة شديدة للانكسار بين يدي الله تعالى، فالخطيب الداعية أولى بذلك، لأنه يواجه الناس، ويوجّههم فيحتاج إلى كثرة دعائه سبحانه أن يعينه ويوفقه ويسدده على صلاح نية وحسن اتباع ويهدي به.

ولنا في الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام– أسوة حسنة، فهذا نبي الله موسى – عليه الصلاة والسلام– يلتجئ مفتقرًا إلى رب العالمين: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي* يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٥ إلى ٢٨].

فإذا كان هذا حال نبي مرسل من ربه عز وجل، وهو مؤيّد منه، يطلب ذلك، فأحرى بغيره من آحاد الناس طلب ذلك، لا سيّما من يقوم مقام الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى.

فأهمية الافتقار إلى رب العالمين بالدعاء الصادق: أن يرزقه قبل الخطبة الإخلاص والتوفيق، وأن ينفعه بما عَلِم وينفع به، ويكتب له النفع والقبول، فكم من خطيب لم يتّعظ بما يقول، وكما يسأل الله تعالى كذلك أن يوفقه للفصاحة والبيان ورباطة الجأش.

وبعد الخطبة: الإكثار من الاستغفار، لأنه لا يُعلم قد حصل منه خطأ دون ألّا يشعر، وأيضًا دعاء: (اللهم إني أعوذُ بك أن أشركَ بك وأنا أعلمُ وأستغفرُك لما لا أعلمُ) – وإن كان الحديث فيه ضعف إلّا أنه لا يُمنع من الدعاء به لحسن معناه–، لأننا لا نعلم ما دخل في نياتنا، ونحن نخطب.

كما نحمده المنان الكريم الذي منَّ علينا وأكرمنا بالتوفيق لأداء هذه الشعيرة العظيمة، وجعلنا من الداعين إلى رب العالمين، فمن شكر الشكور سبحانه ثبّته وزاده من فضله وتسديده والقبول له، قال تعالى (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) [إبراهيم:٧].

كما يدخل في الافتقار إلى الغني الحميد كذلك **(التوكل على الوكيل سبحانه)**: فلا ينبغي للخطيب أن يلقي الخطبة معتمدًا على تحضيره، وينسى التوكل على رب العالمين، والاعتماد عليه، فيكله الله تعالى إلى نفسه، فتخونه نفسه في وقت يحتاج فيه إلى السداد والتأييد.

- **ومن أهم ما يتصف به الخطيب:**

- **(العلم الشرعي)**: فإذا كان كل مسلم يحتاج أساسيات العلم الشرعي ليصحّح عقيدته وعبادته، فالخطيب الداعية إلى الله يحتاج إلى مزيد من التوسّع في العلم، ولا يعني ذلك: أن يكون عالمًا جهبذًا.

وإنما المقصود أن يكون لديه علم بأنواعه المختلفة سواء ما كان منه فرض عين أو فرض كفاية، كما يحتاج أيضًا للاطلاع على العلوم المساعدة، وعلى العلوم العصرية والثقافية ما أمكنه ذلك.

أولًا: لأن الخطبة شعيرة دينية وركيزة مهمة للغاية، ووسيلة من وسائل الدعوة، والشعائر والوسائل تتطلّب العلم شرعي.

ولذلك فلا بد للخطيب الموفّق الذي يعتلي منبر كل جمعة أن يكون له نصيب في حضور دروس أهل العلم، وخاصّة في علم الفقه الأكبر (العقيدة)، والفقه الأصغر (فقه الشريعة).

ولو لم يتمكّن من الحضور، فعن طريق حضور الدورات المكثّفة أو عن طريق التعلّم عن بعد على أن يكون هناك تفاعل مع أهل العلم من خلال الأسئلة والاستفسارات.

ولنتذكّر مقولة العلماء: (من كان شيخُه كتابَه غلب خطؤه صوابَه)، وهذا ينطبق غالبًا على العلوم الشرعية لأنها علوم الوحي المقدّس التي جاءتنا عن طريق التلقّي، وكم حدث من التجاوزات الشرعية لجملة من الخطباء أو الدعاة والوقوع في خرق للإجماع المعتبر أو الفهم الخاطئ للنصوص، أو نقل الأقوال الشاذة، إن لم يقع قبل ذلك فيما يخالف العقيدة أو اقتراف البدع، وهذا نتيجة ضعف طلب العلم الشرعي، وعدم التلقّي من أهل العلم الثقات، وقلة الصبر على ذلك.

فلا بد للخطيب الداعية كما أنه متصدّر لوعظ الناس وتعليمهم، فلابد أن يكون قبلهم متصدرًا في العلم الشرعي، على فقه وتأصيل.

ثانيًا: لأن الخطيب سيتعرّض في خُطَبه لبيان كثير من الأحكام الشرعية، وهو مبلغ عن الله ورسوله، فيجب عليه أن يكون على قدر كافٍ من العلم يؤهّله لحسن تعليم الناس وإفادتهم، مع وعظه لهم.

يقول الله عز وجل مبينًا أهمية العلم في الدعوة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف ١٠٨]، والمراد بالبصيرة: العلم، كما ذكر أهل العلم.

ثالثًا: ومما يدل على أهمية العلم الشرعي: تتابع الفتن، وكثرة وجود الملبّسين اليوم على الناس الحق بالباطل، والدين الحق بغيره، والسنة بالبدعة، فكم من مفتون بهم، وكم ممن ضل وهلك، وصُرع بسببهم، ولا يستطيع أحد التمييز بين الحق الذي التبس بالباطل إلّا بالعلم الشرعي، وما لم يكن الخطيب طالباً للعلم فلن يستطيع إنقاذ نفسه فضلًا عن غيره؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

رابعًا: وكذلك تأتي أهمية العلم الشرعي: لأن العالم اليوم لم يصبح كالقرية الواحدة فحسب، بل أصبح كالغرفة الواحدة، وما تحدث فتنة في مكان إلّا وتسربت إلى طرفه الآخر، ولا سيّما مع وجود القنوات الفضائية، والشبكة العنكبوتية، ووسائل التواصل الاجتماعي فأصبح تأثير ذلك قويًا.

علمًا بأنه ليس أي فتنة يقف أمامها الخطيب ويبيّن بطلانها، إلّا إذا كانت الفتنة كبيرة ولها أثر خطير على الدين والأخلاق.

والأمر الآخر: أن تكون تلك الفتنة قد انتشرت وعمّت وطمّت.

وهذا مما يزيدنا حرصًا وقوة في طلب العلم الشرعي الذي يجلّي لنا خطر هذه الفتن، ويوضّح لنا الطرق الشرعية القويمة لمواجهتها لينقذ الخطيب نفسه والمستمعين له.

(وللمزيد من الحديث عن ذلك ينظر قسم: ثقافة الخطيب).

- **(قوة الشخصية):** وتعني: الجدّية والانضباط، والأخذ بمعالي الأمور، وليست تعني كما يظن البعض: القسوة والشدّة، بل فيها توازن بين الحزم واللين في مواضعهما.

وقوة الشخصية قد تكون هبة من الله تعالى، وهي كذلك: صفة يمكن اكتسابها بالمران والسير على منوالها من التأثير الفعّال عن طريق الاقتداء والتأسي، وأول من نقتدي به ونتأسى بسيرته هو رسولنا الكريم ﷺ، ومن بعده سير الأعلام النبلاء من الخلفاء الراشدين، والصحابة الأبرار، والأئمة من التابعين والمجاهدين والدعاة المخلصين، فسيرهم معين لا ينضب ننهل من معينه ونتأسى بأخلاقهم.

فعلى الخطيب الموفّق أن يكتسب تلك الصفة فهي من عناصر استكمال النجاح ومن مقومات الفلاح، فيرشد من خلالها – بحول الله– المستمعين إلى طريق الخير والرشاد.

ويتبع ذلك:

أن يكون: (شجاعًا في كلمة الحق بالحكمة والأسلوب الحسن)، ولا يستجيب للضغوطات التي تثنيه ليداهن أو يسكت عن المنكر والباطل، أو تَصرفه عن إلقاء الموضوع المناسب لواقع مجتمعه، كما أن مما يجب عليه: أن يكون بعيداً عن تأييد الظلم أو البغي أو الثناء على الطغاة والمفسدين.

ومن الصفات المهمة:

• **(الثقة بالنفس بما تحمله من الحق والمبادئ والقيّم)** من غير عجب وغرور، وهذا مما يُبعث في نفس الخطيب الداعية قوّة مؤثّرة في المدعوين بغير تبعية ذليلة، بقوله الحق وعمله به، مما يجعله لا يتأثّر بالمواقف الصعبة أو افتراء أو ظلم أو سخرية من لا خلاق له.

وذلك لأنه واثق برب العالمين بأنه معه، ما دام على الحق المُبين، شامخًا في وجه الباطل المُهين، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران ١٣٩]، ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَال صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلا﴾ [الأحزاب ٢٣]، ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الزخرف: ٤٣]، ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[الحجر: ٩٤].

ويقول رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه: (المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحَبُّ إلى اللهِ منَ المؤمنِ الضعيفِ، وفي كلٍّ خيرٌ، احرِصْ على ما يَنفَعُكَ ولا تَعجِزْ..) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

وقد ذكر جملة من علماء السلف في شرح هذا الحديث: بأن المقصود قوة النفس والروح، وليست قوة البدن، فإنه يوجد من أبدانهم قوية ولكن ليس عندهم العزيمة والإرادة والجدّ والأخذ بمعالي الأمور، فالثقة بالنفس بما تحمله من الحق والمبادئ مما يرسّخ ثبات الخطيب الداعية فلا يتأثّر بالشبهات ولا تستهويه الشهوات، بل هو المحذّر منها وسُبُلها، والمرغّب لطرق النجاة والفضائل.

• **ومن الصفات الهامة: (الصبر والثبات والاحتساب):**

وهو الوقود الحي في روح الخطيب الموفّق مقتديًا بذلك بصبر وثبات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام– والدعاة المخلصين، لا متأثّرًا بالمنقطعين والمتخلّين عن الاستمرار لنصرة الدين، والذين غرّتهم الحياة الدنيا أو الطمع المادي على حساب الدعوة والاحتساب للأجر العظيم من رب كريم.

وقد علّم رب العالمين رسوله ﷺ دروسَ الصبر الشامخة العظيمة، والخطاب تبعًا للدعاة، يقول تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَق وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم ٦٠]، ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾ [الأحقاف ٣٥]، ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل ١٢٧].

كما حثّ جلّ وعلا المؤمنين على الصبر في الكفاح والجهاد والدعوة إلى هذا الدين العظيم وعناد الضالّين والباغين والمشركين حتى يأتي النصر المُبين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران ٢٠٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة ١٥٣].

وأما عن الاحتساب فعلى الداعية إلى الله أن يكون مخلصاً في دعوته، لا يبتغي بها غير مرضاة الله وثوابه العظيم: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام ٩٠].

ومن الصبر والاحتساب: التحمّل لما يأتي في الطريق من عقبات، وما يناله من أذى، أو نقد جارح، أو إعراض، أو سخرية.

كما أن صبره يؤدّي به إلى أن يتصف بالرحمة ولين الجانب، فذلك يجذب الناس إليه، ويجمعهم حوله، ويساعد كثيرًا في ارتباطهم به، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ..﴾

[آل عمران: ١٥٩]

وأيضًا من علامات الصبر: اتساع الصدر لكل ناقد، أو ناصح، ولو كان ينقص ذلك الناقد، أو الناصح الأدب والتقدير له، لعلمه أن: (الحكمة ضالة المؤمن)، فحيث وجدها فهو أحق بها من أي طريق أتت.

- **ومن الصفات الهامة: (التحلّي بالحكمة وحسن التقدير للموقف الذي سيتحدّث عنه)**:

بعيدًا عن التهور والاندفاع غير المحسوب، ويزن كلامه ويضبطه بميزان الشرع القويم، ولا يعني ذلك الوقوع في كتمان الحق، أو المداهنة، أو مدح الظلمة والطواغيت.

- **من صفاته المميّزة: (أن الدعوة إلى الله تجري في عروقه ودمه)**، تأسيًّا بالأنبياء – عليهم الصلاة والسلام–، وطمعاً في الأجر الجزيل.

- **وهو (الحريص على التجديد ووسائل الجذب في خُطبه)**، تشويقاً لمستمعيه كي ينقادوا إلى مرضاة الله، وذلك لأنه يحمل أمانة الخطبة بصدق وإخلاص.

• **وكذلك: (يمتلئ حماسةً فيما يدعو إليه من الحق، اعتقادًا بصدقه)**، لأن ما يخرج من القلب يدخل إلى القلب، فلا بد أن تكون حماسة الخطيب أقوى من حماسة سامعيه؛ ليفيض عليهم، ويروي غُلّتهم، وإلا أحسّوا بفتور نفسه، فضاع أثر قوله، ولا بد من طول الدُّربة في ذلك مع الصدق مع النفس.

• **(استحضار أنه ذاهب لتبليغ رسالات الله والدعوة إليه)**، ويتذكّر قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبا﴾ [الأحزاب ٣٩]، ويتذكّر أيضًا قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت ٣٣]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف ١٠٨].

وهذا يدفعنا لمزيد من الإخلاص والهمّة والاقتداء بالنبي ﷺ، واستحضار الغاية العُظمى من الخطابة، وهي الدعوة التي من أجلها بعث الله تعالى أنبياءه ورسله –عليهم الصلاة والسلام–.

فالخطيب يستحضر أنه مُبلّغ للدين ومسؤول عن نشره، وأنه يتولّى أعظم منصب في الدنيا، فإن تولّاه كما ينبغي فهو صدّيق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله–: "من تعلّم العلم الذي بعث الله ورسله وعلّمه لوجه الله كان صدّيقًا"، (مجموع الفتاوى، ١٧١/٢٨).

• **ومن الصفات:**

• **(تحبيب الناس في الدين بذكر محاسنه وفضائله)** في ثنايا الخُطب، وأن العزة والرفعة والسعادة، وسكينة القلب في الالتزام بتعاليمه، وذلك لكثرة الملهيات والصوارف عن الدين، وانغماس الكثير في ملاذ الدنيا.

ومن الصفات:

• **(الالتقاء بالخطباء المخلصين المتميزين، أو السماع لهم)**: والاستفادة من طرحهم، ويدخل في ذلك استشارتهم لما فيه من الارتقاء بحسن الإعداد والإلقاء.

ومن الصفات:

• **(سعة الأفق في الانتفاع بفئات المجتمع)** كالمدرسين، والطلاب، والعمّال، والأطباء، والقضاة، والعسكريين وغيرهم؛ فيستفيد من اطلاعهم على جوانب في المجتمع قد لا يطّلع عليها، ومن التعرّف على مشاكلهم، وتلمّس الحلول الفعّالة لنقلها إلى الخُطَب.

وكما أن الخطيب مطلوب منه تقبّل الانتقادات بصدر رحب؛ فكذلك ينبغي أن يتفاعل مع اقتراحات المواضيع التي تُطرح عليه، ويأخذ منها ما يناسب جماعته وحيّه.

• **من صفات نجاح الخطيب: (وضع له ملف متكامل لخُطَبه)**: سواءً ورقياً، أو حاسوبياً، وجمع المعلومات والفوائد في ملف آخر لكل ما يطرأ عليه من موضوعات مستقبلية، حتى يتيسّر له من خلال هذين الملفين الرجوع بسهولة للخُطَب التي يُريد إلقاءها مرّة أخرى، ومن جهة ييسّر له ذلك إعداده للخُطَب الجديدة.

• **(الحرص على تسجيل خُطبه)**: لسماعها، والاستفادة من تقويم ما أخطأ في إلقائه ليتلافى ذلك في الخطب المستقبلية، كما أن في سماعه لخُطبه أيضًا مراجعة لما قد يمكن إضافته من معلومات لم يتذكّرها إلّا حين السماع.

• **(الاطلاع على الكتب أو المقاطع أو نحوها)**: التي تُعنى بجوانب حسن الإعداد والإلقاء.

• **(العناية بصلاح المظهر الخارجي)** لا يقل عن العناية بالباطن الداخلي من التقوى، وما سبق ذكره من الصفات، وصلاح مظهر الخطيب يكون بما يلي:

الأول: أناقة لباسه ونظافته، دون مبالغة، أو إسراف، أو تميّز عن لباس أوساط الناس.

الثاني: نظافة بدنه، وطيب رائحته، واهتمامه بسنن الفطرة من تقليم الأظفار، وحفّ الشارب، وإعفاء اللحية، وحسن تسريحها، وغيرها من سنن الفطرة الداخلية التي لها الأثر الطيّب في طيب الرائحة.

الثالث: جمال وجهه ببشاشته وابتسامته عند السلام على الناس بعد الانتهاء من الخطبة، فإن الابتسامة الصادقة، وطلاقة الوجه، وحسن المحيَّا، تحبّب الناس بالخطيب، وبُخطَبه ونصائحه، وهي طاعة لمن أخلص لله عز وجل فيها، والاقتداء بصفوة الخلق ﷺ.

• **(محاسبة الخطيب لنفسه)**:

- **في ماذا قدّم لجماعة مسجده من خلال هذه الخُطَب على مدار سنوات:**
- **هل ساهم في تعليم الناس أصول العقيدة؟**
- **هل حذّر من نواقض الدين والتيارات العقدية الخطرة المنتشرة؟**
- **هل أوضح أهم أحكام العبادات ومخالفاتها؟**
- **هل دعا إلى القيام بالحقوق الشرعية للعباد؟**
- **هل رغّب في فضائل الأعمال وصلاح القلوب والأخلاق والآداب المرعية؟**
- **هل حذّر من المنهيات والمحرّمات الظاهرة والشائعة؟**
- **هل تفاعل مع المستجدات والمواسم الحولية وأوضح الواجب تجاهها؟**

- إن هذه المحاسبة تدعو إلى تدارك التقصير، وتقويم الأخطاء والارتقاء بحسن أداء هذا الأمانة ورعايتها، ولا أحد منا يدّعي تزكية نفسه.

- كما أن هذه المحاسبة من جانب آخر تدعّم الإيجابيات، وتثبّت الخطيب على مبادئه وقيمه السامية التي دعانا لها ديننا الحنيف القويم.

ثقافة الخطيب

سبق في قسم صفات الخطيب ذِكر أمر هام من ناحية العلم الشرعي، ألا وهو:

أن يكون للخطيب الناجح نصيبٌ في حضور الدروس الشرعية عند أهل العلم بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، (والذين ليس لهم لقب يعرفون به، ولا حزب ينتمون إليه؛ إلّا أنهم: من أهل السنة والجماعة)، وسؤالهم عمّا يُشكل؛ لأن العلم الشرعي لا بد له من التلقّي، فلا يهمل الخطيب ذلك حتى لا يقع في مخالفات شرعية، بل وخلَلْ في العقيدة، ووقوع في البدع، وهو بذلك لا يتحمّل وزره فقط، وإنما أوزار من تصدّى للخطابة لهم.

وكم حدث ذلك من جملة من الخطباء –هدانا الله وإياهم– لاستنكافهم عن طلب العلم على أهل العلم، إمّا تعالياً، أو خجلًا، أو كسلًا، أو انشغالًا بأمور مفضولة.

وهذا لا ينبغي للخطيب الذي يعتبر قدوة لغيره، لذا لا مناص من التزوّد بالعلوم الشرعية عند أهل العلم وأهمها: علم العقيدة، وعلم الفقه، وليستعين بالمعين جلّ وعلا إذا كان يرجو أن يكون من المصلحين على الوجه الذي يرضي رب العالمين، وليُخصّص له أوقاتًا معينّة للطلب عند أهل العلم متحرّيًا الثقات منهم، والذين يراعون تقديم ما يناسب له من التدرج العلمي، وليتذكّر أنه مسؤول أمام الله جلّ جلاله.

وكما يهتم الخطيب بذلك؛ فعليه فرض عين في معرفة الأحكام الفقهية المتعلّقة بخطبة الجمعة، وقد سبق ذكرها في قسم: أهم أحكام الخطبة والخطيب، فعليه حسن مراجعتها حتى لا يقع في خلل أو ارتكاب محظور، بل وحريّ به أن يهتم بسننها ومستحباتها، فإن انظار الناس تتّجه إليها، فإن كان على جهل في ذلك –عياذاً بالله– فقد ارتكب مع إثمه، إثم من يقتدي به في خطأه، وإن كان على علم كسب الأجر في حسن إلتزامه بالشرع في أحكام الخطبة، مع أجر من يقتدي به ويوجهّه.

وفي هذا القسم سيُذكر – بحول الله– أهم العلوم التي لا يسع للخطيب جهلها، لذا لا بد للخطيب الموفق من الاطلاع على العلوم المتنوعة، وأهمها:

- **(العقيدة):** وهي القاعدة الصلبة التي يجب أن يرتكز عليها المسلم فضلًا عن خطيب داعية إلى دين الله الحق المبين.

لذا على الخطيب الكريم أن يُعنى أشد العناية بهذا الأمر سواءً من جهة الاهتمام بعقيدته وتصحيح مفاهيمه ومعرفة ما يناقض ذلك، أو ينقصه، أو من جهة دعوته من خلال المنبر لعموم المسلمين، (لأنه مع حاجته الماسّة لذلك في دينه؛ فكذلك حتى لا يكون كما قيل: فاقد الشيء لا يعطيه).

وللأسف الشديد أن جملة من الخطباء –مع التقدير– لا يولّي هذا الأمر الأساسي أولويةً وحرصاً، فتجد الكثير من الخُطب إمّا في جانب الرقائق، أو جانب الأخلاقيات والسلوك، أو جانب الأحداث المعاصرة، وهذا لا يعني التهوين من تلك الجوانب، لكن لا تكن على حساب إهمال أو تقليل جانب خُطَب العقيدة وما يتعلّق بها.

وإذا تأملنا واستقرأنا منهج نبي الأمة ﷺ، وماذا بدأ به في دعوته السرية بمكة حيث مكث يدعو قرابة ثلاثة عشر عامًا إلى العقيدة، ثم استمر على التأكيد عليها مع سائر الشريعة طيلة دعوته في المدينة إلى أن توفّاه الله تعالى.

أفلا يدعونا ذلك إلى الاقتداء به والسير على دعوته، وقد قال جلّ وعلا عنه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ ..﴾ [يوسف ١٠٨]، لذا يجب على الخطيب الحصيف أن يتزود لعقيدته ما يزيدها سلامةً وقوةً ويقينًا، ويبتعد عمّا ينقصها ويخدشها، مع معرفة إجمالية بأبرز الفرق والمذاهب المعاصرة والتيارات المنحرفة، وهذا يدعو الخطيب كذلك على تحمّل المسؤولية في توعية المسلمين بعقيدة أهل السنة والجماعة وما يناقضها بين كل فترة وأخرى، وتبسيط ذلك وربطه بالواقع ليفهموه.

ومن المصادر المهمة في ذلك:

- التنبيهات المختصرة شرح الواجبات المتحتّمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة، لإبراهيم الخريصي، ومؤلف المتن: عبد الله القرعاوي.
- القول المفيد شرح كتاب التوحيد، لابن عثيمين.
- شرح تسهيل العقيدة الإسلامية، ا.د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، وهو من الكتب المفيدة جداً التي جمعت أهم مسائل العقيدة بتوضيح مبسّط.
- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، لنخبة من العلماء، من إصدارات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- الموسوعة الميّسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، من إصدارات الندوة العالمية للشباب الإسلامي.
- زخرف القول. (معالجة لأبرز المقولات المؤسّسة للانحراف الفكري المعاصر)، عبد الله العجيري — د. فهد العجلان.

- **ومن العلوم المهمة ذات الأولوية:**

- **(القرآن الكريم)**: كلام رب العالمين ووحيه العظيم غير المشوب بأوهام البشر ولا بأهوائهم، المبرأ من التحريف والتبديل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر ٩].

فعلى الخطيب أن يكون مجيدًا ما أمكن لحفظ القرآن، أو ما تيسّر منه، على أن يكون ذلك بحسن إخراج حروفه ومراعياً لأحكام التلاوة حتى لا يقع في اللحن الجلي، وهذا واجباً عليه.

فإن حِفظه وكثرة تلاوته لكتاب الله تجعله يُحسن الاستشهاد به في إعداد الخطبة، وقبل ذلك هو عبادة يتقرّب بها إلى الله، وهو رأس العلوم.

- **وأيضًا: (الاعتناء بالتفاسير المعتمدة عند أهل السنة):** البعيدة عن الخلل في الاعتقاد التي تُفسّر القرآن بالقرآن أو بالسنة، أو بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم الذين عاصروا الوحي، وبأقوال أئمة التابعين رحمهم الله الذين عايشوا الصحابة وفهموا عنهم.

فالخطيب يحتاج أن يرجع لتفسير الآيات التي يعرضها في خطبته ليوضّح للمستمعين مراد كلام رب العالمين، مع الاهتمام في التفسير بالنواحي العملية لا الجدلية، أو الكلامية، فكل أمر يجنح إليه المفسّر لا ينبني عليه عمل فهو من الأمور التي نُهينا عنها شرعاً.

وأيضًا البُعد عن الإسرائيليات التي تخالف الشرع، وأما ما وافق الشرع فلا حرج إذا علمنا ثبوته، ومن الإسرائيليات مما هو مسكوت عنه بمعنى لا يخالف الشرع، ولا يوافقه فهذا لا نؤمن به ولا نكذبه، ولكن غالب ذلك مما لا فائدة منه دينيًا ودنيويًا، كما يذكرون في مثل هذا: أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم وعددهم، وعصا موسى – عليه الصلاة والسلام– من أي الأشجار كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله تعالى لإبراهيم – عليه الصلاة والسلام–، فهذا ونحوها مما أبهمه الله – جل وعلا– في كتابه الكريم ممّا لا فائدة في تعيينه على المكلّفين في دينهم ودنياهم، وهذا مما نزّه القرآن المسلمين عنه وصانهم من أن تنفد طاقتهم العقلية فيما لا يفيد، أو ينفع في غيب طواه الزمن.

كما يحذر من الآراء الشاذّة والروايات الضعيفة التي تُنسب إلى بعض الصحابة –رضي الله عنهم–، أو التابعين –رحمهم الله–، وليس لها سندٌ صحيحٌ، وقد وُجدت هذه الآراء والروايات في كتب التفسير، (ويُعرف ذلك عن طريق أهل العلم المختصّين، فينبغي سؤالهم، أو بالبحث عن ذلك لمن له دراية من خلال المواقع الموثوقة على شبكة المعلومات).

- **ومن أهم المصادر في التفسير والقرآن وعلومه:**
  - تفسير ابن كثير.
  - تفسير السعدي.
  - القرآن تدبّر وعمل، إعداد فريق من المختصين، إصدار مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي.
  - معالم السور، لفايز السريح.

• مباحث في علوم القرآن، لمنّاع القطّان.

• (السُنَّة المُطهّرة):

وهي كل ما أُثِر عن رسول الهدى ﷺ: من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خِلقية، أو خُلقية، أو سيرة.

ولأهمية استدلال الخطيب بالسنة فيُحسن التفصيل في ذلك:

لأن السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام، بعد القرآن الكريم، وأدلة وجوب الأخذ بها كثيرة جدا من الكتاب ومن السنة.

والسنة تُبيّن ما أُجمل في القرآن، وتفصّل ما اختصر، وتُعيّن ما أُبهم، وقد خاطب الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بهذا المعنى في قوله عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤]. وفي آية أخرى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل:٦٤].

فالسنة النبوية بالنسبة إلى ما ورد في القرآن على ثلاثة أنواع:

١- مؤكّدة لما جاء في القرآن، فيكون الكتاب مثبتاً والسنة مؤيّدة.

٢- مُبيّنة لما جاء في القرآن بتفصيل مجمله، وتقييد مطلقه، وتخصيص عامه.

٣- مُشرّعة لأحكام لم ترد في القرآن، كتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها، وغير ذلك كثير.

يقول ﷺ: (ألا إنِّي أُوتيتُ الكِتابَ ومِثلَه معه..) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، وغيره، وسكت عنه أبو داود، وقد قال في رسالته لأهل مكة: كل ما سكت عنه فهو صالح، والحديث حسَّنه الترمذي (٢٦٦٣)، و(٢٦٦٤)، وصححه ابن حبان (١٢)، والحاكم (٣٧١)، وله طرق كما ذكر ابن تيمية في مجموع الفتاوى، (٤٦/٧).

وللسنة مكانة عظيمة في نفوس المسلمين لمحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وشغفهم باتباعه لنيل رضوان الله تعالى ومحبته، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١].

ولا يجمل بالخطيب أو الداعية أو الواعظ أن تكون خطبته أو موعظته خالية من هدايات النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وتقريراته.

والملاحظ أن الانفتاح الإعلامي، وانتشار كثير من الحوارات والمناظرات على الفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي قد أثّر كثيراً في بعض الخطباء والدعاة فصاروا يتقمّصون شخصيات من يسمّون بالمثقفين والمفكرين في كثرة

الاستدلالات العقلية على حساب النصوص من الكتاب والسنة، وبعضهم صار يستبدل بالنصوص المعصومة أقوال الفلاسفة والمفكرين والكتاب الغربيين.

كما إنه لا يجوز للخطيب أن يطوّع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لضغوط العصر ومصطلحاته، أو يُعرض عنه لأجلها؛ بل الواجب عليه أن يرد الناس إلى الجادة، ويربيهم على تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلاله والاستدلال به والتسليم له.

قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: "إن استطعت ألا تحك رأسك إلّا بأثر فافعل"، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ص١٤٢.

وذَكَر الشافعي رحمه الله تعالى حديثاً فقال له رجل: تأخذُ به يا أبا عبد الله؟ فقال: "أفي الكنيسة أنا؟! أو ترى على وسطي زُنَّارا؟! نعم أقول به، وكلما بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت به"، الحلية لأبي نعيم٩/ ١٠٦.

وقال إبراهيم الحربي رحمه الله تعالى:"ينبغي للرجل إذا سمع شيئا من آداب النبي صلى الله عليه وسلم أن يتمسّك به"، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ص١٤٢.

ما يراعى في الاستدلال بالسنة:

التأكّد من صحة الحديث الذي يستدل به؛ فإن كان متواترا أو في الصحيحين أو أحدهما فلا إشكال، ولا يحتاج إلى مراجعة؛ لتلقي الأمة لهما بالقول، ولإجماع العلماء على الاحتجاج بأحاديثهما في الجملة.

وهنا يحسن التنبيه على أن الخطيب قد ينقل الحديث ممن نقل عن الصحيحين أو أحدهما وعزاه مؤلفه إلى الصحيح فالأولى أن يتأكد من ذلك بمراجعة الصحيح لما يلي:

أ– قد يكون مؤلف الكتاب الذي نقل منه واهماً في عزوه للصحيح، أو أخطأ في ذلك، أو حصل خلل في الحواشي فنُقلت تخريجات أحاديث لأخرى، وهذا محتمل بل يقع في كثير من الأحيان.

ب– قد يكون أصل الحديث في الصحيح، والمؤلف ساقه بتمامه وألحق به زيادات أو ألفاظا ليست في الصحيح، ثم عزا الحديث للصحيح يريد أصل الحديث الذي ساقه بتمامه دون الزيادات أو الروايات الأخرى، ويكون استدلال الخطيب بجزء من الحديث، ويكون هذا الجزء من الزيادات لا من أصل الحديث، أو يكون من الألفاظ الأخرى التي ليست من ألفاظ الصحيح، فيعزوه للصحيح تبعاً للمؤلف، مع أن اللفظ أو الزيادة التي ذكرها ليست في الصحيح.

جـ– قد يكون الحديث في الصحيح موقوفاً أو معلّقاً، والمؤلف رفعه أو وصله باعتبار طرق أخرى رفعته أو وصلته وهي ليست في الصحيح، فينسب للصحيح ما ليس منه لمجرد أنه اطّلع على حديث فيه كلام طويل أو تخريج كثير فانتزع منه (أخرجه البخاري أو مسلم) دون أن يقرأ بقية الحاشية ليعلم أن ما في الصحيح موقوف أو معلّق.

ومراجعة الصحيح للتأكد لا تضر الخطيب، بل تنفعه بتعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والعناية به، واكتساب معرفة جديدة مع كل مراجعة يطالع فيها الصحيحين، وقد يقع بصره على حديث ما كان يعرفه من قبل، ويناسب هذا الحديث أن يكون موضوع خطبة أخرى، أو هو محتاج إليه في خطبته تلك وهو بجوار حديثه الذي أراد التأكد من ثبوته ولفظه.

أما إن كان الحديث في غير الصحيحين فلا يخلو الخطيب من حالات ثلاث:

١– أن يكون صاحب حديث عالماً بتخريجه ورجاله والبحث فيهم والحكم عليه، فهذا خطيب مُحَدّث، وليس مثلي من يرشد مثله.

٢– ألّا يكون عنده أي معرفة بمراجعة كتب الحديث ومصادره، ولا يحسن بالخطيب أن يكون كذلك، ولا بد أن يتعلم ذلك ويمارسه حتى يعرف ما يخدم به خطبته.

وبإمكانه أيضا أن يسأل المختصين بالحديث من أهل العلم عن الأحاديث التي أشكلت عليه ولا يدري ثبوتها من عدمه، ويوجد مواقع على الشبكة العالمية تخدم السائلين في ذلك، والحريص لن تعوزه الوسيلة في زمن ليس لمحتاج إلى علم فيه عذر أبدا.

٣– أن يكون مُلماً بتخريج الحديث من مصادره الأصلية، ولكنه لا يستطيع الحكم عليه ولا معرفة رجاله، وهذا يتكئ في ذلك على علماء الحديث:

أ– فيبدأ بالمتقدمين المشهورين: كعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، وأبي حاتم، وأبي زرعة الرازيين، والبخاري، ونحوهم. وقد ينقل العلماء تصحيحاتهم لبعض الأحاديث، كما ينقل الترمذي أحكام شيخه البخاري على بعض الأحاديث في سننه

ب– ينظر إلى أحكام من بعدهم من أهل الحديث كالترمذي وابن خزيمة وابن حبان ونحوهم.

(وتحقيقات المتقدّمين ومن بعدهم أقرب إلى الصواب من تحقيقات المتأخرين الذين يسيرون على منهج في التصحيح والتضعيف يخالف المتقدّمين، بخلاف من كان من المتأخرين أو المعاصرين الذين يسيرون على منهج المتقدّمين، ولكنهم قليل، وهذا يعرفه علماء الحديث المتمكّنين، فالمقصود هنا: على الخطيب اعتماد تحقيقات المتقدّمين على الحديث).

وممّا يساعد الخطيب في معرفة تحقيقات المتقدّمين مواقع مختصّة على الشبكة العالمية في ذلك، ومنها:

الباحث الحديثي – تحقق من صحة الحديث بسهولة – ملتقى أهل الحديث — موقع الدرر السنية– مواقع أهل العلم الثقات المختصّين بالحديث، ونحو ذلك.

فمن الخطأ البيّن أن يعمد الخطيب إلى أي حديث في غير الصحيحين دون التثبّت من درجة صحته، كما أنه من الخطأ الاعتماد فقط على تصحيح بعض العلماء المعاصرين دون الرجوع إلى أقوال العلماء المحدّثين من السلف من خلال المتمكّنين في تخريج الأحاديث في تلك المواقع السابقة ونحوها.

وإن رأى أن العلماء المتقدّمين قد اختلفوا في الحديث تصحيحاً وتضعيفاً، وعنده من الصحيح ما يغني عنه لموضوع خطبته فيعرض عن هذا المختلف فيه.

مع التنبيه للتأكّد من مفردات الحديث وجُمله؛ فإن التصحيف والتحريف قد يقعان أثناء النسخ أو الطباعة، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية الحديثية وتحقيقات علماء الحديث عليها.

مع الاستيثاق من قراءته للحديث وإعرابه بشكل صحيح، فإن بعض الكلمات والجُمل أو أسماء الرواة قد تكون عالقة في ذهنه على الخطأ، إما لأنه حفظه هكذا في صغره، أو سمعه من مُتحدّث على الخطأ فرسخ في ذهنه، أو هو يقرأه ابتداء بشكل خاطئ، وذلك بأن يراجع الحديث في طبعة محققة موثوقة مضبوطة بالشكل ويقرأه منها بتمعّن، ويضبط في كتابته ما يحتاج إلى ضبط، وإن كان لا يملك طبعة مشكولة، ففي هذه الحالة يراجع كتب الشروح التي على هذه الأحاديث التي أعدّها لموضوع خطبته، والشارحون غالباً ما يضبطون الكلمات المُشكلة، ويذكرون الأوجه أو الخلاف إن كان ثمة خلاف، أو كان للكلمة أكثر من وجه.

ومن الأمثلة في ذلك، حديث حُذَيْفَةُ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: (تُعْرَضُ الفِتَنُ على القُلُوبِ كالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا) رواه مسلم في صحيحه، (١٤٤)، فكلمة (عودا) اختلفوا في ضبطها على أقوال ثلاثة:

١– عَوْذًا عوذا، بالذال المعجمة، ومعناه: الاستعاذة بالله تعالى منها.

٢– عَوْدًا عودا، بفتح الدال، على معنى أن الفتنة كلما زالت عادت مرة أخرى.

٣– عُوْدًا عودا، على معنى أن الفتن تتوالى على القلب، كما يتوالى العود بإزاء العود في نسج الحصير.

وقد توارد شرّاح صحيح مسلم: كالقاضي عياض، والقرطبي، والنووي، على ذكر هذه المعاني والترجيح بينها.

والمعنى الأخير هو الأشهر والأظهر، لكن معرفة الخطيب للمعاني الأخرى يفيده جداً، وقد يكون أحد المستمعين حفظه على المعنى الآخر فيحتج عليه به، فيكون مُلماً بتلك المعاني، وهذا يُكسبه ثقة الناس فيه، وطمأنينتهم إلى ما يلقي عليهم.

وبإمكان الخطيب مراجعة كتب غريب الحديث إن كانت الكلمة غريبة -أي يقل استعمالها- أو كانت مشتركة مع غيرها في المعنى؛ فالمصنفون في الغريب يعتنون ببيان الفروق المعنوية بين المشتركات في الألفاظ، وأحياناً يوردون أحاديث أخرى فيها ذات الكلمة أو قريبة منها في المعنى فيستفيد الخطيب بمراجعتها نصوصاً أخرى، واتساعاً في علم معاني الحديث.

والكتب في الغريب كثيرة ومتداولة ومن أشهرها: كتب الخطّابي، والحربي، وابن الأثير.

وأيضا بالإمكان مراجعة كتب أهل اللغة: كالقاموس، والصحاح، واللسان، ونحوها؛ فإن أهل اللغة يأتون بجذر الكلمة ويذكرون ما فيها من استعمالات، ويستدلّون لما يوردون من المعاني بالقرآن والسنة وأشعار العرب وأمثالهم.

ومن المناسب أن يذكر الخطيب صحابي الحديث ومن أخرجه في خطبته باختصار؛ فإن ذلك أدعى للثقة فيما ينقل لدى المستمعين، ثم إنه قد يكون منهم من يستفيد من ذلك بترسيخ محفوظاته من الحديث النبوي.

وممّا يُحسن التنبيه على أنه لا يجوز للخطيب أن يعتمد شهرة الحديث وتداول الناس له على الألسنة، فيظن بذلك صحته فيورده في خطبته دون التأكد من ثبوته؛ فإن ما يتداوله الناس من أحاديث فيه الصحيح والضعيف والموضوع، وفيه ما ليس بحديث مما هو من الأمثال أو أقوال السلف أو أقوال الحكماء أو غيرهم، سرت هذه الأقوال بين العوام على أنها أحاديث وليست كذلك.

وقد كثر ذلك في الأزمان المتأخرة فكتب العلماء فيه كتباً، فالحافظ ابن حجر كتب كتابه: (اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة) ثم ألف السيوطي كتابه: (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة) وألف السخاوي كتاباً عنوانه: (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة) ثم جاء تلميذه عبد الرحمن بن الديبع فاختصره في كتابه: (تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث) ثم كتب العجلوني رحمه الله تعالى كتاباً سماه: (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس).

وما كانت هذه العناية من العلماء حتى أفردوا كتباً في ذلك إلّا حمايةً لجناب السنة، وحرصاً على الناس من الضلال، وتنقية لما يتناقلونه من أقوال، وبيان ما هو حديث منها وما ليس بحديث، فلا يجوز للخطيب أن ينقل ما يجري على الألسنة في خطبته لمجرد شهرته وسريانه في الناس.

ويلحق بذلك ما هو من محفوظات الخطيب، مما لم يتيقن أنه حديث؛ فقد يكون الخطيب قد حفظ في صباه حديثاً أو مقولة على أنها حديث من أبيه أو جده أو معلمه أو خطيب مسجدهم أو غيرهم، ورسخ في ذهنه أنه حديث، ولم يراجعه في كبره، فلا يجدر به أن ينقله في خطبته حتى يتأكد من ثبوته.

وكثيرا ما سمعنا بعض الخطباء والوعاظ يستدلون بأحاديث مشهورة ولكنها لا تثبت، وقد يكون منها ما هو موضوع، وينسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

كما أنه من المهم الرجوع إلى شرح الحديث إذا كان يلزم شرحه وتوضيحه للمستمعين، وذلك عن طريق كتب شروح الأحاديث ومحركات البحث.

علماً بأن أهم مقاصد الشروح التي ينبغي العناية بها أمران مهمان:

الأمر الأول: العناية بغريب الحديث، ومعاني المفردات، وفهم المراد بالجملة والعبارة، مع بيان المبهمات الواردة في متن الحديث، وسبق ذكر أهم كتب غريب الحديث.

الأمر الثاني: بيان أهم ما يُستنبط من الحديث من مسائل عقدية، وفقهية، وعلمية، وأدبية، وغير ذلك.

لكن ليس المقصود التوسّع في فهم هذه المسائل كلها، وحفظ الخلاف فيها والاعتراض عليها، وإنما – كما سبق– استنباط أهمها وما ينفع عموم المسلمين.

• ومن أهم المصادر في السنّة المُطهّرة:

• فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني.

• شرح صحيح مسلم، للنووي.

• عون المعبود على سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي.

• عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي لابن العربي المالكي.

• حاشية السيوطي على سنن النسائي.

• حاشية السندي على سنن ابن ماجه.

• فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي، وهو من أوسع الشروح التي تكلمت على أكبر عدد من الأحاديث، وهي أحاديث كتاب: "الجامع الصغير" للسيوطي، حيث يشتمل على الكتب التسعة وغيرها كثير، وهو مفيد أيضاً في فهم معاني الأحاديث التي لم تشرحها الكتب السالفة.

• حاشية السندي على مسند الإمام أحمد، وكذلك تعليقات الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا على أحاديث مسند الإمام أحمد، في كتابه: "الفتح الربّاني" الذي رتب فيه أحاديث المسند ترتيباً موضوعياً.

• التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر.

• جامع العلوم والحكم، لابن رجب.

• شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين.

وفي ختام موضوع ثقافة الخطيب بالسنة النبوية، وما استدعى فيها من التفصيل الهام:

يؤكّد بأن هذا الموضوع لا يختص بالخطيب وحده، وإن خوطب به، بل يشترك معه الداعية والمحاضر والواعظ، وكل من تصدّى لدعوة الناس، وأراد تحضير موضوع من الموضوعات لخطبته أو محاضرته أو موعظته أو بحثه أو مقالته، لعِظَم أهمية حماية سنة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه التي تُبيّن ما أُجمل في القرآن، وتفصّل ما اختصر، وتُعيّن ما أُبهم بل وكذلك: المُشرّعة لأحكام لم ترد في كتاب الله، لأنها بلا ريب وحي من رب العالمين.

الخطيب والأحكام الفقهية:

على الخطيب الواعي أن يكون لديه إلمام مُجمل بالفقه وخاصةً في باب العبادات، إذ كما أن عليه مسؤولية في ذلك لنفسه، فكذلك هو مسؤول عن تصحيح عبادات الناس من خلال المنبر، وبيان الأخطاء التي تقع، بفقه وتأصيل، لذا عليه ألّا يتجرأ في تخطئة عبادات الناس إلّا وهو يعلم أن ذلك مما يخالف الأدلة الشرعية صراحةً، أو يعارض الإجماع، أو أن ذلك مما يناقض الأقوال الصحيحة الثابتة من الأئمة، وأنه من المرجوح البيّن رجحانه.

كما على الخطيب الذي ليس على جادّة في طلب العلم أن يسأل أهل العلم المختصّين بالفقه عند إيراده بعض المسائل المهمة في العبادات التي تهم عامة الناس.

وليس الحديث هنا عن إيراد المسائل الفقهية المُختلف فيها اختلافاً كثيرًا، وتفنيد الأقوال وعرضها أمام العامة، لا، ليس كذلك، بل هذا ممّا ينافي الحكمة، وإشغال أذهان الناس بما لا يناسب مستواهم.

وإنما المقصود: المسائل التي لا يسع المسلم جهلها في الأحكام المتكررة كثيرًا، كالطهارة، والوضوء، والصلاة، ونحو ذلك، مع التركيز على أركانها، وواجباتها، وشروطها، قبل سننها ومستحباتها، بالقول الراجح ودليله الثابت، دون ذكر أن المسألة مختلف فيها، إذا وجد فيها خلاف ليس بمعتبر، حتى لا يتهاون المستمعون العامة بذلك.

- **ومن المصادر الميسّرة لذلك:**

- الفقه الميسّر، لمجموعة من العلماء، من إصدارات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- فقه العبادات، لمحمد العثيمين.
- تسهيل الفقه، الجامع لمسائل الفقه القديمة والمعاصرة، ا.د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، (وهو من أفضل المصادر الفقهية التي استوعبت جُلّ المسائل بتأصيل واختصار على القول الراجح، وقد أثنى عليه عدد من أهل العلم المختصين).
- إجماعات العبادات، إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدُرر السنّية.

(السيرة النبوية):

ينبغي للخطيب أن يعتني بالجانب العملي في سيرة المصطفى ﷺ، والتركيز كذلك على الاقتداء به عليه الصلاة والسلام، والحرص على متابعته فيما ليس من خصائصه، كما على الخطيب أن يتحرّى المصادر الموثوقة في السيرة، لأن منها ما يتساهل في نقله عن سيرته ﷺ دون تثبّت، بل ربما يكون مخالفاً للشرع.

- **ومن الكتب المهمة في السيرة:** مع سير الأنبياء الكرام – عليهم الصلاة والسلام–، والتاريخ منذ بدء الخليقة، والأحداث المهمة، والدار الآخرة.
- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير.
- السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحُدّثين، لأكرم ضياء العمري.
- الرحيق المختوم، للمباركفوري.
- الشمائل المحمدية، للترمذي.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيّم.
- **وكذلك دلائل النبوة وهي: تعني بما ظهر على يده ﷺ من الآيات والخوارق، وأهم المصادر في ذلك:**
- دلائل النبوة، للبيهقي.

ومع الاطلاع على تلك المصادر إلّا أنه ينبغي الحذر من الأحاديث الواهية والمُنكرة، لأن من أهل العلم – مع جلالة قدره في تخصّصه– إلّا أنه ليس له دراية جيدة بالحديث.

لذا ينبغي سؤال أهل العلم المختصّين بالحديث أو الاطلاع على ما سبق ذكره من المواقع المعتنية بذلك عند الوقوف على بعض الأحاديث، أو المواقف من السيرة التي تستشكل على الخطيب، حتى لا يزج بها في خُطبه، وهي واهية مُنكرة.

وممّا ينبّه له في ذِكر ثقافة الخطيب الناجح:

الاطّلاع على الجوانب المهمة الأخرى: كأعمال القلوب، والرقائق، والفضائل، والأخلاقيات، والمنهيات، وهي مبثوثة في المصادر السابقة: العقيدة، والتفسير، وما يتعلّق بعلوم القرآن، والأحاديث وشروحها، والأحكام الفقهية، والسيرة، وما يتعلق بها، وكذلك لها مصادر مستقلّة لا تغني عمّا ذُكر.

فمن أهم الكتب في (أعمال القلوب):

- موسوعة فقه القلوب، لمحمد بن إبراهيم التويجري.

- أعمال القلوب، لخالد السبت.
- أعمال القلوب، لمحمد المُنجِّد.

- **(الرقائق):**

يدخل فيها مصادر متعددة تشمل كتب الزهد، وأهوال القبور، وصفة الجنة والنار، وأحوال الآخرة الإيمانية، ونحو ذلك، مع التنبيه لربط الناس بالسنة والأثر، والوعظ الصحيح الصادق القائم على الكتاب والسنة، لا على الكلام المجرّد، والعاطفة الجيّاشة.

والخطيب الحريص يعلم كيف يتتبّع ذلك من العقيدة، والتفسير، والأحاديث وشروحها، كما يُنبّه على حسن الاختيار المبني على العلم بصحة الروايات التفسيرية والحديثية التي تدخل ضمن الرقائق.

- **ومن أهم المصادر المستقلة في ذلك:**
- الزهد، للإمام أحمد بن حنبل.
- الزهد، لابن المبارك.
- المواعظ والرقائق والحِكم، عبد العزيز الرومي.
- الترغيب والترهيب، للمنذري.

(الفضائل والأخلاقيات):

ومن أهم المصادر في ذلك:

- فضائل الأعمال، للحافظ ضياء الدين المقدسي.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان البستي.
- الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح المقدسي.
- أدب الدنيا والدين، لابي الحسن الماوردي.
- الفضائل في الإسلام، فضائل الأعمال في الإسلام من الكتاب والسنة، وليد مرزوق الرحيلي.
- كيف عاملهم محمد صلى الله عليه وسلم، لمحمد المُنجِّد

(المنهيات):

ومن الكتب المهمة في ذلك:

- الكبائر، للذهبي.
- محرمات استهان بها الناس، للمُنجِّد.
- المنهيات الشرعية، للمُنجِّد.
- المنهيات الشرعية في كتاب رب البرية، بسيوني محمد عبد السلام.

إلى غير ذلك من المحرّمات والمنهيات القولية والفعلية والقلبية التي توجد في مصادر أخرى.

- (المواسم والأحداث):

ينبغي للخطيب أن يعتني بالخُطَب المناسبة للحال الواقع من مواسم وأحداث، وهذا يدل على حكمته وفقهه، وحسن نيته في نفع الناس فيما يحتاجونه، **وإن كانت مصادر المواسم والأحداث ليست بتلك الاستقلالية – فيما أعلم– سوى ما اشتهر منها مثل:**

كتاب: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، للحافظ ابن رجب، حيث بحث فيه فضائل الشهور والأيام والنصوص الواردة في فضائلها، وكيفية استغلالها بالعبادة، مثل: شهر رمضان، وعشر ذي الحجة، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء.

لكن على الخطيب الفقيه أن يتنبّه كذلك لمواسم العام التي لها أثر في حياة أغلب الناس:

- **كموسم الدراسة،** وما يُراعى فيه من بعض الخُطَب التي تحثُّ على التربية والعلم النافع، وتوجيه أولياء الأمور والمعلّمين، وكذلك ما يوجّه فيها من إرشادات في أوقات الاختبارات والمحاذير التي تتعلق بها.
- **وموسم الإجازة،** وما يُرشد فيه ببعض الخُطَب التي تحذّر من خطر الفراغ وآثاره، والصحبة السيئة، والمخدّرات، والمساوئ المترتبة على السفر للخارج، وتوجّه إلى طرق استغلال الوقت فيما ينفع، وأيضًا ما يتعلّق بكثرة إقامة الأعراس في الإجازة، وما ينبه فيها من مخالفات ومحاذير، وما يُرشد فيها إلى الحقوق الزوجية، وتأسيس البيت على مرضاة رب العالمين.

وأيضًا يتفاعل الخطيب مع الأحداث التي تكون في العام:

- **مثل التحذير من بدعة المولد، والتهنئة برأس السنة الميلادية والمشاركة فيها، وأيضا ما يحدث من تجاوزات من بدع ومخالفات في بداية العام الهجري، ويوم عاشوراء، وشهر رجب، والنصف من شعبان، وما انتشر من أعياد مُحدثة قلّد فيها المسلمين الكفار، بما يُسمى عيد الحب، وعيد الأم، وعيد الأب، وعيد الميلاد، وعيد الاستقلال، وعيد الوطن، ونحو ذلك،** ولو أن يجعل لهذه الأعياد المُحدثة خطبة واحدة فقط تشمل التحذير منها.

• **بالإضافة إلى الاطلاع الواعي للأخبار المهمة، والأحداث المدلهمّة** حتى يكون للخطيب الفطن دور في توعية الناس تجاهها، **ومن ذلك: المآسي** التي تحدث لإخواننا في بلاد المسلمين من حروب أو كوارث أو زلازل ونحو ذلك، والواجب حيالها من النصرة لهم بالمال والدعاء وكذلك: الاعتبار بما حلّ بهم، ولا يعني التفاعل مع كل خبر وحدَث، وإنما ما ذُكر من الأخبار والأحداث التي لها أثر كبير على وعي الناس، وما يترتب على ذلك من سلوكيات خاطئة إن لم يكن انحرافات خطيرة.

• **ومن أهم ما يعتني به الخطيب مع ما سبق: (دراسة أهم علوم اللغة):**

وعلوم اللغة كثيرة ومتعددة، بعضها يتعلّق بالتراكيب اللفظية، وطرق تحسينها، كالبلاغة ونحوها، وبعضها يرجع إلى قواعد اللغة ومتنها من النحو والصرف.

والمراد أن يأخذ الخطيب منها قدرًا مناسباً يجعله على بيّنة من صحة لفظه وفصاحته وقوة تأثيره.

كما يستحب أن يكون للداعية الخطيب نصيباً من الاطلاع على التراث العربي الأدبي من خطابة ومساجلات ومحاورات وشعر، حتى يكون صاحب ثروة لغوية تفيده في سهولة التعبير وحسن التصرف، وإيضاح المعنى، وقوة التأثير على المستمعين، والواقع يشهد بأن الجهل بأبرز هذه العلوم اللغوية له آثار ضارّة على قلّة الفصاحة، وعجز البيان مما يؤثّر على رسالة الخطيب الدعوية.

لأن مما يُميّز الخطيب الداعية الناجح: أن يكون طلق اللسان، لأنه أداته إلى إيصال المعاني، فلا بد أن تكون الأداة سليمة وجيدة حتى يتسنى له استعمالها بكفاءة عالية، ولهذا تُعد طلاقة اللسان من ألزم صفات الخطيب وأشدّها أثرًا في انتصاره في ميادين القول.

• **ومما يُعينه – بحول الله– للوصول إلى البلاغة الخطابية والفصاحة، هذه الخطوات الأساسية:**

– فهم معاني القرآن الكريم، فهو المعجزة البلاغية التي أعجزت الفصحاء والبلغاء، وما زالت إلى يوم الدين.

– حديث رسول الله ﷺ فهو أفصح العرب، وأبينهم، وأفضلهم حديثًا.

– مخالطة الفصحاء والبلغاء – الذين هم على خير واستقامة– ومعايشتهم، والسماع منهم، ولمحاضراتهم ومحاوراتهم.

• **دراسة أهم كتب اللغة العربية لمن لديه قصور في ذلك، فيبتدئ بالأسهل منها، مثل:**

– شرح الأجرومية، لابن عثيمين.

– النحو الصغير، لسليمان العيوني.

– ملحة الإعراب، شرح الحريري.

– قواعد الإملاء، عبد السلام هارون.

• **بالإضافة إلى الاطلاع لكسب الأساليب البيانية الجزلة، تدرجاً في ذلك؛ مثل:**

- النظرات، للمنفلوطي.
- صور وخواطر، علي الطنطاوي.
- جواهر الأدب، أحمد الهاشمي.

ثم إلى الأعلى منها، مثل:

- الكامل، للمبرّد.
- أو البيان والتبيين، للجاحظ.
- أو وحي القلم، للرافعي.

مع التنبيه على التركيز أثناء المحاكاة على أسلوب الكتّاب المتأخرين، فهذا مهم، وهو أن يُعِد ويلقي الخطيب بما يناسب أهل عصره دون أن يتخلّى عن معايير الفصاحة والجزالة، ولا يقع في جهة أخرى في التكلّف، ولنتذكّر قول الصادق المصدوق ﷺ: (إِنَّ مِنَ البَيانِ لَسِحْرًا) رواه البخاري (٥١٤٦).

• **(الخطيب والشعر):**

يحتاج الخطيب إلى الشعر الذي يناسب موضوعه، ويتفق مع عناصره، كما يحتاج إلى الشعر الذي يكمّل المعنى فيه ببيت، أو ببيتين، أو ثلاثة، وليس بعض الشعر الذي لا يكتمل المعنى فيه إلّا براوية القصيدة، أو معظمها، فيحتاج الخطيب إلى الشعر الذي يجري مجرى الأمثال والمواعظ، وأما المقدار الذي يأخذه الخطيب من الشعر مقارنةً بالخُطَب فهو قدر ما يأخذ الطعام من الملح، حتى لا يصير الخطيب شاعراً، أو تكون خطبته كلها إثارة شعرية.

وإنما من باب أن يسير الخطيب إلى فكرته الأساسية ليثبّتها، أو يُلفت إليها، وما الشعر إلّا من الوسائل المساعدة للخطيب، وليس هدفاً في حد ذاته.

ومن أهم المصادر التي تفيد الخطيب في ذلك:

• دليل الدعاة إلى شعر الرقائق والزهديات، أزهري أحمد محمود.

• المُنتخب من الشعر والبيان، أمين المدري.

• **ويُختم هذا القسم بملحوظتين:**

الأولى: الحرص عند اقتناء شيء من تلك المصادر السابقة على الطبعات الجيدة، والتحقيقات القيّمة، ويستشار أهل العلم المختصّين في ذلك.

الأخرى: قد ينتاب الخطيب مشاغل يضيق به الوقت عن الاطلاع الجيّد لما سبق؛ إلّا أنه – ولله الحمد والمنّة– قد توفرت بعض تلك المصادر على هيئة كتب مسموعة عن طريق شبكة المعلومات، كما أنه متوفّر دروس علمية صوتية لأهل العلم، فما على الخطيب إلا أن يُحدّد المصدر المُراد من خلال الانترنت من هاتفه النقّال (الجوال)، فيسمع ويستفيد وهو في ذهابه وإيابه لأشغاله.

• **مع التأكيد: أنه لا يغني ذكر هذه المراجع عن طلب العلم عند أهل العلم الثقات، مع سؤالهم عمّا يُستشكل فهمه من المراجع السابقة ونحوها.**

طرق
إعداد الخطبة

من الملائم في طرق إعداد الخطبة أن يُجزّأ ذلك إلى أجزاء يندرج تحتها المواضيع المناسبة لها، ليتم طرحها بتدرج.

الجزء الأول: (المقاصد الأساسية للإعداد):

- **(الالتزام بالحكمة والموعظة الحسنة):**

وذلك أسوةً بما أمرنا سبحانه وتعالى الاقتداء به: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فالتمسّك بهديه ﷺ خير معين للخطيب في النجاح في دعوته، فالنبي ﷺ هو القدوة في تعامله مع الناس عمومًا وصحابته خصوصاً، وفي كل خير، والنظر في سيرة المصطفى ﷺ وسنته الصحيحة أعظم عونًا ومورداً للخطيب.

وقد قعّد لنا من أوتي جوامع الكلم ﷺ قواعد عامة في الدعوة إلى الله تعالى من أبرزها وأهمها: (الرفق واللين الذي لا يخرج فيه العبد عن الحق، ولا يداهن فيه الباطل).

يقول الذي لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه في مجموعة أحاديث: (إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، ويُعْطِي علَى الرِّفْقِ ما لا يُعْطِي علَى العُنْفِ، وما لا يُعْطِي علَى ما سِواهُ) أخرجه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢٥٩٣)، (إنَّ اللَّهَ يحبُّ الرِّفقَ في الأمرِ كلِّهِ) أخرجه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢١٦٥)، (إنَّ الرِّفْقَ لا يَكونُ في شيءٍ إلّا زانَهُ، ولا يُنْزَعُ من شيءٍ إلّا شانَهُ)، أخرجه مسلم (٢٥٩٤).

فما الذي يخرج عن قوله: (ما كان في شيء إلّا زانه) أليس هذا عاماً لم يدخله التخصيص! والقاعدة: أن النصوص على إطلاقها ما لم تقيّد، وقد قيل: "قد يبلغ بالرفق والسياسة ما لا يبلغ بالسيف والرئاسة".

قال ابن حزم – رحمه الله– في كتابه: رسائل ابن حزم، (٣٨٣/١): "الاقتداء بالنبي ﷺ في وعظ أهل الجهل والمعاصي والرذائل واجب، فمن وعظ بالجفاء والغلظة فقد أخطأ وتعدّى طريقته ﷺ، وصار في أكثر الأمر مغريًا للموعوظ بالتمادي على أمره لجّاجاً، ومغايظةٍ للواعظ الجافي، فيكون في وعظه مسيئاً لا محُسناً، ومن وعظَ ببشر وتبسّم ولين فذلك أبلغَ وأنجعَ في الموعظة.

وكان ﷺ لا يصرّح بأسماء من يقصدهم في موعظته فيقول: (ما بالُ أقوامٌ قالوا كذا وكذا) أخرجه البخاري، (٥٠٦٣)، ومسلم، (١٤٠١)، وقد أثنى ربنا عز وجل على الرفق، وأمر بالتيسير، ونهى عن التنفير، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران ١٥٩].

وهو ﷺ من جعل الله فيه من التأييد ما لم يكن في غيره، وألقى هيبته ومحبته في قلوب الناس يقول الله له ذلك، أوليس من دونه بأولى بمخاطبة الناس بالرفق واللين، كما أن هذه الآية الكريمة تدل دلالة واضحة على أن مخاطبة الناس بالقول الفظّ والغليظ سبب في النفرة عن الحق والكراهية له ولصاحبه". ا.هـ.

ومن أجمع الآيات في طريقة الدعوة قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أحسن﴾ [النحل ١٢٥]، ولا يعني ذلك ترك الحزم المطلوب في موضعه.

ومن الحكمة أثناء عرض الموضوع ألّا يظهر الخطيب للناس ترفعاً وتعالياً عليهم، ولو كان التنبيه على معصية، وإنما عليه أن يُظهر نصحه في ثوب المشفق الخائف عليهم، وكأن الذنب أو الخطأ قد صدر منه.

• (تأصيل الإيمان):

الخطيب الموفق هو الذي يربط مواضيعه المتنوعة بما يزيد الإيمان والتعلّق بالعظيم الرحمن، وهذا هو لُبْ مقصود الخطبة، وذلك لأن الإيمان هو القاعدة الأساسية التي تؤثر في نفوس السامعين فيزيدون إيمانًا وتعلقًا برب العالمين، مما يكون سبباً في هجرهم للمعاصي والمخالفات، والتزامهم بالفرائض والواجبات.

يقول ابن القيم – رحمه الله– في زاد المعاد (٤٢٣/١): "**ومن تأمل خُطَب النبي ﷺ وخطب أصحابه – رضي الله عنهم–** وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصول الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله، وذكر آلائه تعالى التي تحبّبه إلى خلقه، وأيامه التي تخوّفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبّوه وأحبّهم، ثم طال العهد وخفي نور النبوة، وصارت الشرائع والأوامر رسوماً تُقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطوها صورها، وزينّوها بما زينّوها به، فجعلوا الرسوم والأوضاع سنناً لا ينبغي الإخلال بها، فرصّعوا الخُطَب بالتسجيع وعلم البديع، فنقص، بل عُدم حظ القلوب منها، وفات المقصود بها".

وقال – رحمه الله– في حديثه عن مقصود الخطبة في زاد المعاد، (٣٩٨/١): "يُقصَد بها الثناء على الله وتمجيده، والشهادة له بالوحدانية، ولرسوله ﷺ بالرسالة، وتذكير العباد بأيامه، وتحذيرهم من بأسه ونقمته، ووصيتهم بما يقرّبهم إليه وإلى جنانه، ونهيهم عمّا يقربهم من سخطه وناره، فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها". ا.هـ.

• (أهم المعالم في مضمون الخطبة):

مضمون الخطبة: هو الذي عليه مدار إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق والسلوك؛ تثبيتاً للصواب وتكثيراً له، وتحذيراً من الخطأ وتقليلاً له، ومن أهم المعالم في ذلك:

أولاً: تقرير الأصول:

حيث يكون للخطيب عناية خاصّة بمسائل الإيمان والعقيدة، ولا يأنف من ذكرها والتأكيد عليها بين الفينة والأخرى، ولا يستبد به الولع بالمستجدات فيستغرق فيها كثيراً، ويهمل تلك الجوانب العظيمة، ولهذا كانت خُطبة النبي صلى الله عليه وسلم تقريراً لأصول الإيمان، فيملأ القلوب من خُطبه إيماناً وتوحيداً.

ثانياً: التنويع في مضمون الخطبة مع التوازن بين المجالات المختلفة التي تهم المسلم:

ولتوضيح التنويع والتوازن يُذكر لذلك النقاط الأساسية للمجالات المختلفة، ومن هذه المجالات الهامة: • المواسم والأحداث • العقيدة وما يناقضها • العبادات ومخالفاتها • الحقوق المتعلّقة بالعباد • أعمال القلوب • الفضائل • الرقائق • الأخلاقيات • المنهيات.

وسيأتي تفصيل ذلك في جزء الموضوعات.

ثالثاً: العلمية:

فالخطبة الناجحة المؤثّرة هي التي يعتمد الخطيب في موضوعها على التأصيل العلمي، لأنه يتحدّث من منبر شرعي يحضره الناس لتلقي الطرح الشرعي المؤصّل القائم على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وما يخدمهما من آثار السلف وتحقيقات أهل العلم.

فليست الخطبة للطرح الإنشائي التعبيري أو الآراء الشخصية، يقول أحد السلف: من أُعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل.

مع ملاحظة أن من الخُطَب ما يحتاج مع الأدلة الشرعية وما يخدمهما؛ ما يُستند إليه من الأدلة العلمية الأخرى كالإحصائيات الموثّقة، والشواهد المعاصرة، والوثائق العلمية المتاحة، وهذا يعود لطبيعة الموضوع.

وكذلك يدخل في العلمية: التعليم في الخطبة:

فإعداد الخُطَب يدخل فيه خطب تعليمية لأصول وأساسيات ما يجب علمه للعامة، من العقيدة والعبادات وغيرها، وممّا يدل على ذلك أن خُطب النبي ﷺ لم تكن وعظية دائماً، ولم تكن بأسلوب واحد، فقد كان عليه الصلاة والسلام يعظ ويُعلّم: روى مسلم في صحيحه عن أبي موسي الأشعري – رضي الله– عنه قال: (خطبنا رسول الله ﷺ فبيّن لنا سُنّتنا، وعلّمنا صلاتنا..)، (٤٠٤).

رابعاً: الصبغة الوعظية:

الخطبة الناجحة كذلك لا بد من اشتمالها على عنصر الوعظ كما كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وليس الوعظ قسيماً للعلم أو مقابلاً له كما قد يتصوّر الكثير ممّن يقصرون معنى الوعظ على الجانب التخويفي أو الترغيبي فقط، وهذا فهم قاصر.

إذ أن الوعظ في اصطلاح القرآن أعم من مجرد الترغيب والترهيب، ولهذا جاء في وصف القرآن الكريم كلّه بأنه موعظة: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ..) [يونس:٥٧]، وفي الأحكام قال الله تعالى: (..ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..) [البقرة:٢٣٢].

فيتّضح أن الموعظة قالب لجميع الموضوعات الإيمانية أو العلمية أو الأخلاقية أو الاجتماعية، وتقريب ذلك: بأن لا تكون الخطبة مجرّد عارض بارد أو تقرير هادئ أو أخبار مسرودة، وإنما لا بد أن تُساق بسياق وعظي من ندب للفعل إن كان الموضوع علمياً، والتحذير منه إن كان يتعلّق بمحرّم ومعصية، والتحفيز على ما وراء الخبر إن كان الموضوع خبراً وقصصاً قرآنياً، ولنا في رسولنا صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فقد (كان إذا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْناهُ، وَعَلا صَوْتُهُ، واشْتَدَّ غَضَبُهُ، حتّى كَأنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يقولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسّاكُمْ..) كما رواه مسلم، (٨٦٧).

وهكذا مفهوم اللغة الوعظية في الخطبة الذي لا يتصوّر أن ينفصل عنها أي مضمون، (مع ملاحظة: أنه لا يعني أن صوت الخطيب على مدار جميع الخطبة على وتيرة واحدة من التحميس والشدّة، وإنما المقصود الغالب، لأنه لا بد أن يتفاعل مع ما يناسب طرقه بهدوء أكثر من غيره، -وسيأتي تفصيل ذلك في وسائل الإلقاء-).

- **(مقصود فئة الإعداد):**

- اجعل -رعاك الله- في الإعداد للخُطَب نصب عينيك عامة الناس: فهم الأحقّ والأولى بُخطبك ومواعظك، لأنهم هم السواد الأعظم والأغلب.

وأما إذا راعى الخطيب النُخَب والمثقفين فسيؤدي به إلى عدّة محاذير -كما يقع في ذلك بعض الخطباء- فمن ذلك:

الأول: التكلّف في اختيار الألفاظ، وتصنّع السَّجع والمواضيع التي تناسب مستوى المثقفين والنُخَب دون الأعمّ الأغلب من العامة ونحوهم.

الثاني: حرمان العامة مما ينفعهم من المواعظ ومعالجة القضايا المتنوعة التي تمسّ شؤون حياتهم، لأن الخطيب المهتم بالمثقفين على حساب نفع العامة يبحث عن دقائق العلوم والاستنباطات والجديد والغريب، والإغراق في تفاصيل الواقع التي لا تنفع عامة الناس في دينهم ودنياهم على المستوى المأمول.

الثالث: تشوّب النية بالتميّز بمراءاة الخاصة من المثقفين والنظر إلى ما يعجبهم ويُرضيهم، وهذا مما يخدش الإخلاص لوجه رب العالمين.

مما قد يُنتج من تلك المحاذير: نزع أو ضعف البركة والقبول والنفع والفائدة، مع ما قد يصاحبه من الإثم.

لذا على الخطيب الناجح أن يُعَد خطبه بما ينفع عامة الناس في دينهم ودنياهم في: العقيدة والعبادات والحقوق والفضائل والأخلاقيات والمنهيات، والمواسم والأحداث، ونحو ذلك، ولا يستغني عن ذلك بلا شك النخُب والمثقفين.

• (التأكّد من دقّة المعلومات وصحتها، ومن ذلك):

أ/ الأحكام الشرعية: ببحثها بحثاً دقيقاً وتأصيلها، إذا كان الخطيب عنده قدرة علمية على ذلك، فإن لم يكن له القدرة العلمية؛ فليرجع لترجيحات أهل العلم الثقات، **ويدخل في ذلك: التثبّت من صحة الأحاديث النبوية،** وقد سبق التفصيل في ذلك في قسم: ثقافة الخطيب تحت عنوان: (السنة المُطهّرة)، فليرجع إليه، فهو من أهم ما ينبغي للخطيب معرفته جيداً، لأن الأحاديث هي الموضّحة للقرآن والمفصّلة لمجمله، بل والمضيفة عليه من الأحكام التي لم تذكر فيه، إذ هي وحي من رب العالمين، **كما يدخل في التثبّت:** التأكّد من صحة الآثار المروية عن الصحابة رضوان الله عليهم، وكذلك السلف الصالح، وأهل العلم، بالرجوع إلى المصادر الموثوقة، وممّن أثبتها، لأن من الخطباء من يقلّد غيره في نقل شيئاً من ذلك دون التثبّت جيداً، وهذا منتشر، والله المستعان.

ب/ الأخبار: فلا يليق بالخطيب أن يتلقّف أي إشاعة، أو خبر ليكون مادة لخطبته، بل يتثبّت ويتبيّن من مواقع الأخبار الرسمية عن طريق شبكة المعلومات مثلاً أو مصادرها الورقية الرسمية كالصحف.

جـ/ القضايا العلمية والمختصة: فقد يتطرق الخطيب للحديث عن بعض الجوانب الطبية، أو التخصصية في أي فن، وحين يتحدث بغير فنه يأتي بالعجائب، فعليه أن يتأكد من صحة المعلومات من مصادرها، ليس لأن مِن بين الحاضرين مَن هو متخصص بما يتحدّث عنه، وإنما امتثالًا لقول رب العالمين: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولا﴾ [الإسراء ٣٦].

(الحذر من التكلّف المذموم في الإعداد، وسلبياته):

التكلّف في البحث والإعداد، بمعنى التعّمق كثيرًا في البحث والتكلّف في اختيار العبارات، وسرد الأقوال، وتنقيح الألفاظ، فذلك أدعى للمشقة والتعب، بل قد يؤول إلى الانقطاع غالباً، كما أنه يصيب المستمعين بالملل والسآمة، وقلّة الاستيعاب والفهم، وربما كان سببًا للنفور من الخطيب الذي هذا حاله من التكلّف والمبالغة.

ولا يعني ذلك: الضعف في البحث والإعداد وقلّة الإتقان، وإنما يُراعي ما ينفع العامة من العبارات والألفاظ المفهومة والسلسة غير المتكلّفة.

وهذا يدعونا إلى معرفة كيفية البلاغة المناسبة لعامة الناس:

• (البلاغة في الإعداد، ومقصدها الصحيح):

قال الماوردي في الحاوي الكبير، (٤٤١/٢): "المقصود بالخطبة شيئان: الموعظة والإبلاغ، ويقصد بموعظته ثلاثة أشياء: إيراد المعنى الصحيح، واختيار اللفظ الصحيح، واجتناب ما يقدح في فهم السامع من تمطيط ومدّه، أو العجلة فيه عن إبانة لفظه، أو ما يستنكر من غريب الكلام وإعرابه، ولا يطيل إطالة تُضجّر، ولا يقصر تقصيرًا يُبتر، ويراعي كل زمان على ما يليق بالحال". (بتصرف يسير).

وقيل لبشر بن مالك: ما البلاغة؟ قال: "التقرّب من المعنى، والتباعد عن حشو الكلام، ودلالة بقليل على كثير"، (بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر، ص٩)، وهذا من أفضل ما يدل عليها.

وقد كره لنا ﷺ التكلّف في الكلام، والتشدّق، والإتيان بالألفاظ الغريبة الوحشية، والتقعّر في الكلام، والتفاصح، وشبّه من يفعل ذلك بالبقرة التي تتخلل بلسانها، يقول ﷺ: (إن اللهَ يبغضُ البليغَ من الرجالِ الذي يتخلَّلُ بلسانِه كما تتخللُ الباقرةُ بلسانِها) رواه أبو داود، ٥٠٠٥ وغيره، وسكت عنه، وقد قال في رسالته لأهل مكة: كل ما سكت عنه فهو صالح، وقال البخاري في: العلل الكبير ٣٤٦: أرجو أن يكون محفوظاً، وقال محمد المناوي في تخريج أحاديث المصابيح، ٢٢٩/٤: ورد بلفظ: (كما تتخلل البقرة)، ورجاله موثقون، وحسّنه ابن حجر في تخريج مشكاة المصابيح، ٣٦٩/٤، وغيرهم.

ولا شك أن ذلك ممّا يُسبّب عدم الفهم، والنفور أيضاً، وفوق ذلك صاحبه متوعّد بالبغض من رب العالمين – عياذاً بالله– كما ورد في الحديث.

فالخطب المفيدة هي التي يركّز فيها الخطيب على الأفكار والمعاني أكثر من تركيزه على تنميق الألفاظ، دون توغّل في تزويق الجُمل، أو تطريز التراكيب، ولا يعني حسن اختيار الألفاظ، وإنما لا تكن على حساب المعاني من جهة، وأيضاً لا يبالغ فيها من جهة أخرى.

ومن المقاصد الأساسية للإعداد: • (قصر الخطبة):

وهذا هدي خير الهدي محمداً ﷺ:

• فعن أبي وائِلٍ قال: خَطَبَنا عَمّارٌ، فأوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَلَمّا نَزَلَ قُلْنا: يا أَبا اليَقْظانِ، لقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ، فلوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ، فَقالَ: إنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: (إنَّ طُولَ صَلاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ؛ مَئِنَّةٌ مِن فِقْهِهِ، فأطِيلُوا الصَّلاةَ، واقْصُرُوا الخُطْبَةَ، وإنَّ مِنَ البَيانِ سِحْرًا) رواه مسلم، (٨٦٩).

• وعن جابر بن سمرة – رضي الله عنه– قال: (كُنْتُ أُصَلِّي مع النبيِّ ﷺ الصَّلَواتِ فَكانَتْ صَلاتُهُ قَصْدًا، وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا). رواه مسلم (٨٦٦.)

• وخرّجه أبو داود ولفظه: (كان رسولُ الله ﷺ لا يُطِيلُ الموعِظةَ يومَ الجُمعةِ إنما هنَّ كلماتٌ يسيراتٌ)، أخرجه أبو داود في سننه، (١١٠٧) وسكت عنه، وقد قال في رسالته لأهل مكة: كل ما سكت عنه فهو صالح، وصححه ابن الملقن في تحفة المحتاج، ٥٠٦/١، وقال الرباعي: إسناده رجاله ثقات في فتح الغفّار، ٦٢٨/٢، وكذا قال الشوكاني: إسناده رجال ثقات في نيل الأوطار ٣٢٧/٣، وصحّحه غيرهم.

• وقال الحكَم بن حَزن – رضي الله عنه–: (قدمت إلى النبي ﷺ سابع سبعة أو تاسع تسعة... الحديث، وفيه: وشهدنا فيها الجمعة مع رسول الله ﷺ، فقام رسول الله ﷺ متوكئًا على عصًا أو قوس، فحمد الله، وأثنى عليه بكلمات خفيفات طيبات مباركات) رواه أبو داود، (١٠٩٦) وغيره، وحسّنه جمع من العلماء، النووي في تهذيب الأسماء والصفات، ١٦٦/١، وابن حجر في التلخيص الحبير، ٥٨٠/٢، والصنعاني في سبل السلام، ٩٣/٢، وغيرهم.

وستأتي الوسائل المعينة في الإعداد لعدم الإطالة في الخطبة بعد الجزء التالي.

الجزء الثاني: (موضوعات الخُطَب):

• **(الخطيب الموفق هو من يفهم الإسلام بشموله وجميع جوانبه)**: من عقائد، وعبادات، ومعاملات، وحقوق، وفضائل، وأخلاق، ومنهيات، ومستجدات.

وهذا يدخل ضمن هدى النبي ﷺ، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله– في المجموعة الكاملة للسعدي، (١٨٧/٦ – ١٨٨) عند هدي النبي ﷺ في الخطبة: "فقد كان النبي ﷺ يخطب الناس خُطَباً عامة، وخُطبًا خاصة، وخُطبًا راتبة في الجمع والأعياد، ونحوها، وخُطبًا عارضة بحسب الأسباب والدواعي.

وكانت خُطبه كلها دعوة إلى الله، وإلى صراطه المستقيم، وتوضيحًا للأصول النافعة، والأعمال الصالحة، وترغيبًا في أصناف الخيرات، والإحسان إلى المخلوقات، وترهيبًا من الأعمال الضارة، والأخلاق السيئة.

وكان الغالب على خُطبه الاختصار والاقتصار على ما يحصل به المقصود، ويقول عليه الصلاة والسلام: (إنَّ طولَ صلاةِ الرجلِ وقِصَرَ خُطبتِه مَئِنَّةٌ من فِقْهِه، فأطيلوا الصلاةَ واقْصُرُوا الخُطبةَ وإنَّ منَ البَيانِ سِحرًا) أخرجه مسلم (٨٦٩).

وكانت مواعظه ﷺ على نوعين:

* نوع يعظ الناس وعظًا مطلقًا يُرغّب في الخير، ويرهب من الشر، ويشوّق إلى ما أعدّ الله للطائعين من الكرامة، ويحذّرهم مما أعدّ الله للعاصين من الإهانة؛ ليثير في القلوب الإيمان والرغبة في الخير، والرهبة من الشر.

* ونوع من وعظه يُفصِّل ما يحتاج الناس إلى تفصيله، ويوضّحه لهم توضيحاً.

فالنوع الأول: وعظ وإيقاظ وتذكير.

والنوع الثاني: تبيين وتعليم وتفصيل.

وكان يراعي في كل وقت وحال ما يحتاج الناس إلى بيانه، وكان لا يتكلّف السجع ولا التعمّق، بل جُلّ قصده ﷺ إبلاغ المعاني النافعة، بأوضح العبارات وأقصرها.

ولقد أوتي عليه الصلاة والسلام جوامع الكلام، وكان يردد اللفظ أو المعنى حسبما يحتاج المقام إلى ترديده، وهذا أولى ما اعتمده الخطيب، ولا بأس مع ذلك بمراعاة تحسين الألفاظ من غير تكلّف". ا.هـ.

• (التدرّج في الموضوعات والتركيز على الأهم فالأقل أهمية):

أول وأولى الموضوعات العناية به: ما بدأت به الرسل – عليهم الصلاة والسلام– دعوة أقوامهم، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده دون ما سواه، وتصحيح عقيدتهم، والتحذير من نواقضها بأسلوب مُبسّط للعامة، وذكر الصور الشركية المعاصرة، مع التنبيه على خطر أهم التيارات العقدية المعاصرة المنحرفة، ثم تصحيح عباداتهم ومعاملاتهم.

• وكذلك على الخطيب مراعاة الموضوعات من جهة أن يبدأ بالأهم فالمهم، وبخاصة ما يُستجدُّ في حياة الناس ومجتمعه التي لها الأثر القوي في حياتهم.

• (من الموضوعات المهمة في الجوانب المختلفة التي تغيب عن جملة من الخطباء):

- **أصول العقيدة ونواقضها**، وعرضها بطريقة مبسّطة، مع ربطها بالأمثلة المعاصرة، ويكون ذلك على عدّة خطب متسلسلة.
- **العبادات والأخطاء التي تقع فيها**، وخاصةً: الطهارة والوضوء والصلاة لتكررها في اليوم والليلة.

- ويدخل في ذلك: شرح أحكام الصلاة، وبيان أحكامها على الراجح، مثل: أدعية الاستفتاح، أذكار الركوع، والرفع منه، والسجود، والجلسة بين السجدتين، والتشهد، والأذكار بعد الصلاة، وفضل الدعاء في الصلاة، ومواضعه، ونحو ذلك.

وهذا الشرح الذي يُراعي فيه الإيجاز والتركيز له أثر هام في أعظم العبادات: الصلاة، وذلك حتى لا تصبح تلك الأذكار والأدعية مجرد ألفاظ يملأ العبد بها عبادته دون أن يكون له هدف نبيل تعبدي، ومغزى عظيم في الحث عليها، وهي طريقة من طرق الحديث عن التوحيد، لأن هذه الأذكار والأدعية تقوم على توحيد رب العالمين، كما في ذلك بيان لمكانة التوحيد وفضله وأهميته، وطريقة من الطرق في ربط الناس بالدين.

- **العناية بشرح بعض آيات القرآن الكريم وأحكامها**، وفضل قراءتها في مواضعها التي أتت بها السنة، وتتكرر دائماً، مثل: الفاتحة، وآية الكرسي، والإخلاص، والمعوذتين، وغيرها.

- **وأيضاً: الحقوق الشرعية**، وأولى ذلك: حق النبي صلى الله عليه وسلم، ثم حقوق الصحابة -رضي الله عنهم-، وحق الوالدين، والأرحام، والجيران، ونحو ذلك.

- **ومن المواضيع: أعمال القلوب**: كالإخلاص، واليقين، والتوكّل، والخشوع، ونحوها.

- **ومنها: الفضائل**: كفضل الصلاة، وفضل بر الوالدين، وفضل القرآن، ونحو ذلك.

- **ومنها: الرقائق**: كتذكّر الموت، والقبر، وأهوال القيامة، ونحوها.

- **ومنها: الأخلاقيات**: كسلامة الصدر، والصدق، والوفاء، والتواضع، ونحوها.

- **ومنها: المنهيات**: بدءاً من الظلم، والموبقات، والكبائر، والذنوب التي يترتّب عليها مفاسد.

- **وأيضاً من المواضيع: المواسم والأحداث:**

كفضل صوم يوم عاشوراء، وتجنّب المخالفات فيه، وبدعة المولد النبوي، وحرمة المشاركة أو التهنئة برأس السنة الميلادية، وحرمة شهر رجب، والتحذير من البدع التي تقع فيه، وبيان الترغيبات والمخالفات في شهر شعبان، وخطب رمضان، وعيد الفطر، وفضل عشر ذي الحجة، والترغيب في الحج، وخطبة عيد الأضحى، وكذلك خطب عن موسم الدراسة والإجازة.

ومن الأحداث: خطب عن فصل الشتاء وأحكامه وفضائله، خطب عن الكوارث، خطب عن الأعياد المشابهة للكفار، كمثل: عيد الوطن، وعيد الاستقلال، وعيد الحب، وعيد الميلاد، وعيد الأم وعيد الأب، ونحوها. (ولو أن يقتصر فيها على خطبة واحدة للتحذير منها).

- **كما أن من أهم الأحداث التي ينبغي أن يتفاعل معها:**

قضايا المسلمين المضطهدين، ودور المسلمين الشرعي تجاههم مثل الدعاء لهم، والتبرع لهم عن طريق الجمعيات الخيرية الموثوقة، وأيضاً أن ينشر المستمعون قضيتهم بين معارفهم ليتضاعف الدعاء لهم، ويمدّوا يد العون لهم، كما أن من الحِكَم في ذكر قضايا المسلمين المضطهدين أن يوقن الناس نعمة الله عليهم من جهة، ومن جهة أخرى: مراعاة هذه النِعَم بشكرها بالقول والعمل بطاعة المُنعم جلّ وعلا، والحذر من الظلم، والبطر للنعمة، والإصرار على المعاصي والمجاهرة بها؛ فإن ذلك من أهم أسباب النقم في الدنيا والآخرة.

فيما يتعلّق بطريقة عرض خطب المواسم والأحداث:

من المناسب أن ينوّع الخطيب في المواضيع التي تتكرر كل عام؛ حتى لا يُملّ المستمعين، كما أنه يُستحسن إضافة على بعضها ما قد يستجد من أحداث، أو معلومات طارئة، أو توجيهات تلائم الواقع المعاصر.

والحديث عن المواسم والأحداث:

لا ينبغي للخطيب تجاهله حيث يناقش المواضيع الي يتوقع حدوثها ووقوعها، من الأحداث أو الفتن التي يُخشى حصولها، وذلك توضيحاً لأحكامها إن كانت مناسبات ومواسم، أو تحذيراً من أسبابها إن كانت فتناً ومنكرات. وهذا ما يُسمّى ب(الاستباقية) أي: الحديث الذي يسبق ما يتوقع حدوثه، كما أن فيه قاعدة شرعية تقول: (الدفع أولى من الرفع)، لأن مدافعة الشيء قبل وقوعه تكون من حيث السهولة وقلّة المؤونة وضآلة المفسدة ما لا تكون بعد وقوع الشيء ورجحان مفسدته.

وإذا تأملنا بعض خطب النبي صلى الله عليه وسلم وجدنا منها على هذا النسق في مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (..ويْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِثْلُ هذِه، وعَقَدَ سُفْيانُ تِسْعِينَ أوْ مِئَةً، قيلَ: أنَهْلِكُ وفينا الصّالِحُونَ؟ قالَ: نَعَمْ، إذا كَثُرَ الخَبَثُ) كما في الصحيحين، أخرجه البخاري (٧٠٥٩)، ومسلم (٢٨٨٠)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (..فَواللَّهِ ما الفَقْرَ أخْشى علَيْكُم، ولَكِنْ أخْشى علَيْكُم أنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيا، كما بُسِطَتْ على مَن كانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنافَسُوها كما تَنافَسُوها، وتُلْهيكُمْ كما أَلْهَتْهُمْ) والحديث في الصحيحين، صحيح البخاري (٣١٥٨)، صحيح مسلم (٢٩٦١)، وقوله صلى الله عليه وسلم أيضاً في الصحيحين: (لا تَقُومُ السّاعَةُ حتّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وتَكْثُرَ الزَّلازِلُ، ويَتَقارَبَ الزَّمانُ، وتَظْهَرَ الفِتَنُ، ويَكْثُرَ الهَرْجُ – وهو القَتْلُ القَتْلُ – حتّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المالُ فَيَفِيضَ). أخرجه البخاري (١٠٣٦)، ومسلم (١٥٧) باختلاف يسير.

إلى آخر هذا النوع من حديثه صلى الله عليه وسلم التي يُبيّن فيه شيئاً ممّا سيكون، ليأخذ المسلمون استعدادهم واهتمامهم بذلك.

- **كذلك من الموضوعات:**

النظر في قصص القرآن الكريم والسنة الصحيحة ففيهما ما يغني عن إسهاب جملة من الخطباء في التطرق إلى القصص التي تدور بينهم، ولا يعني هذا إهمال القصص الواقعية الهادفة، وإنما المقصود لا تكن هي دوماً البديل عن

قصص الوحي المقدّس، والتي فيها العِبر الجمّة، والدروس النافعة، حيث تعددت وتنوعت مواقفها وأساليبها، ولما في ذلك من التشويق للمستمعين لغلبة ميولهم لسماع القصص.

لذا هي من أفضل الوسائل الناجحة والمؤثرة في الدعوة إلى الله، لما فيها من كبير الأثر في تهذيب النفوس، وغرس القيم النبيلة، وأخذ العظة والعبرة.

• **كما أن مما يفتح للخطيب الداعية آفاق المواضيع النافعة أن يُكثر النظر إلى الكتاب والسنة الصحيحة،** ليستقي منها القضايا التي يتكرر الحديث عنها، ثم يرجع إلى تفسير المفسرين من أهل السنة، وشروح أهل العلم الثقات على الأحاديث الثابتة.

الجزء الثالث: (الخطوط الأساسية في كيفية إعداد الخطبة):

التأكيد على تنويع الموضوعات، وتجاوز القصور في ذلك:

على الخطيب العناية بتنويع الموضوعات، ليغطّي ما أمكن ما يحتاج إليه المسلم، فلا يغلب جانب على جانب، فمع تلّمسّه لحاجات الناس، فينظر إلى الموضوعات التي ينفعهم بها، وليس ما يميلون إليها -كما سبق ذكره في أنواع الموضوعات المتنوعة-.

وإذا كان بعض الخطباء ليس عندهم ميل على تجاوز الموضوعات التي تخصّصوا في طرحها؛ لضعفهم في غيرها، فينبغي أن يتجرّدوا في اختيار الموضوعات في مجالات أخرى مع ما يُحسنوا، وهذا من سعة الأفق ونفع الناس، وذلك بالسعي لتنمية النقص الذي عندهم بالقراءة والبحث والسؤال، حتى يكونوا موسوعيّ المعرفة.

• (تنظيم الخطيب لعناوين الخُطَب):

وهذا من أهم الأمور التي تساعد على حسن التحضير والإعداد، ومما يعين على اختيار الموضوع:

• إعداد قائمة متنوعة من الموضوعات.

• يبدأ في اختيار الموضوع الأهم فالأهم لحال الحاضرين، وما يحتاجون إليه.

• التوازن بين الموضوعات العقدية، والعبادات، والحقوق، وأعمال القلوب، والفضائل، والمحرّمات، والرقائق، والأحداث والمواسم، ونحو ذلك.

ففي جدولته لهذه المواضيع على مدار شهور معينة يلتزم فيها الخطيب بالسير على وفق ذلك، ولا يخرج عنه إلّا لعارض قهري، كأن يجد أمرًا يكون الناس بحاجة لبيان حكم الشرع فيه، يؤكّد أن في ذلك ما يقطع التردد في اختيار

الموضوعات، ويختصر الوقت على الخطيب، لأنه إذا سار على ذلك أخذ يعدّ العدّة للموضوع حسب زمنه ووقته بجمع عناصره، وأدلته، وما يتعلّق به.

كما أن فيما ذُكر إشغال الذهن طوال أيام الأسبوع وحصره في موضوع واحد بالإعداد له، وترتيب الأفكار مُسبقاً، حتى تتضح جوانب الموضوع، وتتحدّد معالمه، والتعرف على مراميه.

كما لا ينبغي أن يغفل عن تكرار المواضيع الحيوية في العقيدة وما يناقضها، والعبادات وأخطائها، والحقوق، والفضائل، والرقائق، والمنهيات، ونحو ذلك؛ إذا لاحظ ما يستدعي ذلك، فليست الخطبة كالأخبار بأن يأتي الخطيب كل أسبوع للمستمعين بخبر جديد، أو التفاعل المُغرق بكل حدث واقعي لا يهم الناس كثيرا.

وفي المقابل لا يهمل طرح موضوع جديد كل فترة، بحيث يكون فيه تحسّس للمشكلات الشائعة، والبحث عن الحلول لها، وعرضها بأسلوب مقنع ومؤثر.

وممّا يُراعى في ذلك مناسبة الموضوع للحاضرين وللزمان:

ينبغي لخطيب الجمعة حينما يفكّر في اختيار الموضوع أن يضع في اعتباره مناسبة ذلك الموضوع للسامعين من جهة أهميته لهم، أو من حيث الزمان، فلا يتحدّث عن موضوع قليل الأهمية وفيه أهم منه وأوجب، كما لا يناسب أن يتحدّث في موضوع انتهت مناسبته، ويدخل في ذلك: أن يضيف ما استجد أو يحذف ما لا يناسب من خُطَبه القديمة لمراعاة الزمان أو الحال.

- **(الوقت المناسب لتحضير الخطبة، والحكمة منه):**

يُفضّل أن يبدأ في التحضير من وسط الأسبوع، وذلك لأمرين:

- حتى يكون لديه وقت كافٍ لحسن الإعداد والإضافة والمراجعة، ولا يستهين بذلك إلّا من يستهين بالحاضرين، وقبل ذلك الاستخفاف بمقام المنبر الرفيع الذي هو أمين عليه من رب العالمين.
- وأيضًا حتى لا يتخطى حدّثًا مهمًا حصل خلال الأسبوع يهم الناس، فيكون مستعداً لإعداده.

- **(الحرص على قصر الخطبة، مع ذكر الوسائل المعينة في الإعداد لعدم الإطالة):**

وقصر الخطبة فيه ثلاث فوائد نفيسة:

الأولى: اتّباع السُنّة، لقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: (إنَّ طولَ صلاةِ الرجلِ، وقِصَرَ خُطبتِه، مَئِنَّةٌ من فِقْهِه، فأطيلوا الصلاةَ، واقْصُرُوا الخُطبةَ، وإنَّ منَ البَيانِ سِحرًا) رواه مسلم (٨٦٩)، قوله:(مئنة): أي: علامة، (من

فقهه): أي: ممّا يُعرف به فقه الرجل، لأن الفقيه هو المُطّلع على حقائق المعاني، وجوامع الألفاظ، فيتمكّن من التعبير بالعبارة الجزلة المفيدة المختصرة.

والمراد من طول الصلاة: أن يطمئن في أداء أركانها، ويقرأ فيها ما كان يصلّي به النبي ﷺ يوم الجمعة بسورتي: الأعلى والغاشية، أو الجمعة والمنافقين، (إن لم يكن خارج المسجد جمع من المصلّين؛ فُيستحسن عندها مراعاةً لهم من الجو المتغيّر حرارةً أو برودةً أن يقتصر على قصار السور).

الثانية: سهولة تحضير الخطبة بالتركيز على أهم ما ينبغي ذكره، ولا يعني التساهل في الإعداد، وإنما ترك الحشو والكلام المتكلّف.

الثالثة: التخفيف على المستمعين، فيكاد يتفق الناس جميعهم أو أغلبهم على الارتياح للذي يقصُر خُطبته، والنفرة ممّن يطيلها.

والوقت المناسب للخطبة وللمستمعين هو غالباً: ما بين عشر دقائق إلى أقل من ربع ساعة تقريباً كأقصى حدّ، وهذا التقريب يؤخذ من الإشارة في الحديث عن طول صلاة الجمعة حينما يطمئن الإمام في أركانها، ويقرأ فيها بالسور التي ثبتت سنيتها، فغالباً يكون مدتها إلى ربع ساعة، فينبغي بهذا التقدير أن تكون الخطبة أقل من ذلك.

• (وممّا يُعين على قصر الخطبة):

١- ترك خطبة الحاجة إذا كان موضوع الخطبة طويلًا نسبيًا، علماً بأن خطبة الحاجة ليست من شروط خطبة الجمعة.

٢- إيجاز المقدمة، والدخول في الموضع المُراد.

٣- اختيار جزء من النص الشرعي الذي له دلالة مباشرة بالموضوع، إذا كان النص من آية، أو حديث فيه شيء من الطول.

٤- إذا كان للموضوع نصوص كثيرة فيختار أصحها، وما اجتمع فيها أكثر من جانب وفائدة.

٥- إذا كانت الجزئيات للموضوع كثيرة فيختار أهمها وأكثرها وقوعاً.

٦- عدم ذكر الخلاف في معاني الآيات والأحاديث، واختيار أرجحها الموافق للأدلة الصحيحة.

٧- عدم الاستطراد في جزئية من الموضوع المطروح إذا كان ليس له أهمية مناسبة في حينها.

٨- البعد عن التكلّف في إيراد الكلمات الإنشائية، وذكر مرادفات الكلمة بلا حاجة.

٩- عدم تكرار جزئيات الموضوع في جزئية أخرى، أو كثرة إعادة الجُمَل بهدف الإقناع.

١٠- ترك الإطالة في الدعاء في آخر الخطبة، والاقتصار على جوامع الدعاء.

١١- وأيضًا مما يعُين على تقصير الخطبة تذكّر الخطيب بأن من المستمعين مُبتلى بأمراض مزمنة، أو لديه مشاغل مُلحّة، أو فيه نسبة من الحضور يحتاج لهم مداراة في كسب قلوبهم للدين، وبلا شك أن إيجاز الخُطَب مكسب لهم.

وإذا كان الموضوع يحتاج لبسط أكثر لأهميته فبالإمكان تجزئته على خطبتين، أي: أسبوعين أو أكثر إذا استدعى الأمر.

(**ولا يعني إيجاز الخطبة**: ضعف الإعداد، فإن ذلك بلا شك تهاون في حمل المسؤولية من جهة، ومن جهة أخرى حرمان المستمعين من الفائدة المثمرة المرجوّة من الخطبة)، وإن كان سبق الإشارة إلى ذلك إلّا أن تأكيده هنا لأهميته بسبب انتشاره بين جملة من الخطباء.

• (مراعاة وحدة الموضوع):

بحيث يكون موضوع الخطبة بعناصره المختلفة يخدم فكرة واحدة، ويدور حولها شرحًا وتوضيحًا، وبيانًا للأدلة الواضحة المؤيدة لها، والمبرهنة عليها.

وإذا لم يلتزم الخطيب بهذه الوحدة الموضوعية، بأن جعل خطبته كشكولًا يدخل فيها عِدّة موضوعات لا علاقة ببعضها البعض فيخرج من وادٍ لآخر، فإن السامع يخرج منها مشتتًا ولا يستفيد كثيرًا.

فلا يسوغ أن تكون الخطبة خليطًا متناثرًا من القضايا والموضوعات غير المترابطة لموضوع واحد، كما لا يسوغ كثرة الاستطرادات خارج الموضوع.

• (تجميع عناصر الموضوع):

بأن تحتوي العناصر بأبرز ما يهم الناس عنه، وليس كل ما يتعلّق به، ففيه فرق بين الخطبة القصيرة المركّزة، وبين المحاضرة الطويلة المُلّمة لكل شتات الموضوع، وإذا كان الموضوع يستلزم تطويله فيُفضّل أن يكون على خطبتين، بمعنى على أسبوعين.

وعلى هذا ينبغي وضع خطة لموضوع الخطبة على شكل نقاط أو عناصر، فهذا مما يساعد على جمع الأفكار، مع تهذيب هذه العناصر وترتيبها.

ومن عناصر الموضوع الهامة:

استحضار الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية، مع التنبّه لصحة الأحاديث، وقد تيسّر ذلك – ولله الحمد والمنّة– في هذا العصر بطريقة سهلة عن طريق محركات البحث على شبكة المعلومات، ومن خلال مواقع متخصصة لذلك كمثل:

الباحث الحديثي، وملتقى أهل الحديث، ومواقع المتخصّصين في علم الحديث، وموقع: تحقق من صحة الحديث بسهولة، ونحوها.

فلا ينبغي التساهل في معرفة صحة الحديث عن طريق ما تعارف عليه الكثير من تصحيح أحد الأعلام المعاصرين، دون النظر إلى أهل أقوال العلماء المحدّثين من السلف، والذين هم أعلم وأحكم في معرفة صحة الحديث من ضعفه. (وقد سبق التفصيل في ذلك في قسم: ثقافة الخطيب، تحت عنوان: السنّة المُطهّرة، فليرجع إليه لأهميته).

مع ملاحظة: تقسيم النصوص على وفق ما تضمنته من عناصر وتوجيهات، فيرى ما يستحق الِذكر فيبقيه، وما لا يستحق أو يستغنى عنه بغيره فيتركه، على أنه ينبغي أن يقرن مع الآيات أو الأحاديث التي تحتاج لتوضيح أهم أقوال المفسّرين إن كانت من الآيات، وأرجح أقوال الشارحين للأحاديث.

وكذلك من العناصر إذا استدعى الموضوع ذلك:

مواقف من سيرته ﷺ الصحيحة، ثم من أقوال السلف الصالح الثابتة، ثم الحِكم والأمثال أو الأشعار التي لها في قلوب الناس منزلة، وتشيع بينهم على ألّا تخالف الشرع، وأيضاً الوثائق التاريخية الصحيحة، والقصص الواقعية الهادفة، ودراسات أهل الاختصاص المجّربة.

وأيضاً من العناصر التي تناسب بعض الموضوعات: ما يدخل في عناصر أهمية ومظاهر الموضوع، وعناصر أسبابه، وعناصر طرق الوقاية أو العلاج.

وهذا من العمق العلمي في الموضوع بما يناسب العامة، فلا يكفي أن يقتصر الموضوع على عبارات إنشائية، أو خواطر وأفكار شخصية.

تنبيه:

إذا لم يتعايش الخطيب مع الموضوع، أو لم تتضح معالمه وعناصره، فإرجاؤه أفضل من التعجّل في إلقائه وهو مُخلّ، علماً بأن المقصود من ذلك بأن يكون الإعداد على حسب المعقول، وليس المبالغ فيه لطلب الكمال، فالكمال عزيز، وكذلك المبالغ فيه يُفقد الإنجاز، فالمعني من ذلك: الإتقان بقدر الإمكان، فلا مبالغة ولا إخلال.

• (تقسيم موضوع الخطبة، وضرب مثال على ذلك):

المقدّمة لموضوع الخطبة:

يُحسن أن تكون مختصرة جاذبة لأسماع الحاضرين، ومحرّكة لأذهانهم، وباعثة للتطلّع إلى صلب الموضوع.

وأن يستهلها بعبارات يُشدّ فيها الانتباه، ويهيئ فيها النفوس لأهمية الموضوع، فللمقدّمة أهمية بالغة إذا أجاد فيها الخطيب الدخول إلى قلوب السامعين لجذبهم واستمالة قلوبهم.

وتُسمّى المقدّمة الجيدة: براعة الاستهلال، ومن أمثلة ذلك: أن يبدأ الخطيب بدعاء، أو فتوى، أو بسؤال، أو تعجّب واستغراب، أو نتائج حسنة أو مذمومة، أو قصة، أو موقف، أو أبيات شعرية، أو مثل دارج، أو نحو ممّا يُشدّ به الانتباه، (ويعني بذلك كلّه: طبعاً ما يتعلّق بالموضوع).

الموضوع للخطبة:

هو المقصود الأعظم، والأجمل للخطيب أن يدخل إليه دخولاً متدرجاً، بحيث يتناوله بتسلسل منطقي، مركّزاً على أهم عناصره، التي سبق إعدادها، مُدعماً ذلك بنصوص الكتاب والسنة، ثم إن احتاج لطبيعة الموضوع لأقوال السلف وأهل العلم فيضيف ذلك، أو بيان أهميته، أو أسبابه، أو طرق الوقاية والعلاج.

فالموضوع: هو جسم الفكرة الذي يحمل الإقناع والإثارة لهدف معين، وهو الذي يحمل العناصر المرتّبة التي أعدّها الخطيب لضمان تسلسل الموضوع وتدرّجه تدرجاً طبيعيًا يساعد على الاستيعاب والفهم والتأثير المطلوب.

وهذا الجزء هو أهم أجزاء الخطبة، وعمودها الفقري، ومحورها الأساسي، مع ذكر الأدلة التي تؤيد العناصر، وتخدم الفكرة الأساسية.

فمثلًا: إذا أراد الخطيب أن يتكّلم في موضوع: (الأخوّة في الله) فإنه يعمد أولًا إلى:

العنصر الأول وهو: تعريف معنى الأخوّة في الله وتمييزها عن الأخوّة في الدنيا.

ثم ينتقل إلى العنصر الثاني وهو: بيان الصفات المشروطة فيمن يختار للصحبة.

ثم إلى العنصر الثالث وهو: حقوق الصحبة من الوفاء والأمانة والعفو، إلى غير ذلك.

ثم العنصر الرابع وهو: لزوم تلك الأخوّة للمسلم والمجتمع.

ثم العنصر الخامس وهو: ذكر ثمار الأخوّة وآثارها في الدنيا والآخرة، مع ذكر عوائقها وخوارمها.

ثم أخيراً: الحذر من مصاحبة أهل السوء، وصفاتهم السيئة، وأخطار ذلك في الدارين.

مع ذكر الأدلة والاستشهادات لكل عنصر على حِدة لتأكيد ذلك.

فيمتاز الخطيب الناجح بالقدرة على تحليل هذه العناصر، وتركيب الفكرة وتنسيقها.

• الخاتمة: وأهم ما يُراعى فيها:

ألّا تكون ترديدًا للموضوع، أو إعادة له.

أن تكون ثمرة مترتّبة على العناصر والأدلة.
أن تكون واضحة وقوية حتى تكون دافعة على العمل.

الجزء الرابع: (الملحوظات المُهمّة لتحسين إعداد الخطبة):

- **(توضيح الحروف لمن يقرأ من ورقة إن لم يتيسّر طباعة خطبته التي أعدّها):**

لا بد للخطيب الذي يقرأ من ورق أن يتنبّه من الوقوع في الأخطاء، وعلى هذا فعليه توضيح الحروف، مع ملاحظة عدم السرعة عند الكتابة لتدوين الخطبة حتى لا يقع في تصحيف في الكلمات، فمثلًا: قد يكون من جرّاء عجلته أن يقرأ الخاء غينًا، أو الحاء هاءً، أو تكون النقطة بعيدة عن الحرف فتصعد إلى الحاء في سطر علوي فتصيرّها جيماً، أو تنزل على الحاء السفلية فتصيرّها خاءً، كما على الخطيب أن يراجع خطبته أكثر من مرة حتى تكون بالمستوى المأمول، وكذلك ينبغي ضبط الكلمات بالشكل مُستعينًا بمتخصص لمن كان ضعيفًا في اللغة.

- **(العناية بعلامات الترقيم والوقف):**

ينبغي أن يشير الخطيب الذي يقرأ من ورقة إلى أماكن الوقفات المناسبة وينظّمها بالتقطيع والنقاط والفواصل، كما عليه إجادة مكان أخذ النفَس حتى لا تجهض الكلمة، أو الجملة عند الإلقاء.

وهذا مهم في أن يضع الخطيب هذه العلامات مراعاة له للوقوف عندها في الإلقاء حتى لا يقع في حرج بكثرة الوقوف عند أماكن غير مناسبة.

مثال ذلك: عالي الهمة يُرى منطلقاً بثقة وقوة وإقدام نحو غايته التي حدّدها على بصيرة وعلم.

هذه الجملة قد تكون طويلة على بعض الخطباء، فيصعب عليه نطقها كلها بنفَسٍ واحد، فالأولى له: أن يضع فاصلة على مكان يقف فيه مراعاة لنفَسه.

فيفعل هكذا: عالي الهمة يُرى منطلقاً بثقة وقوة وإقدام، نحو غايته التي حدّدها على بصيرة وعلم.

- **(مراعاة أفهام الناس في ذكر المقادير العصرية التي يفهمونها):**

ومما يلحق بسهولة التعبير: ذكر المقادير الشرعية بالمقادير العصرية، فبعض الخطباء إذا تحدّث عن الزكاة مثلًا: خاطبهم بلغة الفقهاء القديمة المدّونة في الكتب ومقاديرهم، فيقول: ثلاثة أرطال بالرطل العراقي..، وزكاة الذهب كذا مثقالًا..، وزكاة الفطر كذا صاع...، وهذا يناسب الدرس العلمي وليس الخطبة الذي يحضرها عامة الناس.

وعلى هذا فعليه مراعاة أفهام الناس وذكر ذلك بالمقادير والمكاييل المعاصرة، وهذا صنيع العلماء المعاصرين عندما يوضحون ذلك في فتاويهم تلك المقادير، كما أن في ذلك إراحة الناس من عناء التفكّر والبحث، وسؤال الآخرين عمّا يقابل، ويساوي ما ذكره من المقادير الشرعية.

٠(الاستشهاد بالأمثلة من الكتاب والسنة):

من الأمور التي توضع في الحسبان عند الإعداد لبعض الخُطَب: الاستشهاد بالأمثلة، والقرآن الكريم مليء بالأمثال، حيث ضرب الله عز وجل لنا أمثلة في القرآن الكريم كثيرة، وقرّب إلى أفهامنا كثيرًا من الموضوعات بذكر المثال.

وقد ذكر أهل العلم أن أمثال القرآن قسمان: أمثال ظاهرة، وأمثال كامنة غير ظاهرة.

النوع الأول: الأمثال الظاهرة:

وهي الأمثال التي صرَّح فيها القرآن الكريم بلفظ المَثَل، أو ما يدل على التشبيه، وهي كثيرة في القرآن، وسوف نذكر نماذج لبعضٍ منها:

٠قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] الآيات، ضرب فيها للمنافقين مثلين؛ مثلًا بالنار، ومثلًا بالمطر، روى ابن أبي حاتمٍ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]، قال: "هذا مَثَل ضربه الله للمنافقين، أنهم كانوا يعتزون بالإسلام، فيناكحهم المسلمون، ويقاسمونهم الفيء، فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز، كما سلَبَ صاحبَ النار ضوءَه" (تفسير ابن أبي حاتم /١ – ٥٠).

٠وفي قوله عزّ وجل: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩]، قال المفسّرون عن المنافقين: وَالْأَشْهَرُ هُوَ الْمَطَرُ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فِي حَالِ ظُلُمَاتٍ، وَهِيَ الشُّكُوكُ وَالْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ، ﴿وَرَعْدٌ﴾ وَهُوَ مَا يُزْعِجُ الْقُلُوبَ مِنَ الْخَوْفِ، فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الْمُنَافِقِينَ الْخَوْفَ الشَّدِيدَ وَالْفَزَعَ، ﴿وَبَرْقٌ﴾ وَالْبَرْقُ: هُوَ مَا يَلْمَعُ فِي قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الضَّرْبِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ؛ وَلِهَذَا قَالَ سبحانه: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]، ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٠]، أي: يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين، ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠] أي: كلما أصاب المنافقون في الإسلام عزًّا اطمأنوا، فإن أصاب الإسلامَ نكبةٌ، قاموا ليرجعوا إلى الكفر. (تفسير ابن كثير/ ١ تفسير آيات ١٩-٢٠)

٠وفي قوله سبحانه: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، روى البخاري في صحيحه، (٤٥٣٨)عن عبيد بن عمير رضي الله عنه، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عنْه يَوْمًا لأصْحَابِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "فِيمَ تَرَوْنَ هذِه الآيَةَ نَزَلَتْ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦٦]؟ قالوا: اللَّهُ أعْلَمُ، فَغَضِبَ عُمَرُ فَقَالَ: قُولوا: نَعْلَمُ أوْ لا نَعْلَمُ، فَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: في نَفْسِي منها شَيءٌ يا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ، قَالَ عُمَرُ: يا ابْنَ أخِي، قُلْ ولَا تَحْقِرْ نَفْسَكَ، قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: أيُّ عَمَلٍ؟ قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بطَاعَةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ له الشَّيْطَانَ، فَعَمِلَ بالمعاصِي حتَّى أغْرَقَ أعْمَالَهُ".

٠وفي قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨]، روى ابن جرير الطبري عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: "فهذا مَثَل ضربه الله للمؤمن، هو طيب، وعمله طيب، كما البلد الطيب ثمره طيب، ثم ضرب مَثَل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التي لا تخرج منها البركة، فالكافر هو الخبيث، وعمله خبيث" (تفسير الطبري/١٢-٤٩٧).

٠ وفي قوله جلّ وعلا: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]، روى ابن جرير الطبري عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: "فهذا مَثَل ضربه الله، احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها، فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقينُ فينفع الله به أهلَه، وهو قوله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ وهو: الشك، ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ وهو: اليقين، كما يجعل الحلي في النار، فيؤخذ خالصه، ويترك خبثه في النار، فكذلك يقبل الله اليقين، ويترك الشك". (تفسير الطبري/١٦-٤١٠).

ثانيًا: الأمثال الكامنة غير الظاهرة:

وهي الأمثال التي لم يُصرّح فيها القرآن الكريم بلفظ المَثَل، ولكنها تدل على معانٍ رائعة في إيجاز شديد، وسوف نذكر نماذج لبعضٍ منها:

نقل السيوطي في كتابه: (الاتقان في علوم القرآن: ٤/٤١-٤٣) نقلًا عن الماوردي فقال: سمعت أبا اسحاق ابراهيم بن مضارب بن ابراهيم يقول سمعت ابي يقول: سألتُ الحسين بن الفضل فقلتُ: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله: "خير الأمور أوساطها"؟

قال: نعم، في أربعة مواضع:

قوله تعالى: ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

قلت: فهل تجد في كتاب الله: "مَن جهِل شيئًا عاداه"؟
قال: نعم، في موضعين: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩]، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

قلت: فهل تجد في كتاب الله: "احذَرْ شرَّ مَن أحسنتَ إليه"؟
قال: نعم، ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٧٤].

قلت: فهل تجد في كتاب الله: "ليس الخبر كالعيان"؟
قال: في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

قلت: فهل تجد: "في الحركات البركاتُ"؟
قال: في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠].

قلت: فهل تجد: "كما تَدين تُدان"؟
قال: في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

قلت: فهل تجد فيه قولهم: "حين تقلي تدري"؟
قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٢].

قلت: فهل تجد فيه: "لا يُلدَغ المؤمن مِن جحرٍ مرتين"؟
قال تعالى: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ٦٤].

قلت: فهل تجد فيه: "مَن أعان ظالِمًا، سلّط عليه"؟
قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤].

قلت: فهل تجد فيه: "للحيطان آذان"؟
قال تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

قلت: فهل تجد فيه "الحلال لا يأتيك إلا قوتًا، والحرام لا يأتيك إلّا جزافًا"؟
قال تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

ومن السنة المطهرة: فقد كان يضرب ﷺ أثناء عرضه للمواضيع المختلفة أمثلة مختلفة تناسب الأفكار التي يريد إيصالها للناس.

فقد ضرب لنا: مثل حامل المسك، ونافخ الكير في موضوع الجليس الصالح وجليس السوء، كما في الحديث الذي رواه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨) باختلاف يسير، قال ﷺ: (مَثَلُ الجليسِ الصالحِ ومثلُ جليسِ السوءِ كحاملِ المسكِ ونافخِ الكيرِ..) الحديث.

• **وضرب المثل: بالنخلة في المؤمن** في انتفاعه ونفعه للناس والآخرين بكل وسيلة، كما في الحديث الذي رواه البخاري (١٣١)، ومسلم (٢٨١١) باختلاف يسير، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: (إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ ورَقُها، وهي مَثَلُ المُسْلِمِ، حَدِّثُونِي ما هي؟) فَوَقَعَ النّاسُ في شَجَرِ البادِيَةِ، ووَقَعَ في نَفْسِي أنَّها النَّخْلَةُ، قالَ عبدُ اللَّهِ: فاسْتَحْيَيْتُ، فَقالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، أخْبِرْنا بها؟ فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: (هي: النَّخْلَةُ) قالَ عبدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أبِي بما وقَعَ في نَفْسِي، فَقالَ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَها أحَبُّ إلَيَّ مِن أنْ يَكونَ لي كَذا وكَذا.

• **وضرب لنا مثل خرق السفينة** في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لّما أراد أن يخرقوا السفينة ليأخذوا الماء، فلو أن أهل السفينة تركوهم لغرقوا أجمعين، كما في الحديث الذي رواه البخاري (٢٤٩٣): قال ﷺ: (مَثَلُ القائِمِ على حُدُودِ اللَّهِ والواقِعِ فيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا على سَفِينَةٍ، فأصابَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وبَعْضُهُمْ أسْفَلَها، فَكانَ الَّذِينَ في أسْفَلِها إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا على مَن فَوْقَهُمْ، فقالوا: لو أنّا خَرَقْنا في نَصِيبِنا خَرْقًا ولَمْ نُؤْذِ مَن فَوْقَنا، فإنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أرادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وإنْ أخَذُوا على أيْدِيهِمْ نَجَوْا، ونَجَوْا جَمِيعًا).

• **واستعمل ﷺ أشياء مختلفة، فمثلًا: استعمل التمرة**، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٤١٧)، ومسلم (١٠١٦)، قال ﷺ: (اتَّقوا النّارَ ولو بِشِقِّ تَمرةٍ).

• **وكذلك استعمل البعوضة** لما قال ﷺ: (إنَّه لَيَأْتي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَومَ القِيامَةِ، لا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ، وقالَ: اقْرَؤُوا: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْنًا﴾) [الكهف: ١٠٥]، كما في الحديث الذي رواه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

• **وخاتم الحديد** لّما قال ﷺ للرجل الذي يريد أن يتزوج: (التمِسْ ولَو خاتمًا مِن حديدٍ)، كما في الحديث الذي رواه البخاري (٥١٣٢)، ومسلم (١٤٢٥).

• **وقضيب الأراك** لّما قال ﷺ: (منِ اقتطعَ حقَّ امرئٍ مسلمٍ بيمينِهِ فقَد أوجبَ اللَّهُ لهُ النّارَ وحرَّمَ عليهِ الجنَّةَ) فقال رجلٌ: وإن كانَ شيئًا يسيرًا، قال: (وإن كانَ قضيبًا من أراكٍ)، رواه مسلم (١٣٧).

• **واستعمل الإبرة** في قول ربنا عز وجل في الحديث القدسي: (ما نقصَ ذلِكَ ممّا عندي شيئًا إلّا كما ينقصُ المخيَطُ إذا أُدخلَ البحرَ) رواه مسلم (٢٥٧٧).

• **واستعمل الحبة من خردل** كما قال ﷺ: (لا يَدْخُلُ النّارَ أحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن إيمانٍ، ولا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن كِبْرِياءَ) كما رواه مسلم (٩١).

• وغير ذلك، مما يعني أن ضرب الأمثلة في المواضيع الملقاة يكون عاملًا من عوامل التشويق، وسببًا من أسباب التفهيم وتقريب الفكرة، وهو تنويع جيد.

• (الدعاء في الخطبة، وحسن توظيفه للخطبة):

من الحكمة توظيف الدعاء في آخر الخطبة الأولى والثانية بجعله أسلوبًا من أساليب الدعوة بما يوافق موضوع الخطبة، مع الحرص على ما ثبت في السنة النبوية الصحيحة من جوامع الدعاء، ولا حرج من الدعاء في بعض الخطب بالأدعية التي يحتاجها الناس بتفريج الكروب، وشفاء الأمراض، والرزق الطيب، والسعادة، وراحة البال، والتآلف والمحبة، وقبل ذلك الدعاء بصلاح القلوب والأعمال، والتوبة النصوح والمغفرة والتقوى والاستقامة.

وكذلك الدعاء بصلاح الحكّام والأمراء والعلماء والشباب والنساء، وجميع المسلمين، والدعاء بالمغفرة والرحمة للأموات، والنصر على أعداء الدين، وأن يتم علينا نعمة الأمن والإيمان.

• وما سبق ذكره من هذه الأدعية ونحوها يكون بعضها في بعض الخُطَب، وبعضها في غيرها حتى لا يقع الخطيب في اعتياد الأدعية بنفسها في كل خطبة، وأيضًا حتى لا يطيل على المصلين فيملّوا من ذلك، ولا تحضر قلوبهم في الدعاء.

• (ثلاث صفات للاستفادة من خطب الخطباء: لمن كان مشغولًا بأمور تهمّه عن الإعداد للخُطَب، أو من كان مبتدئًا في الخطابة):

الأولى: أن تكون قصيرة، حتى لا يتعنّى في إلقائها، (خاصةً للمبتدئ).

الثاني: أن تكون سليمة علمياً ونحويًا، (والمبتدئ أو قليل العلم، عليه أن يعرضها على طالب علم حتى لا يقع في خلَل علمي أو زلل فكري).

الثالثة: أن تكون بعيدة عن التكلّف لفظاً ومضمونًا.

ولا بأس مع مرور الأيام للمبتدئ أن يُعدِّل، أو يزيد ما يراه مناسباً، ثم يحاول بعد ذلك أن يكتب الخطبة بنفسه، مستفيداً ممن سبقه، وممّا يعينه على ذلك بعد الاستعانة بالمعين -سبحانه-؛ سعة إطّلاعه وثقافته مع ما سبق ذكره في طرق الإعداد.

- **(مقترحات وملحوظات):**

- اجتماع الخطيب مع خطباء آخرين، اجتماع دوري لطرح ما يفيد كلاً منهم الآخر.
- الحرص على الاطّلاع المتنوّع مع طلب العلم.
- اختيار نخبة من الأصفياء للمراجعة والمناقشة حول الخُطّب.
- الاستفادة من تجمّعات الناس، والتعرّف على أحوالهم العامة.
- إعداد الخُطّب على أنها مؤلّف في المستقبل، أو أصول لموضوعات مُعيّنة.
- الابتعاد عند النقد من تجريح أشخاص أو دوائر أو مؤسّسات، وإنما نقد الأفكار والمناهج مع بيان الحلول والبدائل.

الجزء الخامس: (التوازن في عرض القضايا المختلفة):

- **(ما يتعلّق بالنصوص الشرعية):**

من الخطباء من يحشد نصوص شرعية من الكتاب والسنة دون ايضاح مستنبط لأهمها، ومنهم من يملأ خطبته بالآيات ويترك الأحاديث أو العكس.

وعلى هذا ينبغي للخطيب التنبّه للموازنة في ذلك، فيعمد إلى أهم النصوص من الكتاب والسنة التي تخدم الموضوع الذي يطرحه، فلا يأتي بكل النصوص، وإنما أهمها واقربها لموضوعه، وإن لاحظ أن من النصوص ما يستدعي توضيحه أو التعليق عليه فليرجع لكلام المفسّرين إن كانت النصوص من الآيات، ويرجع لشرّاح الحديث إن كانت النصوص من الأحاديث.

مع العناية بالرجوع إلى الآيات من القرآن، وليس من المحفوظ، وأيضاً تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها، دون أن يجنح الخطيب لذكر تفصيلي لمن خرّج الحديث أو الأثر أو من صحّحه، لأن ميدان الخطبة يضم عامة الناس، وليست كالدرس العلمي الخاص بطلبة العلم، وإنما يُحسن بالخطيب ذكر من خرّج الحديث أو الأثر ومن صحّحه باختصار ليستفيد من يرغب التثبّت منه.

وقد يضطر الخطيب في حالة استثنائية عندما تنتشر بعض الأحاديث الضعيفة في حكم مسألة مرجوحة عبر الإعلام أو وسائل التواصل الاجتماعي؛ أن يوضّح بطريقة إجمالية بأن هذه الأحاديث مثلاً ضعّفها جمع من أهل العلم ويذكرهم باختصار، دون الخوض في تفاصيل الإسناد.

- **(فيما يخص الأحاديث النبوية):**

كما أن الخطيب يلزم عليه التثبّت من صحة الأحاديث في غير الصحيحين عن طريق المواقع المتعلّقة بتخريج الحديث، وبيان درجة الحديث صحةً أو ضعفاً -كما سبق إيضاحها-؛ فكذلك يتنبّه للروايات الزائدة على الحديث الذي استشهد به إن وجدت، فيستوثق من صحتها، فقد تكون الرواية الزائدة فيها فوائد مهمة لتتمة الحديث الأصل.

مع التأكيد على ضبط لفظ الحديث، فلا ينبغي الخطيب أن يقول: (بما معناه)، لأنه في مقام توجيه وتعليم، كما إن الإخلال بلفظ الحديث قد يُغيّر من معناه، وأيضاً عليه الرجوع إلى شرح الحديث من كلام أهل العلم، حتى لا يستنبط من الحديث ما لا يتفق مع فحواه، وخاصّة الأحاديث المتعلّقة بالأحكام العقدية والفقهية وأشراط الساعة والفتن.

كما يجدر بالخطيب تنزيل الأحاديث النبوية وقبلها الآيات القرآنية على الموضوع المراد إرشاد الناس فيه، ولا يتشعّب في ذلك بآيات وأحاديث ليس لها علاقة بالموضوع.

وقد سبق التفصيل في: (استدلال الخطيب بالسنة) في قسم: (ثقافة الخطيب)، تحت عنوان: (السنّة المُطهّرة)، فليرجع إليها من أراد الاستزادة.

- **(ما يتعلّق بالاستفادة من الوسائل الحديثة للإعلام والاتصال وتناقل المعلومات):**

ينبغي للخطيب إذا احتاج لذلك أن يكون مستنده الرجوع إلى المواقع العلمية الموثوقة التي يشرف عليها أهل العلم الثقات من أهل السنة، وكذلك بحوث أهل العلم، وفتاويهم من مواقعهم الرسمية، وليس ما يُنقل عنهم.

وأيضاً على الخطيب أن يكون له بصمته وتميّزه عند الاستفادة من الخُطَب على الشبكة العالمية، بحيث يُقرن مع الاستفادة من عناصر الخُطَب ومباحثها؛ الإضافة عليها من سعة بحثه واطّلاعه وثقافته بأسلوبه الخاص، ولا يكن من الذين ينقلون الخُطَب كما هي، أو ممّن يقتصر على أحدها، فيفوت عليه جوانب أخرى مهمة.

بالإضافة إلى بحث النصوص الشرعية من الكتاب والسنة التي في ثنايا الخُطَب بحيث يرجع للآيات الكريمة والأحاديث النبوية بنفسه، ويتثبّت من تخريج الأحاديث والتأكّد من صحتها من خلال المواقع المتعلّقة بتخريج الأحاديث ودرجة صحتها من ضعفها، بل وكذلك بحث الآثار السلفية، ونقولات أهل العلم، أو المعلومات التي في ثنايا الخُطَب، ولا يُعتمد على شهرة الخطباء فيزهد في ذلك.

فينقل الخُطَب دون أن يكون له أثر واجتهاد في إخراجها على الوجه الذي يرضي الله تعالى ثم ضميره، واحترامه لعقول الناس الذي يتصدّر لهم.

بل وفي هذا الجهد المتميّز هو المستفيد والمطوّر لمهارات بحثه وثقافته وإعداده، وهذا من دلالة إخلاصه وإحسانه الذي يوقن أن رب العالمين يراه ويثيبه عليه، كما قال سبحانه: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [التوبة:١٠٥]، وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم، (١٩٥٥): (إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإحْسانَ على كُلِّ شيءٍ).

• (ما يتعلّق بجانب الوعظ والرقائق):

كما إن الوعظ والرقائق في الخُطَب مطلوب؛ إلّا إنه ينبغي الموازنة في ذلك، فلا يهمل الخطيب الأبواب الأخرى من العقيدة والعبادات والحقوق والأحداث والمواسم والفضائل والمنهيات.

ولكن يؤكّد في جانب الوعظ والرقائق على أمور هامة، منها:

أن لا يوغل في الترقيق حتى يأتي بالغريب والمنكر من الأخبار والقصص، ولا يكون جافاً فيجعل خطبته عن الترقيق، وهي خالية ممّا يرقق القلوب من النصوص الشرعية الثابتة من الكتاب والسنة أو الآثار السلفية أو أبيات الشعر المؤثّرة أو القصص الواقعية الهادفة.

كما ينبغي أن يكون الخطيب متوازناً في أسلوب العرض، فلا يتكلّف الخشوع والبكاء، فيكون ممجوجاً مستهجناً عند المستمعين، وكذلك في المقابل لا يكون بارداً في عرض خطبته عن الرقائق وكأنه يقرأ صحيفة، وممّا يقوي أسلوب العرض هذا: أن يكون صادقاً مع نفسه، مزكّياً لها بالطاعات والقربات، مُبتعداً عن المنهيّات وضياع الأوقات، فتجد لهذا الخطيب المتقي في خطبته من الموعظة ما يدخل إلى القلوب بلا استئذان (نسأل الله لنا جميعاً من فضله).

وأيضاً يُنبّه في جانب الوعظ أن يكون متوازناً في الترغيب والترهيب، والرجاء والخوف، والمغفرة والعذاب، فلا يجنح دوماً إلى الترهيب دون الرجاء، كمن يكثر من ذكر الموت وعذاب القبر وشدّة الحساب والنار، ممّا يؤدي بعض المستمعين له للقنوط من رحمة الله، وأيضاً لا يكن ديدنه الترغيب والمغفرة والجنة وما فيها من ألوان النعيم، ممّا قد يؤدي المستمعين إلى الغرور والتساهل في المعاصي.

كما عليه أن يكون في وعظه مخاطباً للقلب والعقل، فكما أن العاطفة في الوعظ مطلوبة؛ فكذلك إثراء العقل مع العاطفة بحسن معالجة الموضوع الوعظي في عرض أسبابه وطرائقه، حتى لا يكن الوعظ انشائياً عاطفياً.

• (فيما يتعلّق بإنكار المنكرات):

ينبغي للخطيب أن يكون ضمن خُطَبه إنكار المنكرات، وتحذيراً من المنهيات، ويراعي في ذلك:
الموازنة في إنكار المنكرات، فلا تكون الخُطب كلها في المنكرات ويهمل الحديث عن الجوانب الأخرى التي سبق توضيح التوازن فيها، كما عليه ألّا يترك الحديث عن المنكرات، فلا يأتي عليها.
وأيضاً على الخطيب في إنكاره للمنكرات وتحذيره للمنهيات أن يركّز على التحذير من الكبائر التي يكثر وقوعها من الناس، والتي قد عمّت وطمّت.
وفي إنكار المنكر يكون متوازناً، فلا يزيد على حقيقته ويهوّله، ويصوّره تصويراً أكبر من حجمه الصحيح ليشحن عواطف الناس ضد المنكر وأهله، ولا يهوّن من شأنه ويستصغره وهو من الكبائر أو من المنهيّات المترتّب عليها مفاسد، بحيث يعرض له وكأنه يروّج له أو يهوّن من إنكار الناس له.
والخطيب إذا ألتزم بالنصوص الشرعية الثابتة في إنكار المنكر وتحذير أهل العلم الثقات منه بناءاً على شرحهم لتلك النصوص؛ فإنه سيكون متوازناً في ذلك.
وتبعاً للتحذير من المنكرات، على الخطيب أن يكون مستشرفاً للواقع جيداً حتى يرهّب من المنهيّات التي يتوقّع حدوثها.

- **(في النوازل المستجدّة التي تتعلّق باحتلال بلاد المسلمين من أهل الكفر والطغيان):**

على الخطيب ألّا يهمل ذلك بالكلية ويغرق في المحلّية فيبتر المصلين معه عن إخوانهم في مشارق الأرض ومغاربها؛ فإن خطبة الجمعة من الميادين المهمة لترسيخ الولاء والبراء، والاهتمام بمآسي المسلمين، وبيان ما يجب علينا تجاه إخواننا من النصرة بالمال أو النفس وبالدعاء، والعبرة بما حلّ بهم، ومحاسبة النفس، وتعجيل التوبة، والحذر من الظلم والمجاهرة بالمعاصي وبطر النعمة.
وأيضاً لا يكون دأب الخطيب الحديث عن أحوال المسلمين في الشرق والغرب، ويهمل قضايا مجتمعه، فالأقربون أولى بالمعروف، فالواجب عليه أن يعطي كل ذي حق حقه.
كما على الخطيب أن يتلّمس في ذلك العِبَر والحِكَم بعيداً عن الإغراق في التحليلات السياسية التي يقع فيها بعض الخطباء، ولا يعني ترك الإشارة إلى ما يتعلّق بالسياسة، فالسياسة من الدين، ولكن المقصود الإغراق والمبالغة في الجانب السياسي على جوانب أخرى مهمة، كمثل:
أهمية العدل في توطيد الأمن والاستقرار، وشدّة حاجة الناس إليه، وعاقبة الظلم والظالمين، وكثرة الفتن والاضطراب في آخر الزمان، وقدرة الجبّار جلّ في علاه على إعزاز من يشاء وإذلال من يشاء، وأنه مالك المُلك يؤتيه من يشاء، وينزعه ممن يشاء.

• **(فيما يتعلّق بالنوازل الكارثية):**

كالزلازل، أو الفيضانات، أو سوء الأحوال الجوية، أو الجائحات، أو نحوها.

على الخطيب ألّا يهمل عرض مثل هذه النوازل الكبيرة في خُطَبه، لأن الناس إذا نزلت نازلة رغبوا من الخطيب الحديث عنها، وفي المقابل: لا يجعل كل حادثة صغيرة نازلة، فيكون كثير الحديث عن النوازل ويهمل الموضوعات الأخرى.

كما عليه أن يُحسن تشخيص النازلة، فلا يهوّلها ويعطيها أكبر من حجمها، ولا يصغّرها وهي كبيرة.

وأيضاً على الخطيب بيان أنها عقوبات لمن أصابتهم، وكانوا ممّن يستحق العقوبة، وابتلاء لمن لا يستحقونها، ورحمة وإنذار لمن سلموا منها، وتخويف لعموم الناس، وإظهار لقدرة الرب –جلّ جلاله– عليهم، كما قال تعالى: (وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) [الإسراء:٥٩]، وهذا دليل على القدرة الباهرة للجبّار جلّ في علاه أن يجعل في النازلة الواحدة: رحمة وعذاباً وابتلاء وتخويفاً وإنذاراً.

وقد تصيب الكارثة مسلمين عقوبة لهم، ويسلم منها كفار ومنافقون استدراجاً أو إمهالاً، أو ابتلاء للعباد؛ فإن الحق والباطل، والإيمان والكفر، ابتلاء يبتلي الله تعالى به عباده.

ولابد أن نوقن أن الله عز وجل لا يظلم أحداً، وأن أفعاله سبحانه بين العدل والرحمة، ورحمته تسبق غضبه.

وتلمّس لطف الله ورحمته بعباده ونعمته عليهم، حتى على المصابين منهم؛ إذ لم يكن الأمر أشدّ مما أصابهم، وتذكير الناجين من النازلة، ومن لم تصبهم نعمة الله بالنجاة.

واجتهاد الخطيب في الربط على قلوب الناس وتثبيتهم، وتعليق قلوبهم بالله تعالى، ودوام التمسّك بدينه، فإن العقول تطيش من هول الكارثة، وقد ينحرف كثير من الناس بسببها في باب القدر من شدّة الفاجعة، وفقد المال والأهل والولد، فيحتاجون إلى تثبيت وتصبير.

وعلى الخطيب كذلك أن يركّز على التوكل على الله عز وجل، وتعلّق القلوب به وحده دون سواه، وبيان الحِكَم في ابتلاءاته –سبحانه– لعباده، وكيف يواجهها المؤمن بالصبر والاحتساب والأجور العظيمة المرتّبة عليها، مع توجيه النظر إلى من هو أسفل منهم في النِعَم، كما أرشد الشرع، ويدخل في ذلك: من أشد منهم في البلاء.

• **(في عرض الخطيب لمآسي المسلمين، ومكر الكفار والمنافقين):**

ينبغي أن يوازن بين الفأل واليأس، فلا يزيد في الفأل حتى يجعل المستمعين يتكّلون عليه ولا يعملون شيئاً لدينهم ومجتمعهم وأمّتهم، ولا ييأسهم من النصر والتمكين ويبالغ في غلبة الكفار والمنافقين ومكرهم بأمة الإسلام؛ فإن اليأس

يؤدي إلى الإحباط وترك العمل، كما يُشبع السامعين بأن ما يجري من أحداث سياسية واقتصادية ونحوها لا يخرج عن مؤامرة محبوكة لن ينجو منها أحد.

ويغفل الخطيب عن سنن التدافع بين أهل الحق وأهل الباطل، وكذلك مكر الله بمن يمكر بأهل دينه من الكفار والمنافقين، وأن العاقبة للمتقين إذا أخذوا بأسباب النصر.

- **(فيما يتعلّق بالقصص والمواقف):**

على الخطيب الموازنة في قبول القصص وعرضها، فلا يعرض عمّا فيه عبرة وعِظة، وإبراز الفوائد المستفادة من القصص الثابتة الصحيحة سواء كانت من القرآن أم من السنة أو من أخبار السلف أو التاريخ أو من الواقع المعاصر، لأن في القصة تأثير كبير في نفس سامعها لأسباب أهمها:

١-ولع الإنسان بالقصص وميله لها.

٢- أن القصة أقوى في التأثير من التوجيه المباشر.

٣- أن القارئ يستوعب معانيها لأنه يعيش بكليته معها فتؤثر فيه.

٤- أنها أداة سهلة للفهم وتحظى بالقبول من العامة، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: ما أحوج الناس إلى قاص صادق، (كما ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين، ٣٥/١).

ومن جهة أخرى على الخطيب ألّا يكون متساهلاً في قبول كل قصة سمعها أو قرأها، (ويعني بذلك غير قصص القرآن والسنة الصحيحة)، مما يفقد مصداقيته إذا انتقده من له معرفة جيدة ببطلان هذه القصة، لذا على الخطيب أن يكون متثبتاً عند ذكر قصة قرأها، وإن كان قد سمعها فلا يجزم بوقوعها، وهو لم يقف عليها، وإنما يقول: نُقل لي كذا إن صح، مع ابتعاده عن القصص التي فيها غرابة شديدة حتى لو كانت صحيحة، إذ قد لا يصدقها العقلاء المستمعين له فيُفقد ثقتهم به.

مع ملاحظة: عدم إكثار الخطيب من القصص، فيكون ذلك جُلّ همّة، فيُصبح حاله كحال القصّاص والإخباريين.

- **(وفيما يتعلّق بقصص السنة النبوية):**

وقبل الحديث عنها، يُنبّه أن قصص القرآن الكريم يقرأها الكثير، ولا يعني ذلك التزهيد فيها، بل ينبغي للخطيب ذكر ما يراه مناسباً منها لموضوعه، مع الرجوع لتفاسير أهل السنة الموثوقة لُيحسن عرضها، بينما كثير من قصص السنة لا يعرفها كثيراً من الناس، بل حتى جملة من الخطباء، لذا وضّح أهميتها، وفُصّل فيها، وكيفية عرضها في الخطبة.

فأهمية قصص السنة تظهر من نواحي عدّة، فمن ذلك:

أولاً: أنها غيب كشفه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، فأدّاه النبي عليه الصلاة والسلام كما تحمّله، وهو الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤].

ثانياً: أنها تُفصّل وتوضّح تفاصيل دقيقة لا يفصّلها القرآن، وذلك لطبيعة السرد الإجمالي في القرآن.

ثالثاً: انتقاء الأسلوب، فليس أسلوبها متكلفاً متقعراً ولا مبتذلاً رخيصاً، كحال كثير من المؤلفين للقصص، والملاحظ أنه إذا قرأ أئمة المساجد شيئاً من قصص السنة على العوام فإنهم يفهمونها، ويتأثرون بها.

رابعاً: النزاهة والعفة، والتعريض في المواضع الخاصة دون التصريح، نحو: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته.

وبهذا نعلم قذارة الرواية الغربية، ومقلدتها الليبرالية العربية حين تمتلئ بالمشاهد الجنسية الفاضحة، وتصفها وصفا دقيقاً لتهييج الغرائز، وسحب قارئها إلى الشهوة، وكأن هذه الإثارة الرخيصة مقصودة لستر ضعف البنية القصصية في تلك الروايات الساقطة.

خامساً: عدم الوقوف طويلاً عند مواقف الضعف والهبوط البشري فيمر بها سريعا لأنها ليست الأصل في المؤمن المحب للخير والعفة، وليست الهدف من القصة، وحالات الضعف هي استثناءات في هؤلاء الضعفة من المؤمنين وعارض عرض لهم.

سادساً: الإسراع في القصة إلى لحظة الإفاقة والتركيز عليها والإشادة بها لأنها اللحظة اللائقة بالمؤمن.

وأما تقسيمها من جهة الطول والقصر، وكيفية سردها في الخطبة، فتوضيح ذلك:

من قصص السنة النبوية ما هو طويل: كقصة الإفك، وتوبة كعب بن مالك رضي الله عنه، وقصة بدء الوحي، وقصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهاجر رحمها الله، ونحوها.

ومنها ما هو متوسط: كقصة الثلاثة المبتلين: الأعمى والأبرص والأقرع، والثلاثة أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة، والبقرة التي تكلمت، ونحوها.

ومنها ما هو قصير: كقصة الرجل الذي أوصى بأن يحرق ويذر رماده، وقصة الذي اشترى عقاراً فوجد في أرضه ذهباً، وقصة عيسى عليه الصلاة والسلام مع السارق، ونحوها. (علماً بأن هذه القصص ثابتة في الصحيحين، أو أحدهما).

والقصص الطويلة من المستحسن أن يستوعب بها الخطيب الخطبة الأولى كاملة، ويختصر في مقدمة الخطبة حتى لا يطيل على الناس، وفي الخطبة الثانية يأتي على أهم ما في القصة مما يحتاج الناس إليه، وهذا يختلف باختلاف الزمان والمكان والحال؛ فمثلا لو خطب بحديث الإفك؛ لأن بعض أهل الضلال وقع في عرض عائشة رضي الله عنها فهو في الخطبة الثانية سيبين أن رمي عائشة رضي الله عنها كفر لأن فيه تكذيباً للقرآن الكريم، ومن كذّب بالقرآن فقد كفر،

أو يتناول حال المنافقين في القديم والحديث، أو يذكر فضل عائشة رضي الله عنها بتبرئة الله تعالى لها، وقد يتحدّث عن كل ذلك باختصار.

وقد يسوق القصة لغرض بيان شدة القذف، وخطر الشائعة، وهنا سيكون تركيزه في الخطبة الثانية على الأضرار التي تسببت لبيت النبوة بسبب هذه الشائعة الخطيرة.

وقد يسوق القصة لأغراض تربوية، فيستخلص منها المواقف التربوية للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحادثة، ولعائشة وأبويها وبعض الصحابة المذكورين في القصة رضي الله عنهم.

وعلى الخطيب أن يحدد الغرض الذي ساق القصة من أجله، حتى يُمكنه التركيز عليه وإبرازه في الخطبة الثانية، ومن الخطأ أن يظن أنه سيأتي على فوائد القصة كلها؛ لأن ذلك سيطول جداً ويشتت السامعين.

ولا مانع من أن يُعيد ذكر القصة بعد زمن، وفي كل مرة يبرز في الخطبة الثانية جانباً مهماً مما يستفاد منها مما تمس الحاجة إليه، فتكون الخطبة الأولى مكرره عن طريق عرض القصّة، والخطبة الثانية مختلفة.

وإذا كان للقصة أكثر من رواية طويلة أورد في كل مرة رواية من رواياتها حتى يأتي على جميعها كما هو فعل حذّاق المحدّثين كالبخاري رحمه الله تعالى.

وأما القصص المتوسطة في طولها ففيها سعة بإبراز فوائدها وعبرها ودروسها، وللخطباء في ذلك طريقان:

١- أن يذكر فوائد القصة ودروسها أثناء سرد القصة، وهذا يحتاج إلى براعة في الصياغة وفي انتقاء الدروس والعبر؛ لئلا يشتت ذهن السامع فينسى القصة، وميزة هذه الطريقة أنها أكثر اختصاراً للخطبة، وتدل السامع على موضع الشاهد من القصة لكل فائدة استخلصها الخطيب، وهذه الطريقة تشبه شرح القصة أو الحديث وتفكيك عباراته، لكن على من ينزع إلى هذه الطريقة أن ينتبه لئِلا يحول الخطبة إلى درس أو شرح، ويبقي على أسلوبها الخطابي، وقليل من الخطباء من يبُرع في ذلك.

٢- أن يسرد القصة أولاً، ثم يأتي على دروسها وفوائدها مُذكراً بالشاهد منها في كل فائدة، وميزة هذه الطريقة أنها تعطي السامع القصة كاملة بلا تدخل من الخطيب، وهذا أجمع لقلبه، وأكثر تأثيراً عليه، وهي أسلم للخطيب الذي لا يتقن إدخال الفوائد والمسائل في داخل القصة دون أن يشوش على السامع أو يصيبه بالملل لانقطاع القصة، ولكن هذه الطريقة فيها شيء من التكرار؛ لأن الخطيب يسوق القصة كاملة، ثم يعيدها أو جزءا منها في الفوائد حين يذكر الشواهد على كل فائدة.

وأما النوع الثالث وهو القصص القصيرة، فهي على نوعين:

١- أن يكون فيها من الفوائد ما يغطي الخطبة، فيفردها بخطبة.

٢- أن تكون قصيرة جداً وفوائدها ليست كثيرة، وهذه لا بد أن يعضدها بمثيلاتها من القصص أو النصوص؛ لأنه لو اعتمدها كما هي فسيضطر لإطالة المقدمة والخاتمة ليغطي قصر الخطبة، أو يُكثر من الكلام الإنشائي الذي لا فائدة

منه، أو يعمد إلى التكرار واللت والعجن في الخطبة، وكل هذه من مفسدات للخطبة، وتصيب السامع بالملل والامتعاض.

وينبغي للخطيب في اختياره لقصة من القصص النبوي لتكون موضوع خطبته مراعاة ما يلي:

أولاً: التأكّد من صحة القصة المختارة، وقد سبق التفصيل في: (استدلال الخطيب بالسنة) في قسم: (ثقافة الخطيب) تحت موضوع: (السنة المُطهّرة)، فليرجع إليها من أراد الاستزادة.

ثانياً: نقل القصة من المصدر الأصلي لها، وعدم الاعتماد على المصادر التي نقلت عن الأصل؛ لزيادة التوثيق، والسلامة من الخطأ والتحريف والتصحيف.

ثالثاً: جمع روايات القصة سواء عن الصحابي نفسه أو عن غيره من الصحابة، فقد يكون فيها زيادات مهمة تزيد القصة وضوحا وتشبعها معنى وأثرا.

ويجب على الخطيب كما استوثق من ثبوت أصل القصة أن يستوثق من ثبوت الروايات الأخرى للقصة؛ لأنه ليست كل زيادة صحيحة بل قد تكون شاذة أو ضعيفة أو مُنكرة، وقد تعارض القصة الأصل مما يؤدي إلى التناقض والتشويش على الناس.

رابعاً: يختار من روايات القصة أصحّها وأتمها، فإن وجدت عنده رواية اتفق الحُفَّاظ أو الشيخان عليها، وواحدة انفرد بها أحد الحفاظ دون غيره، أو خرجها أحد الشيخين، فليعتمد الرواية التي عليها أكثر الحفاظ أو المتفق عليها؛ لأنها أقوى وأبعد عن الغلط.

فإن كانت الرواية الأصح مختصرة، والأقل صحة أتم منها، فلا شك أن اعتماد الرواية الأتم فيه فائدة أكثر، لكن بشرط أن تكون صحيحة ولا تخالف الرواية المختصرة فتكون شاذة، ولو جمع بينهما فجعل الرواية الأقوى هي الأصل، ثم أعقبها بالرواية الأتم منها لكان محققاً للغايتين؛ إذ يعلم الناس أن الرواية المختصرة هي الأقوى، والثانية هي الأتم.

وسياقه للرواية التامة للقصة يريحه أثناء إضافته للزيادات الصحيحة عليها من الروايات الأخرى؛ إذ في الغالب أن الزيادات تكون قليلة لتمام الرواية التي ساقها، وهذا يكون أشدَّ بناء للقصة، وأَنْظَمَ لسياقها، وأقل تشويشاً على السامع فينسجم مع القصة النبوية.

- **(فيما يتعلّق بنقولات المفكّرين سواء كانوا مسلمين أم من الكفار):**

على الخطيب أن يحرص أن يكون العمود الفقري لخطبته قائماً على نصوص الكتاب والسنة وما يخدمهما من آثار السلف وكلام أهل العلم.

وعلى هذا فإن احتاج موضوعه لنقولات من المفكّرين بما لا يتعارض مع الشرع؛ فيكون بعد ما سبق ذكره، ولا تكن أقوال المفكّرين مُقدّمة على نصوص الوحي وما يخدمه، فإن المقصود الأسمى من الخطاب الدعوي تعظيم ذلك، لا الاعتماد فقط على أقوال مفكّرين.

- **(فيما يتعلّق بمن يخطب في القرى النائية والبوادي):**

من الخطباء من لا يُحسن التوازن بين ما ينبغي عرضه من الخُطَب على أهل المدن التي غالب أهلها من المتعلمين والواعين والمثقفين، وبين عامة أهل القرى النائية والبوادي التي يغلب عليهم كثرة الجهل والوقوع في خرافات وضلالات، وإن كان منهم من هو على الفطرة السليمة وقريب من الخير.

فعلى الخطيب مراعاة اختيار الموضوعات المناسبة لهم من التأكيد على تعليم أصول العقيدة والتحذير من نواقضها وأحكام الطهارة والصلاة وبيان مخالفاتها بطريقة مُبسّطة، مع الترهيب من الجهل والسحر والخرافات وغير ذلك ممّا يدركه الخطيب من واقع حال من يخطب إليهم.

ويراعي في ذلك اختيار الكلمات المفهومة لديهم، والبعد عن الألفاظ التي لا يفهمها إلّا المتعلّمين، كما ينبغي له أن يُحسن طريقة الإلقاء السهلة التي تناسبهم.

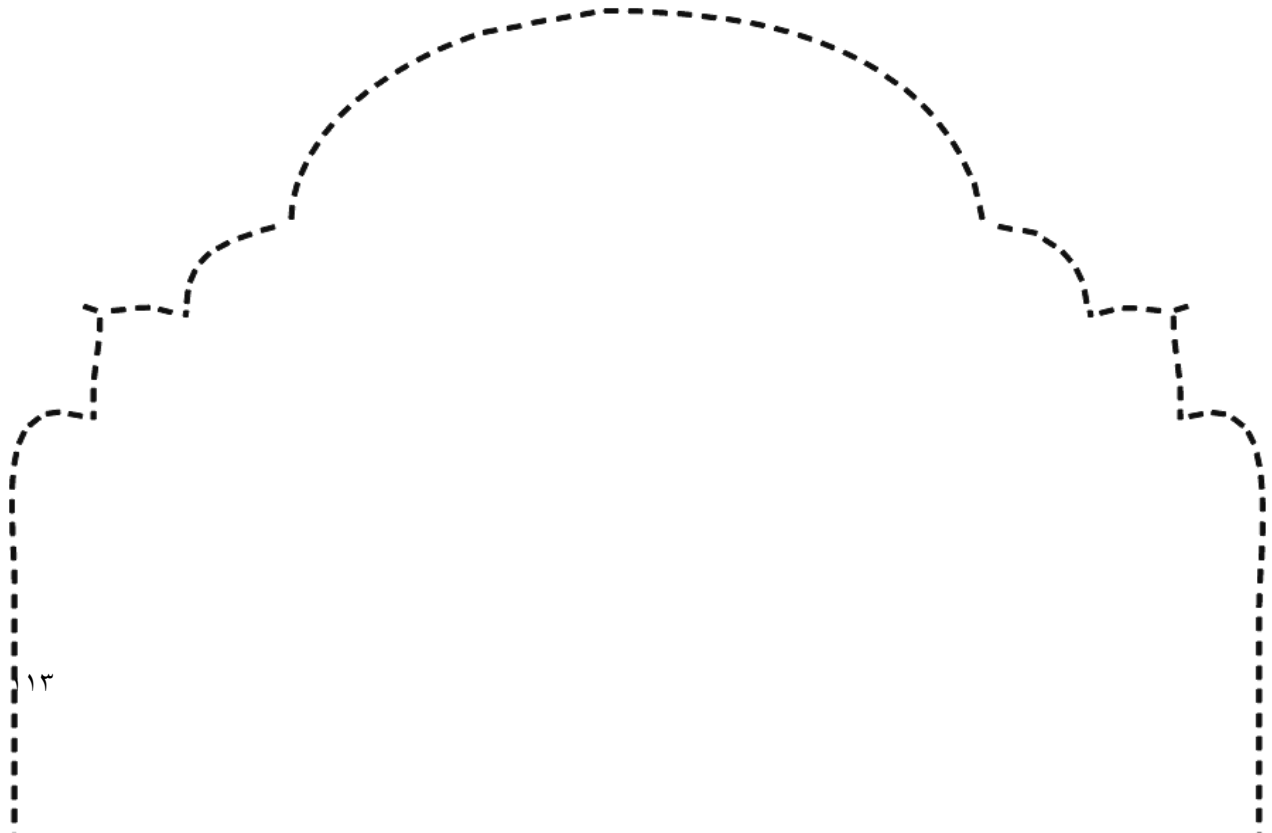

وسائل الإلقاء

المختصّة بالخطيب

مواضيع وسائل الألقاء

مما هو معلوم عند البعض بأن الإصدارات في الإلقاء كثيرة ومتنوعة، ولكن يُذكر هنا أهم ما يُخصّ خطيب الجمعة، وحتى يُحسن استيعاب هذا القسم -بحول الله-؛ فقد روعي فيه الخطاب لفئتين، الفئة الأولى: للمبتدئين في الإلقاء، والفئة الأخرى: للمُمارسين، وتحت هذا الفئتين فُصّلت أجزاء تلائمهما، مع ملاحظة: أن ما طُرح للمُمارسين لا يستغني عن معرفته المبتدئين، وكذلك العكس، وإنما قُصد بهذا التقسيم ما يهم غالب الفئة المعنية.

الفئة الأولى: المبتدؤون

الجزء الأول: (معوقات وعلاجات)

• **(الأفكار السلبية عن الإلقاء):**

• **(الخطابة موهبة تولد مع الإنسان)**، وإن صح ذلك في القلّة القليلة من الناس، فإنهم إذا لم يدعّموا الإلقاء بالاستمرار والخبرة والمران وإلّا سيفقدونها.

والصواب: أن الخطيب الجيّد هو الذي يطوّر نفسه بعد استمداده العون من الله تعالى، إذا توفّرت لديه صدق الرغبة، والتدريب المستمر، واتقانه تقنيات الحديث.

• **(إذا وقع مني خطأ فأني سأكون مثار للسخرية)**، وهذا تفكير مبالغ فيه في الكمال، وذلك لأن الخطأ وارد حتى عند الخطباء الكبار، لكن لا يُلقي الممارس منهم له أهمية، ويتعامل معه بطريقة غير مُلفته، مع الاستفادة منه.

• **(أن التوتر علامة ضعف)**، وهذا غير صحيح، بل هي علامة طبيعية تأتي على كثير من المبتدئين في الإلقاء، كما إنها تدل على طاقة إضافية ينبغي التعلّم في كيفية التحكّم فيها برفق على النفس، وتوجيهها لإلقاء انشط، وأما التوتر الزائد فستأتي خطوات علاجه.

• **(لا أبدأ في الخطابة حتى أكون طالب علم مُتمكّن)**، نعم العلم الشرعي مطلوب للخطيب، ولكن لا يمنع ذلك من ممارسة الإلقاء مع طلب العلم، ثم إن الخطيب يكفيه مبدئياً أن يكون على علم مع أحكام الخطابة أصول العقيدة وما يضادها وأهم أحكام العبادة ومبطلاتها، ولا يعني الزهد في الازدياد من طلب العلم والاطّلاع المتنوع، ولكن بالإمكان أن يحصّله أثناء الخطابة، لأن الدعوة تحتاج لسدّ الثغور، ومنها: الخطابة والذي قد يتولّاها من ليس كفؤاً لها، كما إن الإلقاء يحتاج لممارسة ليست بالقليلة، فإذا احتجّ طالب العلم بأن لا يتولّى الخطابة حتى يكون متبحراً في العلم، فإنه وإن حصل لهذا المقصود بعد زمن طويل؛ فإنه لا يتقن جيداً الإلقاء ونشر علمه ودعوته للناس لضعف ممارسته لذلك.

• **(تضخيم الرهبة من مواجهة الناس):**

وهذا قد يحدث في أوائل عمل الخطيب الذي لم يدرّب نفسه على إلقاء الكلمات في المساجد، ولم يتدرج في الخطابة في مساجد قليلة الحضور ثم الانتقال إلى أكبر منها.

لذا فمن وقع في ذلك فعليه بعد استلامه للخطابة وهو يعاني من شدّة التوتر أن يستعين بالمعين جلّ وعلا، وكثرة دعائه بأن يطمئن قلبه، ويسكن نفسه، وليعلم أن القلق والرهبة شيء طبيعي في البدايات، ولكن الشيطان – أعاذنا الله منه– له دور في تضخيم ذلك حتى يستسلم الخطيب لتسلّطه عليه، وفرحه بالتخلّي عن هذا المنبر الدعوي الشريف.

فكم من خطيب استجاب لهوى نفسه ووساوس شيطانه وتثبيطه؛ فترك الخطابة بادّعاء أنه غير أهل لذلك، فعلى الخطيب الذي يرجو الأجر الجزيل بتبليغ دين رب العالمين ألّا يركن للنفس الأمّارة بالسوء الداعية إلى الدعة والراحة، وعدم تحمّل المسؤولية، ولا يستسلم لنزغات الشيطان، وليصدق التوكل على الله، وكثرة دعائه بأن يعينه ويسدده خطاه.

وليتذكّر أنه مع الدعاء والتوكل وطول الممارسة سيزول هذا الخوف – بحول الله– وهذا مجرّب عند جملة من الخطباء الذين لم ينثنوا عن ترك الخطابة، بل واصلوا ووصلوا – بفضل الله– حتى إلى مرحلة الاستمتاع بالخطبة، وترقّب يوم الجمعة لتذوّق لذة الخطابة.

فتحمّل ضيق البدايات لتحصل على نعيم النهايات، وتذكّر الهمّة العالية:

إذا ما علا المرءُ رام العُلا ويقنع بالدونِ من كان دونًا

كما أن مما يعالج ذلك: الصبر والمصابرة حتى تُفتح للمرء كنوز التوفيق وألطاف الكريم الوهّاب سبحانه، وقد قال رب العالمين: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت ٦٩].

وما أجمل ما قال قتادة – رحمه الله–: "يا ابن آدم، إن كنت لا تريدُ أن تأتي الخير إلّا عن نشاط، فإن نفسك مائلة إلى السآمة والفتور والملل، ولكن المؤمن هو المُتحامل، والمؤمن هو المتقويّ، والمؤمن هو المتشدّد"، يعني: يشدّ نفسه إلى الاستمرار إلى معالي الأمور. (الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١/ سورة البقرة، الآية ٣).

ولأجل ذلك ذُكر الصبر في القرآن الكريم في نحو تسعين موضعاً، أمرًا، أو ثناء على أهله، أو جزاءً له.

إني رأيت وفي الأيام تجربــة للصبر عاقبةً محمودة الأثرِ

وقلّ من جدّ في أمر يحاولهُ واستصحب الصبر إلّا فاز بالظفرِ

فأوضح دليل على نجاح الإنسان وفلاحه وبلوغه أعلى المراتب: موقوف على صبره على الأمر النافع الذي يطلبه مع تطوير نفسه في ذلك.

- **(القلق الزائد المستمر):**

القلق الزائد المستمر لدى الخطيب أمر سلبي يعوق عن حسن الإلقاء، كما أن له أثر في التهاون في إعداد الخطبة فيختصرها اختصارًا مُخلًا حتى يتخلّص منها، بل إن القلق الزائد الذي يدخل في حيّز الرهاب يقطع بعض الخطباء عن الاستمرار في الخطابة، **لذا ينبغي من وقع في ذلك أن يتخذ الأسباب في التخلّص منه، ومنها:**

أولًا: معاهدة الإخلاص لرب العالمين وتعظيمه، فهو العظيم حقاً حتى لا تستولي الرهبة الزائدة من الناس، أو الخوف من ذمهم، أو الطمع في ثنائهم.

ثانيًا: كثرة الالتجاء إلى السميع المجيب، وكثرة دعائه بأن يرزقك الطمأنينة، وينزل على قلبك السكينة.

ثالثًا: عدم الخوف من الخطأ، فلا أحد يسلم منه، وتوطين النفس على سماع النقد، بل والفرح به ما دام أنه نقد هادف يدفع للتقدّم والاستفادة من الأخطاء.

رابعًا: ينبّه على التبكير جيداً للنوم ليلة الجمعة، فالنوم المبكّر له أثر كبير في طمأنينة النفس، وعافية البدن، وهو قبل ذلك من السُنّة.

خامسًا: مما يوصي به من اعتراه ذلك شرب بعض الأشربة المهدئة قبل الخطبة بوقت كافٍ، كالنعناع ونحوه، فله أثر في تسكين الخوف والقلق.

سادسًا: الحضور مبكّرًا نسبيًا، لأن الخطيب الذي يأتي مسرعاً ليتدارك الوقت تثور نفسه، ويضطرب قلبه، وينتابه قلق وتوتر، وقد يدوم معه أثناء الخطبة، لذا بكّر، بمعنى قبل الخطبة قرابة النصف أو الربع ساعة، ولو لم يكن بالمسجد غرفة خاصة بالإمام؛ فلا حرج بالبقاء في سيارتك لتتلو ما يتيسّر من كتاب الله، فله أثر كبير في تسكين نفسك، وخاصة آيات السكينة التي كان يقرأها أهل العلم، كما ورد عن ابن تيمية وابن القيم، – رحمهما الله– في مواطن الخوف.

وأصل السكينة كما قال ابن القيم في مدارج السالكين (٤٧١/٢): "هي الطمأنينة والوقار، والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدّة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين والثبات"، وقال أيضًا في المصدر السابق: "وكان شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة"، ويقول ابن القيم أيضاً عن نفسه: "وقد جربت أنا أيضاً قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يرد عليه، فرأيت لها تأثيرًا عظيماً في سكونه وطمأنينته".

وقد ذكر الله تعالى آيات السكينة في كتابه الكريم في ستة مواضع:

الموضع الأول: في قصة الملك طالوت، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَة مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

الموضع الثاني: في يوم حنين، وفي تلك اللحظات الحرجة الصعبة التي قال الله عنها: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، أنزل السكينة عليهم حين صدقهم، قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

الموضع الثالث: في الغار يوم الهجرة الذي لو نظر أحد المشركين إلى موضع قدمه، لرأى النبي ﷺ وصاحبه رضي الله عنه، وبينما هما في تلك الحالة الحرجة الشديدة، وقد انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، أنزل عليهما السكينة، لُتذهب عنهما كل خوف وهم، فقال جلّ وعلا: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ ..﴾ [التوبة: ٤٠].

الموضع الرابع: يوم الحديبية، حين اضطربت آراء المسلمين، وكادوا أن يختلفوا، فأنزل الله السكينة لتثبّتهم، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ [الفتح: ٤].

الموضع الخامس: يوم أن بايع الصحابة – رضي الله عنهم– رسول الله ﷺ على الموت في الحديبية، التي سُمّيت ببيعة الرضوان: فأنزل سكينته جزاءً لهم، ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ [الفتح: ١٨].

الموضع السادس: يوم الحديبية أيضًا، يوم أن ثارت الحميّةُ الجاهلية عند الكفار، ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦].

وإن كان أهل العلم ذكروا هذه المواضع الستة، فأحببت أن أضيف موضعاً سابعاً سمعته من أحد الرقاة، وهو يقرأ على مريض، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنعام ١٣].

علماً بأن هذه المواضع لا يكون لها الأثر البالغ إلّا بقوة اليقين بأن كلام الله تعالى فيه الشفاء والرحمة، بالإضافة إلى تكرار هذه الآيات ثلاث مرات أو أكثر من ذلك –كما ورد عن أهل العلم–، وليس في تكرير تلك الآيات شيئاً من المخالفة الشرعية، فقد ورد من السُنة ما يدل على مثل ذلك.

سابعًا: من الأمور التي تُذهب القلق الزائد – بحول الله–، وهي من الأمور المجرّبة:

(التنفّس الصحيح قبل الخطبة، مع الاسترخاء في مكان هادئ)، وهو أن تأخذ نفَساً بصورة عميقة عبر الأنف، ليدخل الهواء للصدر، ثم تُحبس الهواء للحظات قصيرة، ثم تخرجه ببطء، مع تكرار ذلك من ثلاث مرات إلى أكثر من ذلك.

حيث ذكر أهل الاختصاص والطب: أن التنفّس الصحيح يؤدّي – بفضل الله– إلى تخفيف مستويات هرمونات القلق والتوتر.

وأما أثناء الخطبة حيما تحس بالرهبة: فحاول أن تأخذ النفَس العميق بصورة لا تلفت نظر الحاضرين، وذلك بأخذه بكمية كبيرة عبر الأنف عند الوقوف المناسب، ثم تنطلق بعد هذا النفَس لإكمال الكلام، وهكذا افعل في كل توقّف تقريباً – دون تكلّف–، أو إطالة لذلك.

ثامنًا: لا تفكّر أثناء صعودك للمنبر بما قد يحدث من سلبيات، أو أخطاء، بل فكّر بالنتائج الإيجابية المتوقعة – بإذن الله– في نفسك من زيادة التقدير لها، وراحة الضمير، وأيضًا فكّر في المنافع الطيبة التي ستجنيها من خطبتك من نفع الناس، وتوفيق الله لك بإقامة شعيرة الدعوة إليه تعالى، وقبل ذلك الأجر الجزيل من رب كريم.

تاسعًا: ارفع رأسك لتشاهد الناس بعد كل مقطع من الخطبة، لأن النظر دوماً في الورقة، وعدم النظر للجمهور بجرأة يُفقد السامعين الحماس لكلامك، وسبب لاستمرار الخوف والوجل من المنبر.

بعد هذه الخطوات تذكّر حسن الظن برب العالمين بأنه لا يخيبّك ما دمت تجاهد نفسك على صلاح النية، وتبليغ دين الله تعالى، وإن أخطأت في إلقائك، فلا تلتفت لذلك، ولا تضخّمه في نفسك، واستمر، استمر، فمن سار على الدرب وصل، وانظر لحال الخطباء والدعاة المفوّهين كيف انطلقوا، ومنهم من كان في بداياته قد يكون أشد منك خوفاً وقلقاً، ولكنهم جاهدوا أنفسهم، وصدق العظيم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت ٦٩].

(أهم عيوب البيان والنطق):

يُستلزم من الخطيب إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة، ولذلك يجب أن يتجنّب عيوب النطق، وأن يكون سليمًا من العيوب الخلقية، حتى لا يحرّف معاني الخطبة، **وأكثر هذه العيوب شيوعاً:**

اللثغة: وهي تعذّر النطق بحرف، والنطق بحرف آخر بدله، والحروف التي تدخل في اللثغة أربعة أحرف وهي: القاف، والسين، واللام، والراء.

التمتمة: وهي التعتعة في التاء.

الفأفأة: هي التعتعة في الفاء.

الحبسة: هي ثقل النطق على اللسان من غير أن يتردد في حروف بعينها.

وقد يكون السبب في ذلك عدم وضوح ما يريد أن يقوله، أو الحياء والخجل في المواقف، وعدم التعود عليها.

- **وأما علاج الحالات السابقة لمن ابتلي بذلك من الخطباء:**

قد تكون منها ناشئة بسبب عارض جسماني أصاب الجسم، وعلاج هذه الحالات يكون بعلاج ذلك العارض عند المختصّين، إن كان ذلك بسبب المرض.

وإذا لم تكن تلك العيوب مما يتناوله علم الأطباء، فللإرادة دخل عظيم في معالجته، وليس من شك في أن الرياضة البيانية تفيد أكبر فائدة، وخصوصاً إذا لوحظ أن أكثر هذه العيوب: سببه السرعة في الكلام، وعدم التروي والتدقيق، والخجل في الصغر، والكبر قد زادها رسوخاً وقوة.

فعلى المتكلّم الذي يروّض نفسه أن يتجنب الخجل في المقامات البيانية، وأن يأخذ نفسه بالتأني والتوقّف، والتثبّت عند القول، وأن يقصد إلى كل كلمة قصدًا كأنها المراد من بيانه والغاية المقصودة من كلامه.

وإذا اعتراه عيب سكت حتى تعود إراداته مسيطرة سيطرة تامة، ثم ينطق بالكلمة الثانية، وإذا استمر على المجاهدة في ذلك مع كثرة دعاء موسى عليه الصلاة والسلام: (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي* يَفْقَهُوا قَوْلِي) [طه: من ٢٥ إلى ٢٨]، فإذا استمر على ذلك عاد لطبيعته السليمة، وأعانته الفطرة القويمة، وانتصر على هذه العيوب – بحول الله وفضله–.

الجزء الثاني: (من وسائل التدريب المبدئي والتطويري للإلقاء)

- **(تذكير النفس بفوائد الإلقاء):**

- وأولى ذلك كسب الأجر الجزيل من أكرم الأكرمين إذا أُبتغى بذلك وجه رب العالمين، (نسأل الله لنا جميعاً صلاح النية والسريرة).
- وما يترتّب على ذلك ممّا يجده الخطيب الموفّق من سعة ثقافته وأُفقه في البحث للإعداد الجيّد في نفع نفسه وإرشاد الناس ودعوتهم للخير.
- وأيضاً تحقيق وتدعيم احترامه لذاته، وراحته النفسية، وقوّة روحه وهمّته.
- وكذلك التحلّي بالشجاعة والإقدام.
- وحسن التحدّث، وتطوير مهارة الأسلوب، والاستمتاع بذلك.
- وكسب العلاقات الحميمة مع شرائح المجتمع.

وهذا كُلّه وغيره من عاجل بشرى المؤمن في أن يجد آثار عمله الصالح النافع المتعدّي عليه قبل الآخرين، والله عزّ وجلّ غفور شكور، فيغفر ويشكر لعبده عمله في الدنيا قبل الآخرة.

- **(طرق التدريب الجادّ):**

وهذا الطرق يُقصد بها من كان عنده الهمّة والرغبة للإلقاء، وأن يكون خطيباً مفوّهاً على منبر الجمعة الشريف، ولكن لم يبدأ بعد، أو لديه تردد، أو مارس وتعثّر، فمن هذه الطرق الفعّالة:

التدرّب مع النفس:

- أن يتحدّث بجيد الكلام، أو يكتبه كثيرًا.

- وأن يكون مرانه الخطابي محاكياً البلغاء في أساليبهم، أو مقتبساً منهم، حتى تكون له شخصيته المستقلة دون تقليد.
- أن يعوّد نفسه إخراج الحروف من مخارجها، وأن يقرأ ما يستحسنه بصوت مرتفع في مكان هادئ، مصوّراً بصوته معاني ما يقرأ بتغيير النبرات، وبرفع الصوت وخفضه.
- ومن الوسائل المُجرّبة: التدرّب ذهنياً من خلال تذكّر في الخيال طريقة الإلقاء.

التدريب مع الآخرين:

- ومن ذلك ممارسة التدريب على الإلقاء في الأسبوع مرتين أو أكثر مع مجموعة من الإخوة.
- وأن يبدأ بالتدرّب على إلقاء كلمات يسيرة في مساجد يغشاها القليل حتى تذهب الهيبة من قلبه، ثم يتدرج لمساجد وجوامع كبيرة بعد فترة، على أن يحفظ ويضبط جيداً ما أعدّه من كلمة ويراعي أن تكون مختصرة، فهذا من أهم ما يقوي همّته وإلقاءه حيث أنه يُدرك ما يقول فلا يتردد أو يتلعثم.
- وأن يتعوّد ذلك ولو في الأسبوع مرة، بأن يجعل له وقتاً من يوم معيّن يصلي فيه في أحد المساجد ليلقي كلمة.
- وعليه أن يسترخي في صلاته قبل إلقاء الكلمة، ولا يفكّر بها كثيرًا، ويدعو الفتاح الكريم أن يفتح عليه ويشرح صدره، وييسر أمره، ويحلل عقدة من لسانه، ويصلح نيته، وينفعه بما يقول من علم نافع وينفع به.
- إن لم يتيسّر إلقاء الكلمة في مسجد ما؛ فحاول في مسجد آخر وآخر، وستجد بإذن الله من يرحب بك من الأئمة إذا صدقت العزم.
- ثم يتدرج بعد فترة في التعرّف على خطباء الجُمع، ويقدّم نفسه لهم إذا أرادوا أن ينيبوا أحداً فهو مستعد لذلك، وقد أعدّ مُسبقاً خطبة مختصرة مركّزة.
- ويستحسن تسجيل خطبته، أو كلمته، حتى يتعرف على نقاط قوته فيعزّزها، ونقاط ضعفه فيتحاشاها.
- وليحذر من الاستعجال في التصدّر للخطابة دون أن يكون له رصيد من التجارب في الإلقاء المستمر، كما لا يستعجل في استلام الخطبة رسمياً حتى يرى من نفسه الأهلية لذلك، ولا يعنى ذلك أن يطيل كثيرًا، أو أنه ليس عليه أي ملاحظة في الإلقاء فهذا يندر حتى من الخطباء المتمكّنين، فمن يطلب الكمال لا يقدّم شيئاً، وإنما المعني أن يكون واثقاً برب العالمين ثم بقدراته التي تراكمت من تجاربه المستمرة في الإلقاء.

وصايا مجرّبة من الخطباء:

- لا تقارن نفسك بغيرك من المتمكّنين في الإلقاء حتى لا تُحبط أو تضعف مما قد يسبب لك الانقطاع.
- وأيضًا لا تضخّم أخطائك إن أخطأت، فهذا أمر طبيعي في البدايات، فلا تكن قاسياً على نفسك، وإنما استفد من اخطائك.

- يُفضّل ألّا تأكل قبل الإلقاء مباشرة، وأما الماء فلا حرج.
- حاول أن تكون ملابسك، وطريقة ارتدائها مريحة لك حين الإلقاء
- ابتعد عن كثرة المنبهات، لأنها تسبب زيادة التوتر.
- احذر من سرعة الكلام عند الإلقاء، فإنه عُرضة للتلعثم والوقوع في الأخطاء، ولا يعني ذلك البطء الشديد، فالتوازن هو المطلوب.
- اجعل إلقائك على طبيعتك غير متكلّف، فهو أدعى لراحتك النفسية وحسن تأثيرك، بالإضافة إلى أن هذا يدل على تميّزك عن غيرك، وليس نسخة مُقلّدة لغيرك.
- تذكّر دوماً أن الفشل ليس أن تخطيء في إلقائك أو يصيبك الحرج عند الوقوع في ذلك، وإنما الفشل هو: الهروب من الإلقاء خوفاً من انتقاد أحد، أو بسبب تجارب ماضية، فلا تلتفت لذلك، واستمر مُستعيناً بالمعين سبحانه، والثقة به، وكثرة دعائه بالتوفيق والإعانة والسداد.
- لا تضخّم الخوف من الإلقاء، وأنه مهمّة صعبة، وتذكّر أن الحقيقة المجرّبة لكثير ممّن مارس الإلقاء بأنه أمر سهل، بل وكلّما زادت الممارسة زادت السهولة أكثر.
- لا تنقطع أبداً عن الإلقاء، فهي كغيرها من المهارات ستتقنها أكثر كلّما مارستها أكثر بهمّة ورغبة وهذا من أهم ما يدفعك إلى النجاح والتميّز.
- كما أن الإلقاء موهبة، فالإلقاء الجيّد وليد التدريب من خلال التدرّج وطول النفَس.
- ومن كان له اقتناع بأهمية الخطابة في قوة الروح وراحة النفس، ونفع المجتمع، وقبل ذلك كسب الأجر في نفع الناس؛ فهو من أحسن الناس قولًا كما قال رب العالمين: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [فصلت ٣٣]، فمن كان كذلك، فإن همّته – بحول الله– لا تتوقف، بل تزداد، بعد كثرة الاستعانة بالمعين جل جلاله ودعائه.

• (تعلم فنون الإلقاء الخاصة بالخطبة):

مع ما سبق يؤكّد على أهمية اكتساب مهارات وفنون الإلقاء والتأثير، وهذا يدفع الخطيب الغيور على دينه أن يجتهد في البحث عن أفضل الطرق المؤثرة الملائمة لأحكام الخطابة لتوصيل الفوائد والمواعظ للناس، وليوقن أن الخطيب صاحب الأسلوب القوي، والإلقاء البديع ينتفع به الناس أكثر ممن لا يتميّز بذلك، ولو كان أكثر علماً، وأعلى منصباً.

فينبغي للخطيب أن يستمع إلى دروس في فن الإلقاء، وإن حضرها فهو أفضل، أو يقرأ في الكتب المتخصّصة في ذلك، **مع التأكيد أن يقتبس منها ما يلائم أحكام خطبة الجمعة.**

وهذا مما يزيد الخطبة حُسناً على حسنها أن يجيد الخطيب إلقاءها، فينبغي العناية بالأسلوب المؤثّر في نفوس الناس، كما ينبغي الاهتمام بجودة الإعداد فهما مكملان لنجاح الخطيب.

ومن صدَق مع الله ووهب نفسهُ ووقته له – جلّ وعلا–، وهب الله لهُ من لُطفه وفضله ما لم يكن في حسبانه، ومن أعطى الله تعالى ما يحب، أعطاه الله فوق ما يحب، ومن سخّر نفسه لله، سخّر الله له خلقه الحريصين على الاستفادة منه، وسخّر له أسباب السعادة والرفعة والتمكين برحمته وفضله.

الفئة الثانية: الممارسون

الجزء الأول: (التأكيد على تحسين البيان)

فمن ذلك:

- **(الصفات البيانية):**

البيان: هو الوضوح والانكشاف، وهو الحجة والمنطق الفصيح – من غير تكلّف– الذي يخرج الشيء من حيّز الإشكال إلى حيّز التجلّي.

والهداية: هداية الإرشاد تأتي من سببين: من الدلالة ومن البيان، الدلالة بالحجة والإقناع والدليل.

والبيان باللفظ والأسلوب وسحر الكلمة، وما يلزم للتأثير في الإنسان المُخاطب، قال ﷺ: (إنَّ مِن البيانِ لَسِحْرًا) رواه البخاري (٥١٤٦).

وقد قيل في معنى ذلك: إن الرجل يكون عليه الحق، وهو ألحن بحجّته من خصمه، فيقلب الحق ببيانه إلى نفسه، لأن معنى السحر قلب الشيء في عين الإنسان، وليس بقلب الأعيان.

- **ولهذا يجب أن يتصف الخطيب بالصفات البيانية التالية التي تؤهله لحسن الإلقاء، ومن أهمها:**

طلاقة اللسان: اللسان هو أداة الخطيب والداعية الأولى، فلا بد أن تكون الأداة سليمة حتى تؤدي الغرض المطلوب منها بكفاءة وإجادة.

ولا شك في أن طلاقة اللسان من ألزم صفات الخطيب وأشدّها أثرًا، والداعية ليس قوّالًا فقط، ولكنه قوّال بحجّة وبهداية وبعمل وقدوة، وفصاحة اللسان تحتاج إلى مران ودربة، كما يحتاج اللسان إلى ثروة أدبية وعلمية تكون له بمنزلة الوقود والزاد الذي يتزود به ويستمد منه، ويحتاج أصالة إلى الحق الذي يكون سنداً له وبرهانًا ونورًا له وبيانًا.
وقد سبق في قسم: ثقافة الخطيب المراجع المهمة لتحسين البيان تحت عنوان: دراسة أهم علوم اللغة.

- **(سلامة اللغة):**

كان السلف يعتنون باللغة وسلامتها، وكان اللحن مما يُعاب به على المرء فضلًا عن طالب العلم، وليس ثمة ما يعيب الخطيب أو ينقص من قدره أن يدرس مبادئ النحو، أو يبحث عمّن يقرأ عليه فيصحّح قراءته، ويمكن أن يُلجأ إلى حل مرحلي بأن يُشكّل كلمات خطبنه عند أهل الاختصاص باللغة.

الجزء الثاني: (ما يتعلّق بصوت الخطيب)

- **(أهمية صوت الخطيب وضوابطه):**

الصوت نعمة من نعم الله على الإنسان، حيث خلقه ناطقاً مُبيّناً مُفكّرًا عاقلًا، وصدق الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ* عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ* خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ* عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن من ١ إلى ٤]، فمما يزيد الخطابة حُسنًا وجلالًا: جهارة الصوت، وقد يذم بعض الخطباء لضعف صوته، وضآلته، وإن كانت مكبرات الصوت اليوم تؤدي إلى جهارة الصوت وتجويفه، فيجب مراعاة ذلك.

ومما ورد في ذلك عن رسول الهدى ﷺ، ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما–، قال: كان رسول الله ﷺ: (إذا خطبَ احمرَّتْ عَيناهُ، وعلا صَوتُهُ، واشتدَّ غضبُهُ حتّى كأنَّهُ مُنذرُ جَيشٍ..) رواه مسلم (٨٦٧).

- **وليس معنى ذلك أن يطلق الخطيب صوته على عواهنه، بل لا بد فيه من ضوابط يجب التزامها:**

١– أن يجعل صوته مناسباً للمكان الذي يخطب فيه، والجمهور الذي يسمع، فلا ينخفض حتى يصير في أذانهم همساً، أو بطيئاً فيصيب المستمعين بالملل والفتور، ولا يكون مرتفعاً جداً؛ حتى يكون صياحاً

يصكّ الأذان، أو سريعاً إلى درجة إزعاجهم، أو عدم قدرتهم على التركيز والاستيعاب، وبين المرتبتين درجات ينبغي مراعاتها.

٢- ألّا يكون على وتيرة واحدة، فبعض الخطباء يكون صوته واحداً في جميع الخطبة، والحديث على وتيرة واحدة: يفقد المستمعين التفاعل مع كلام الخطيب، لأنهم لا ينتبهون على التمييّز بين المواضيع المهمة وغيرها، ومما لا شك فيه أن الكلام المهم والمؤثر يحتاج إلى رفع ملحوظ للصوت مع تسارعه، أو خفضه مع بطئه، ويعود ذلك على حكمة الخطيب.

٣- بدء الخطبة يختلف في رفع الصوت عن وسطها، فينبغي عليه أن يبدأ الخطبة منخفضاً ثم يعلو شيئًا فشيئاً حتى يكون وقعه على السامعين مقبولًا، ثم يتفاعل بعد ذلك مع الخطبة ومع المعاني فيها، فيكون حماسيًا عند الأوضاع الحماسية، ويكون روحانياً عند ذكر الرحمة والعطف، حتى لا يكون صوته على وتيرة واحدة.

كما أن الجُمَل متفاوتة في مظاهرها، من نحو رفع الصوت وخفضه، فكذلك في تفخيمه وترقيقه، والوقوف عند جملة، أو فصلها بأخرى، والضغط على الكلمة، أو التلفّظ بها بهدوء، مع عدم الإكثار من التركيز على كلمات كثيرة حين الإلقاء حتى لا يُفقد التركيز أهميته.

فمن هيئات النطق بالجملة ما يشعر بابتهاج الخطيب، أو حزنه، ومنها ما يلائم الجُمَل التي يلقيها بيقينٍ مؤكّدٍ، ومنها ما يلائم الجُمَل المرسلة للتهكّم، ومرجع هذا كُلّه إلى ذكاء الخطيب، وسلامة ذوقه.

٤- **أن يخطب بصوته المعتاد دون تكلّف، ولا يجعل للخطبة صوتًا وأداء مختصاً بها كما يفعل كثيراً من الخطباء**، فيكون ذلك سبباً في وجود فجوة بينه وبين المستمعين، وسببًا في خسارته لأقوى أدوات التأثير.

٥- التوقّف يسيرًا في الحالات التي يحسن فيها التوقّف، فإذا مرّ الخطيب مثلاً بنقطة مهمة يرغب في ترسخيها في أذهان مستمعيه توجّه إليهم، وحدَّق بعيونهم مباشرة للحظة دون أن يقول شيئاً، وهذا الصمت المفاجئ له أثر كبير لهم، بحيث يجذب انتباههم، ويجعل كل واحد منهم منتبهاً أكثر ومتحفّزًا لما سيعقب ذلك الصمت.

لكن ينبغي أن يراعي في ذلك أمرين:

أحدهما: أن يكون التوقّف بلا فاصل طويل وبلا تكلّف.

ثانيهمًا: ألّا يكرر هذا التوقّف كثيرًا في الخطبة الواحدة حتى لا يُفقد أهميته.

٦- بعض الأصوات تثير الارتياح ورنينها يهزّ الإحساس ويصل إلى أغوار النفس، ويدعو إلى سماع الحجّة، وصاحب هذا الصوت لا شك يكون أكثر تفوقاً من غيره إذا أحسن استعمال الحجّة وبرع في المنطق والبيان.

وبعض الناس أجشّ الصوت غير مقبول النبرات فهذا ولا شك له أثر فيمن أمامه، وقد يكون سببًا واضحاً في تنفير الناس وصدّهم عن حجّته وبرهانه، فينصرفون عن الاستماع له، ويجب على من كان هذا حاله أن يُسدّ هذا النقص ما أمكن بالتغلّب على هذا العيب بكثير من الوسائل كالهدوء في الإلقاء، أو البراعة في تلوين الصوت، وتشكيله وإدخال بعض المحسّنات عليه من مكبرات الصوت، أو الاستعانة بالمهارة اللفظية والمنطقية والبلاغية إلى غير ذلك من الوسائل مع طول النفَس والدربة.

- **(العناية بأجهزة نقل الصوت باعتدال):**

ينبغي العناية بوضوح الصوت عن طريق التأكّد من الأجهزة التي تنقل الصوت، وينبّه لعدم رفعها أكثر من اللازم مما يسبب الإزعاج للمصلين، كما ينبّه لعدم خفضها كثيرًا حتى لا يُضعف سماع الخطبة جيدًا، وأيضاً يُراعى إزالة صدى الصوت والذي قد يختلط بسببه أحرف وكلمات، بل وله أثر سلبي في نقل الآيات مما قد يُحرّف بعض الأحرف.

ولإجادة ذلك يستحسن عند وجود المختص بالصوتيات أن يتدرّب الخطيب بصوته، ويجعل من جماعة المسجد الفطناء من يسمعه جيداً حتى يكون متهيئاً لإلقاء الخطبة بصوت مسموع واضح ومقبول للآذان، فلا يكون مرتفعاً ارتفاعاً مزعجاً ولا منخفضاً لا يحسن سماعه، ولا متأثراً بالصدى الزائد، على أن يراعى بالطبع في ذلك وقتاً ملائم بعيداً عن وجود عدد كثيراً بالمسجد حتى لا يكونوا سبباً في التشويش.

الجزء الثالث: (طرق ارتجال الخطبة، أي: إلقاءها بدون ورق)

- **(بين الارتجال والخطبة من ورق):**

الخطباء يختلفون ويتفاوتون في ذلك: فبعضهم يحتاج للورقة لتضبط ألفاظه، فلا يشطح، ويقول ما يُحسب عليه، أو تضبط له موضوعه فلا يتشتت به الحديث يمنة ويسرة، وينسى موضوعه، أو يضبط وقته فلا يطيل على الناس.
والبعض يحتاج لرؤوس الأقلام، والنصوص.

والبعض لا يحتاج لذلك، ويستطيع أن يستوعب موضوعه، ويضبط ألفاظه، ووقته، فإذا كان كذلك فهذا أدعى للتأثير على الجمهور، وجلب انتباههم – وهم قلّة–.

من لا يجيد الارتجال يستطيع التعوّد عليه بالتدرّج – إن كان له رغبة في ذلك– وأفصح الناس قد ولدته أمه وهو لا يجيد النطق بحرف واحد.

وللمعلومية: ليس من الضروري أن يجعل الخطيب الخطبة دون ورقة هدفاً له، فقد يخطب من خلالها، ويفيد الناس، ويحقق المقصود.

ولكن لا يمنع الخطيب الذي يُلقي من ورق أن يتعوّد على ممارسة الإلقاء لغير الخُطَب ليستفيد من ذلك في إلقاء الكلمات في المساجد ومجامع الناس، فهذا باب دعوي هام.

• (من فوائد ارتجال الخطبة بدون ورق):

يُذكر فوائد الارتجال لمن جرّب ذلك مرارًا، (وهذا منقول، وليس من تجربة الكاتب):

الشوق ليوم الجمعة لإلقاء الخطبة.

الطلاقة في الإلقاء بلا تردد ولا تلعثم.

القدرة على إلقاء الكلمات، والخُطَب التي تأتي فجأة دون سابق إعداد لكثرة ممارسته واستحضاره لما يقول.

سهولة إعداد الخطب والكلمات.

الاستمتاع أثناء الإلقاء.

تنمية ملَكة الحفظ والذاكرة.

(وهذه الفوائد بالمناسبة لا تحصل لكل أحد، وإنما لمن كان واسع الاطلاع، لديه حصيلة علمية جيدة، طموحاً، عالي الهمة، متجّدداً).

• (من طرق الإلقاء الارتجالي):

من مقومات الخطيب الناجح المرتجل للخُطَب بدون ورق: قوة ذاكرته، وجودة استحضاره لعناصر خطبته.

ومن أهم أركان التذكّر للموضوع الذي يُراد إلقاؤه ارتجالًا؛ ثلاثة أركان وهي:

أولًا: التركيز:

أي التركيز على الموضوع جيداً في وقت بعيداً عن الانشغال بغيره، وأيضاً في مكان هادئ ليس فيه ما يزعج ويشتت الذهن، ومما يساعد على ذلك: التركيز على العناصر الأساسية للموضوع.

ثانيًا: التكرار:

وهو لُبْ الحفظ، فلا ينطبع الموضوع بالذاكرة غالباً، إلّا بتكراره عدّة مرات، ويدخل في تكراره مراجعته بين فترة وأخرى بتكرار، فلا يعني التكرار في جلسة واحد فقط، وإنما على حسب قوة الذاكرة من ضعفها.

ثالثًا: ترابط الأفكار:

بمعنى ربط عناصر الخطبة بصورة محددة في الذهن لتخيّلها بتسلسل منطقي يسهل تذكّرها – بإذن الله تعالى–.

وقبل ذلك وبعده الاستعانة بالمعين ودعائه – جل وعلا– على الحفظ والإلقاء الجيّد، ويُستودع سبحانه ما حُفظ فلا تضيع ودائع من استودعه صادقاً محسنًا الظن به متوكلًا عليه، ولنتذكّر أن العقل كغيره من الأعضاء يقوى بالتدرّب والتمرين وطول الممارسة، فيسهل جلب الأدلة والعبارات منه عند الحاجة.

• (ومما يعين على الارتجال أو حتى الإلقاء من خلال الورق لإبعاد الرهبة):

- ارتجال الخطبة مع انفراد، بمعنى تُلقيها لتسمع نفسك.
- ارتجال الكلمات في المساجد والمجالس، وأيضاً إلقاء الخطبة المراد خطبتها في المساجد على هيئة كلمة، ففي ذلك فوائد منها:

إتقان الأداء عند أدائها خطبة بدون تردد، وأيضًا سلامتها غالباً من الأخطاء، وكذلك التمرّن على ضبط نبرات الصوت من رفعه أو خفضه في المواضع المناسبة، كما في ذلك ضبط للوقت بحيث قد يختصر فيها، وفي ذلك اعتياد على اتباع السنَّة، ومراعاة لنفع الناس؛ بأن يكون الوقت من عشر دقائق إلى ربع ساعة كأقصر حد.

وينبّه على أهمية إلقاء الخطبة في المساجد بطريقة مختصرة على هيئة كلمة، سواءً سبق إلقاؤها كخطبة أو لم تُلقَ، طمعاً قبل كل شيء في الأجر الجزيل مع النية الصادقة في نفع نفسه والناس.

فلا يزهد في ذلك، خاصةً أنه قد قلّ بدرجة كبيرة من يُلقي الكلمات في المساجد بحجّة الاشتغال بالدعوة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، علماً أنه لا يمنع الجمع بين الدعوة في المساجد وعبر وسائل التقنية، (**والمساجد أحب البقاع إلى الله، وفيها تحلّ البركة منه سبحانه**)، ومن الخطباء أو طلبة العلم يتعذّر بأنه لا يُسمح له بذلك إلّا أن يكون مصرحاً له.

والواقع أن من صدقت نيّته في نفع الناس عبر المساجد فإنه يبحث عن مساجد أئمتها يتعاونون معه في ذلك، ولا يمانعون، بل يُرحبون به ما دام أنه موثوق به وبعلمه وبما يقول.

• (سلبيات ارتجال الخطابة وسُبُل الخلاص منها):

١- **الوقوع في الحرج عند الخطأ**، أو التلكؤ يعني التوقّف والتلعثم، والخطأ أو التلكؤ لا يكاد يخلو منهما أحد، ومن أراد الحصول على معالي الأمور دون عقبات فقد رام المستحيل، ومع كثرة اللجوء إلى الله ودعائه، وطول المران يُكسب الله تعالى الفصاحة وطلاقة اللسان، حتى إنه - بحول الله- يندر أن يخطئ.

٢- **الإطالة في الخطبة:** ويمكن ضبط الوقت بوضع ساعة أمام الخطيب تحسب الوقت، ومع مرور الزمن سوف يتعود على التقيّد بالوقت القصير المناسب الذي لا يضايق المصلين، وإن دوّن أمامه أهم العناصر فحسن، إذا كان لا يُحسن ضبط الوقت وعدم الإطالة.

٣- **ضعف الدقة في ترتيب عناصر الخطبة وتسلسل أفكارها:** فعلى الخطيب أن يقدّم العناصر الأهم قبل غيرها، أو العنصر الذي يترتّب ما بعده عليه، ولا يكثر من العناصر، وإنما يُركّز حفظه وفهمه على أهمها أولًا بأول، بأدلتها واستشهاداتها، فإذا اهتم بالحفظ، وحسن المراجعة قبل الارتجال سهل — بحول الله- إلقاؤها. والحفظ يكون بكثرة التكرار مع ربط الأفكار، والذاكرة كما قيل: كالعضلة إذا مرّنتها زادت قوة، وإذا أهملها ضعفت، فليقوّي ذاكرته بالتعوّد على التكرار، تكرار مقاطع الخطبة، وأفكارها المهمة.

٤- **اللّحن في الكلام، والخطأ في نقل الآيات والأحاديث:** فأما اللّحن فلا يكاد يسلم منه أحد إلّا قلّة، فالخطأ القليل ليس عيبًا، وإنما العيب كثرتُه، حتى يُصبح سمةً ظاهرة عليه.

واللّحن غالبًا ينشأ عن أمرين:

* **ضعف تعلّم اللغة العربية**، وهذا يدعو الخطيب لحسن تعلمها، أو أن يقرأ من الخطبة بعد تشكيلها عند أهل الاختصاص، ويترك الارتجال إذا كان خطؤه كثيرًا.

* **التوتر الزائد والخوف المبالغ**، وهذا يزول بالاسترخاء جيدًا قبل الخطبة بوقت كافٍ مع تلاوة آيات السكينة - كما سبق تفصيله في فئة المبتدئين تحت الجزء الأول-، وأيضًا مع كثرة الممارسة للخُطَب والكلمات.

وأما الآيات والأحاديث فالخطأ فيها ليس بالهيّن خاصةً من خطيب في مقام القدوة، ويعلّم الناس ويدعوهم، لذا إذا لم يتمكن جيداً من حفظ الآيات والأحاديث وهو يريد ارتجال الخطبة، فعليه أن يدونها في ورقة مستقلة ليقرأها في ثنايا ارتجاله.

• (من وسائل الإلقاء الارتجالي، ومثال يبُنى على ذلك):

مما يُناسب وييسّر حفظ الخطبة لإلقائها ارتجالًا: القيام بكتابة أركان الخطبة وفروعها؛ لحفظها وإتقانها، ويضرب بذلك مثال مختصر، وعلى الخطيب أن يضيف ما يراه مناسباً لعناصر هذا المثال:

(أهمية تجديد الإيمان): تحت حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما–، قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ الإيمانَ ليَخلَقُ في جوفِ أحدِكم كما يَخْلَقُ الثوبُ، فاسأَلوا اللهَ أن يُجدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكم) رواه الطبراني في المعجم الكبير، (٨٤)، والحاكم، (١/ ٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، (١/ ٥٧): إسناده حسن، وقال الصنعاني في التنوير شرح الجامع الصغير، (٤٣٢/٣): إسناده حسن برجال ثقات، وحسّنه غيرهم.

وجه الشبه بين الإيمان والثوب:

فالثوب يبلى ويتّسخ، فيحتاج الإنسان أولًا إلى غسله، ثم تنظيفه بعد ذلك، ثم المحافظة على نظافته، ومهما حرص الإنسان على ذلك فسوف يتّسخ، فيحتاج إلى تكرار غسله وتطيّبه، وهكذا الإيمان.

الخطبة الأولى:

١– أهمية تجديد الإيمان:

بعض الناس منذ عقل الإيمان لم يجدّده، ولم يتعاهده، في حين كان السلف يجدّدون إيمانهم، فمثلاً كان ابن تيمية – رحمه الله– إذا أُثني عليه في وجهه يقول: "والله، إني إلى الآن أُجدّدُ إسلامي كلَّ وقت، وما أسلمتُ بعد إسلاماً جيداً" مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢٢/١).

٢– وسائل تجديد الإيمان:

أ– **التوبة:** كان النبي ﷺ يكثر من الاستغفار.

ب– **المبادرة إلى الأعمال الصالحة،** والإكثار فيها، والمداومة على ما يرى فيها زيادةً لحلاوة إيمانه وإن قلّت؛ فهي تزكّي النفس، وتقوّي الإيمان، مع ذكر النصوص الحاثّة على المبادرة إلى الأعمال الصالحة.

الخطبة الثانية:

٣– ثمرات تجديد الإيمان:

أ– **محبةُ الله تعالى له:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ﴾ [البقرة ٢٢٢].

ب– **زيادة الإيمان:** وإذا زاد الإيمان ازداد المؤمن رغبة في الآخرة، وصلح عمله، لأنه كما ورد عنه ﷺ: (ألا وإن في الجسدِ مضغةً إذا صلَحت صلحَ لها سائرُ الجسدِ، وإذا فسدت فسد لها سائرُ الجسدِ؛ ألا وهي: القلبُ) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

والأفضل لمن يريد ذلك ارتجالاً: أن يكتب رؤوس الأركان والفروع في ورقة، ويضعها بين يديه، لضمان حسن الأداء، والسلامة من الخطأ.

وختام موضوع الارتجال: يؤكّد مرة أخرى بأنه ليس من الضروري أن يجعل الخطيب الخطبة دون ورقة هدفاً له، فقد يخطب من خلالها، ويفيد الناس، ويحقق المقصود.

وإنما بُسط موضوع الارتجال لمن كان له رغبة في ذلك من خلال الخُطَب، ومن جهة أخرى للخطيب المستمر في الإلقاء من خلال الورق، لا يمنعه الاستفادة من خطوات الارتجال ليمارس ذلك في إلقاء كلمات في المساجد، وهذا باب دعوي مبارك لا يُزهد فيه.

الجزء الرابع: (أهمية التطوير المستمر)

- **(الهمّة في التجديد)**:

الخطيب الناجح هو: المهتم بتجديد أسلوبه في الإعداد، وتحسين إلقائه وتنمية مهاراته، لأنه إذا سار على نمط واحد قد نشأ عليه منذ تولّيه زمام الخطابة فإنه ولا شك لا يتغير للأحسن والأفضل، بل سيتراجع، لأن من طبيعة الإنسان مع تقدّم العمر، وكبر السن ستضعف همّته ويقل نشاطه، وتذبل روحه، ويقلّ تأثيره فهو محتاج إلى ما ينشطه ويقوي همّته وروحه، وينمّي مهاراته وأساليبه، لكي يتغلّب على حالات الضعف التي تعتريه، وتعتري حواسّه وهمّته.

وجملة من الخطباء لم يتغيّروا تغيّرًا واضحًا منذ بدأ في الخطابة، فهل يعني ذلك أنه كان قد بلغ الكمال منذ بدأ؟ بالطبع لا.

فإذاً لماذا يظل على طريقته التي اعتاد عليها، ولم يتعاهد أسلوبه وطرحه، ويتّخذ الخطوات الصحيحة في التحسين والتجديد والإبداع؟! في حين أنه سعى جاهداً في تحسين أموره المعيشية والدنيوية؟!، وكيف لا يسعى إلى ذلك، ومقام الخطبة من أشرف وأعظم ما يقوم به في حياته؟!

ونحن أحوج بحق إلى مراجعة: (صفات الخطيب) بين فترة وأخرى لننفض عنا غبار الكسل والوهن والركون إلى الدنيا وأهوائنا، وأن نستشعر عِظَم مسئولية أمانة هذا المنبر الشريف أمام رب العالمين.

- **(قوة الحماس والعاطفة)**:

لا يثير الحماسة في قلوب السامعين إلّا من كان ممتلئاً حماسةً، واقتناعاً، واعتقاداً بصدق ما يدعو إليه، فما خرج من القلب يدخل إلى القلوب من غير استئذان، وما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان، والعواطف الصادقة والحماس المنضبط ينصب عند الخطيب الحصيف في عبارات وأساليب تلهب الحسّ، وتوقظ الضمير، وتحفّز الهمة.

وأما الكلمات الباردة والألفاظ الرخوة في موضع يحتاج من الخطيب الحماس والعاطفة، فهذه لا تزيد الخامل إلّا كسلًا، ولا الغافل إلّا سهوًا، وقدوتنا رسول الهدى ﷺ: (كانَ إذا خطبَ احمرَّتْ عَيناهُ، وعلا صَوتُهُ، واشتدَّ غضبُهُ حتّى كأنَّهُ مُنذرُ جَيشٍ يقولُ: صبَّحَكم ومسّاكُم..) أخرجه مسلم، (٨٦٧).

فالمعني من ذلك أن تكون العاطفة الحيّة تعمر قلب الخطيب، ولا يعني أن تكون الخطبة على نمط صوت واحد من الحماس، وقد سبق تفصيل ذلك تحت عنوان أهمية صوت الخطيب وضوابطه في الجزء الأول، بالإضافة إلى العنصر الآتي:

- **(تنويع الملقي للأسلوب بما يناسب عناصر موضوع الخطبة):**

مثل أسلوب التقرير، والاستفهام، والتعجّب، وضرب الأمثال، وقصّ القصص، فأسلوب الخطيب للتقرير يختلف عن أسلوب الاستفهام، كما يختلف عن أسلوب التعجّب.

فأسلوب الاستفهام مثل حديث قوله ﷺ: (أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟) رواه مسلم (٢٥٨١).

وقوله ﷺ: (أتدرونَ ما الغِيبةُ؟) رواه مسلم (٢٥٨٩).

وأسلوب التعجّب كمثل: (وذَكَرَ الرجلَ يُطيلُ السفرَ أشعثَ أغبرَ يمدُّ يدَه إلى السماءِ يا ربِّ يا ربِّ ومطعمُه حرامٌ ومشربُه حرامٌ وملبسُه حرامٌ وغُذِيَ بالحرامِ فأنّى يُستجابُ لذلك!) رواه مسلم (١٠١٥).

والجملة المنفية مثل: (لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

والجملة الإثباتية: أي جملة تبدأ بـ(إن) على سبيل المثال: (إنَّ الصِّدقَ يَهدي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهدي إلى الجنَّةِ، وإنَّ الرَّجلَ ليصدقُ ويتحرّى الصِّدقَ حتّى يُكتبَ عندَ اللَّهِ صدِّيقاً، وإنَّ الكذبَ يَهدي إلى الفجورِ، وإنَّ الفجورَ يَهدي إلى النّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ ليَكذِبُ ويتحرّى الكذِبَ حتّى يُكتَبَ عندَ اللَّهِ كذّابًا) رواه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧).

- **(النظر عند الإلقاء):**

صحيح أن من الخطباء إذا نظر إلى الناس ورأى أنهم ينظرون إليه يشعر بالرهبة والهيبة، ومنهم من تأتيه رعشة في أطرافه من ذلك، ولكن عليه أن يتجلّد ويصبر، ويحاول أن تكون نظراته لهم بين الحين والآخر.

وأن يهتم بتوزيع النظر عليهم، وبأن يتفاعل بعينيه مع الحديث الذي يتكلّم به، ويكون ذلك: بالالتفات اليسير يمينًا وشمالًا، وليس الالتفات المنهي عنه فيمن على يمينه أو شماله –كما سبق في أحكام الخطبة في: مسائل لا تشرع للخطيب–، مع مراعاة البعد عن المبالغة في الالتفات سرعة أو كثرة، فإنه لا يستحسن من الخطيب ذلك على وجه الخصوص، لأنه يدل على تغليب الخطيب لعواطفه وتسلّطها عليه، ويؤدّي ذلك إلى عدم الدقة في التركيز.

وإنما المقصود أن حركات العين لها أثر طيب على الحاضرين، ويستلهمون منها معانٍ قد لا يُفصح عنها اللسان في بعض الأحايين.

- **(المراجعة التحسينية):**

- ومن الوسائل المعينة لتطوير الخطيب مع محاسبته لنفسه، وتزكيتها لها، ومجاهدته لصلاح النية:
- سعة أفقه واطّلاعه؛ واستفادته من سماع الخطباء المؤثرين.
- والاهتمام بالمداخل المؤثّرة في العرض، وتجديد الأساليب البيانية، وتطوير تقنيات الإلقاء، مع الالتزام بالثوابت الشرعية للخطبة.
- وكذلك: استماعه لتقويم جمهور الناس الذين يحضرون له ونقدهم، وبالإمكان قياس ذلك من خلال الاستفادة من وسائل التواصل الاجتماعي للتعبير عن رأيهم في خطبته، وحتى يعرف الخطيب أوجه القوة والضعف في خطبته، وحتى لا يحرج من يريد الانتقاد من خلال هذه الوسائل فليُنبّه لهم بعدم ذكر اسمائهم.
- وأيضاً الاحتفاظ بما سجّله من خُطَب بصوته وتواريخ ذلك؛ ليُعلَم تدرجّه للأفضل.
- وليتذكّر أن الحيوية والحماس المعتدل ممّا يتحلّى به الخطيب الناجح.

وهذا من أفضل أسرار الناجحين في الخطابة والإلقاء والتأثير إذا استمر وثابر على ذلك، وفي ذلك كسر للملل والرتابة والتكرار الذي يصيب خطيب الجمعة كثيراً.

ومع أهمية هذه المراجعة يُنبّه ألّا يُحبط الخطيب إذا انتابه شيء يعكّر عليه صفوه ومزاجه قبل إلقاء الخطبة، فهو بشر يعتريه ما يعتري غيره، ولكن يحاول ألّا يحمل هذا الهم معه في الخطبة، وليكثر من الاستغفار، فالذنوب لها أثر في ضيق الصدر، والابتهال بقول: لا حول ولا قوة إلّا بالله، ودعاء السميع المجيب بأن يشرح الصدر وييسّر الأمر.

وكذلك مع أخذه بتلك الوسائل لا يلوم نفسه كثيراً إذا كان إلقاءه في بعض الخُطَب أفضل من بعض، وربما تكون خطبته الماضية أفضل من التي بعدها، وهذا أمر طبيعي، ولكن لا يتساهل في مجاهدة نفسه ومعرفة مكامن ضعفه إذا كان انخفاض مستواه ليس بسبب ظروف ألّمت به.

الجزء الخامس: (تدريب المربي الآخرين على الإلقاء)

- **على المربي أن يدرّب الآخرين ومن تحت يديه على حسن الإلقاء حتى يكونوا دعاة إلى الخير، ويبيّن لهم فضائل الخطابة والإلقاء، وإقناعهم بذلك.**
- وأن يغرس في نفوسهم الجرأة على قول الحق بحكمة، وأسلوب حسن، فما انتشر الفساد إلّا من ضعف الثقة وجلَد الفاجر.
- كما عليه إشراكهم في الإذاعة المدرسية إن وجدت، أو أن يلقي كل فترة أحدهم أمام التلاميذ في الفصل، أو في المحاضن التربوية كحلقات تحفيظ القرآن، أو حلقات العلم ونحوها، بحيث يلقي مبدئياً من خلال ورقة، ثم يتدرج بعد فترة مناسبة للارتجال.
- وأن يحثّهم على تحضير الموضوعات المختلفة، مع مراعاة اختصارها لُيحسنوا حفظها، ويراجعها لهم، وأن يرغّبهم لسماع الخطباء المتميزين.
- وأن يحذر المربي أن يتنقّص من يتقدّم للإلقاء أمام زملائه وتعتريه أخطاء كثيرة، بل عليه أن يشجّعه ويصبر على توجيهه مع مصاحبة الرفق في ذلك، كما على المربي أن يُحذّر من جهة من يستهزئ به من زملائه أو غيرهم.
- ومن جهة أخرى: لا يستعجل بتقديم أحداً منهم للخطابة في المساجد دون أن يكون له رصيد جيد في الإلقاء في المحاضن التربوية، حتى لا يُصاب المبتدئ بالإحباط من جرّاء عثراته المتكررة فيترك الإلقاء.
- كما على المربي أن يصقل مواهبهم في الإلقاء بأن يحثّهم على كثرة الاطّلاع النافع ويرشدهم إلى مصادره الموثوقة، وأن يستغنموا فُرص الإلقاء في الأماكن المناسبة ببين أهليهم وأقاربهم ومعارفهم.
- وعلى المربي ألّا يغفل عن دور الجوائز التحفيزية العينية مع التشجيع المعنوي لكل من يشارك في الإلقاء، ولو كان إلقاؤه ضعيفاً فهو خير ممن لم يشارك، وحتى يكون ذلك حافزًا له ولغيره.
- مع الإكثار من الدعاء لهم بالتوفيق والسداد وصلاح النية والعلم والعمل، فإنهم ثمرة من ثمرات جهوده، والذي يكون لأحدهم – بإذن الله– أكبر الأثر في هداية الخلق فينصب ذلك في موازين حسناته وحسنات من وجّهه وأعانه وشجّعه.

وكم سمعنا وقرأنا للمتميزين في الخطابة من كان يثني ويدعو لمن كان له الفضل بعد الله تعالى في إبرازه وتسديده.

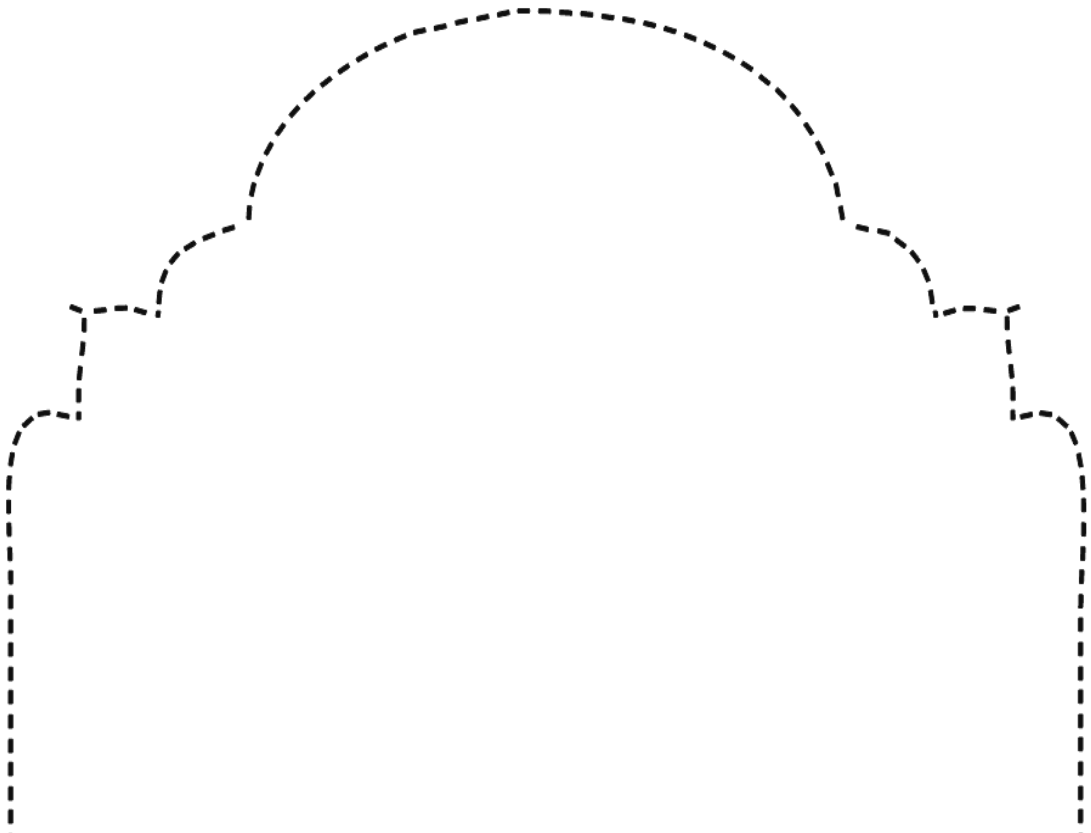

تقويم أخطاء الخطيب

مواضيع تقويم أخطاء الخطيب

ليس المقصود من هذا القسم تتبّع الأخطاء فحسب، وإنما التنويه لتلافي الأخطاء، وتوضيح الصواب، وإرداف ذلك بتحسين أداء الخطيب.
علماً بأنه يعود قسم تقويم أخطاء الخطيب إلى ثلاثة أمور: صفات الخطيب، وطرق إعداد الخطيب، ووسائل الإلقاء.

الأمر الأول: تقويم أخطاء الخطيب فيما يتعلّق بصفات الخطيب:

- **(المخالفة لهدي السنة في الظاهر، والوقوع في المعصية):**

من ذلك إسبال الثوب، أو ما يُسمّى بالعامية: (البشت أو المشلح)، أو تنزيله نزولًا بحيث لا يتميّز بأنه على السُنّة، أو الوقوع في حلق اللحية، أو تقصيرها كالعارض، ونحو ذلك من المحرمات الظاهرة.

فكيف يقتدي الناس بمن يخالف فعله قوله، وكيف يتأثروا بكلام من لم يوثر كلامه على نفسه، وقد قال سبحانه ذاماً ما وقع فيه بنو إسرائيل بقوله: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [البقرة ٤٤].

وقال رسولِ اللَّهِ ﷺ: (يجاءُ بالرجُلِ يَوْمَ القيامَةِ فيُلْقَى في النارِ، فتَنْذَلِقُ أقتابُهُ، فيدورُ بها في النارِ، كما يدورُ الحمارُ برحاهُ، فيُطِيفُ بِهِ أهلُ النارِ، فيقولونَ: يا فلانُ! ما أصابَكَ؟ ألم تكنْ تأمرُنا بالمعروفِ وتنهانا عنِ المنكَرِ؟ فيقولُ: بلَى، قَدْ كنتُ آمرُكُم بالمعروفِ ولَا آتِيهِ، وأنهاكُم عَنِ المنكَرِ وآتِيهِ) أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩) باختلاف يسير.

فحثّ الخطيب الناس على التقوى كما هو متعارف عليه، ومخالفته لذلك مثل وقوعه في المحرمات أو ترك الواجبات، يدخل فيه ذلك الوعيد من تلك النصوص، وليس معنى أنه لا يدخل في الوعيد إلّا إذا ذكر المحرّم بعينه أو ترك الواجب بعينه وخالفه.

- **(خُلق التعالي الذي لا يليق بالمسلم فضلًا عن الخطيب):**

مما يُلاحظ أن بعض الخطباء –هداهم الله– إذا دخل المسجد دخل يمشي بطريقة متعالية، وإذا جلس قبل الخطبة جلس جلسةً يظهر فيها أنه غير مبالٍ بالناس، وينشغل بتصفّح وجوه الناس، وإذا شرَع في الخطبة جعل ينظر إلى الناس يُشعر لمن رآه بأنه غير مبالٍ ولا مكترث بهم، وكأنه يُشعرهم بأنه شجاع وجريء، ويخاطبهم بنبرة فيها حِدّة، موجهاً أوامره ونواهيه المباشرة لهم، وهذا الأسلوب لا تتقبله النفوس، بل تنفر منه.

فعلى الخطيب أن يوقن أن فضل الله تعالى هو الذي ساقه إلى هذا المنبر الشريف، لذا فعليه أن يتواضع له سبحانه، ويتأدّب في مشيه وصعوده للمنبر، وجلوسه عليه وحسن استقباله للناس أثناء الجلوس والخطبة، قاصدًا بذلك وجه رب العالمين، وليس من جهةً أخرى تواضعاً مُزيّفاً يرغب منه مدح الناس.

- **(تصرفات غير لائقة):**

بعض الخطباء إذا دخل المسجد يستاك بشكل لافت، وبعضهم يستمر في استياكه إلى قبيل الشروع في الخطبة، فتبقى بقية من أجزاء السواك في فمه، فتخرج البقايا وهو يخطب، وهو أمر مُستقبح، وبعضهم يعتاد مسح اللحية، ولمسها بغير حاجة، ومنهم من يكثر من الالتفات خاصةً أثناء الجلوس على المنبر.

فهذه التصرفات وأمثالها تقلّل من هيبة الخطيب، أو توحي بعدم اكتراثه بمن أمامه، كما تُضعف توقيره لمقام الخطبة العظيم.

(كراهة الكلمات المبهمة في الخطبة، والبعيدة عن الأفهام، وما تكره عقول الحاضرين من البذاءة):

ذكر ذلك النووي – رحمه الله– (المجموع، ٣٥٨/٤)، بل وذلك مما ينافي مقصود الخطبة لعامة الناس من الإفهام والتوضيح بما يناسب مستواهم، وحرمانهم من العلم النافع، مما قد يوقع الخطيب في الإثم.

- **(العُجُب وحب المحمدة):**

حينما يرى خطيب الجمعة جموع الناس ومن بينهم أهل العلم، أو أصحاب مناصب، أو مسؤولين؛ فقد يُداخله العُجُب بنفسه، أو يطمع في حب المحُمدة، لا سيّما إذا عَلِم أن منهم من قد حضر لأجله، فكان لزاماً على الخطيب الذي يخشى الله أن يستعيذ بالله دوماً مما ينُقص أجره، أو قد يحبط ويبوء بالعذاب الشديد، فالأمر خطير، ولنتذكّر حديث أول ما تسعّر به جهنم – أعاذنا جميعاً برحمته من ذلك–: (.. ولَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقالَ: عالِم، وقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقالَ: هو قارِئٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ علَى وجْهِهِ حتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ..) كما رواه مسلم (١٩٠٥).

فعلينا أن نجاهد نياتنا ونوقن أن مدح الناس لا يرفعنا عند رب العالمين، كما نرجع الفضل له جل جلاله فله المنّة والفضل وحده لا شريك له الذي وفقنا لهذا العمل الجليل، وأقبل بالناس لسماعنا، وليس بجهدنا ومهارتنا.

يقول بعض السلف: "إذا جلست للناس فكن واعظاً لقلبك ونفسك، ولا يغرّنك اجتماعهم عليك، فإنهم يراقبون ظاهرك، والله يراقب باطنك".

كما ينبغي الحذر من الإعجاب بمدح الناس، فإن منهم من إذا مدح أسرف، والعبد أعلم بنفسه، وأحسن ما يداوي المعجب بنفسه هو أن ينظر إلى من فوقه علماً وتواضعاً من سلفنا الصالح وعلمائنا الكرام ممن قال الله عنهم: (نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) [يوسف٧٦].

ولا يخدش في الإخلاص الفرح بالثناء على الشخص، أو على ما قدّم من خطبة أحسن فيها ونيته خالصة، فقد قيل لرسول الله ﷺ: (أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ العَمَلَ مِنَ الخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النّاسُ عليه؟ قالَ: عليه الصلاة والسلام: تلكَ عاجِلُ بُشْرى المُؤْمِنِ) رواه مسلم (٢٦٤٢).

فإذا كان عمل المؤمن خالصاً لله، ولم يطمع في ثناء الناس، ولم يُعجب بعمله، ثم ألقى الله تعالى الثناء الحسن في قلوب المؤمنين، ففرح بفضل الله ورحمته واستبشر بذلك، لم يضرّه ذلك، كما ذكر أهل العلم استنباطاً من الحديث السابق.

وإنما الإثم والوزر إذا دخل العُجب بالمدح، ونُسب الفضل إلى النفس في الجهد والعمل-أعاذنا جميعاً من ذلك- ، وعلامة الإصابة بداء العُجُب: الاستنكاف من النقد الصائب، ومجافاةُ من يُلاحظ ما يراه واعظاً، وكره نصح الناصح، ويرى أنه أفضل من غيره.

- **(عدم حسن الهيئة للخطيب في لباسه وطيبه):**

والخطيب هو القدوة، والأنظار متجه إليه، فإذا كان المصلون يستحب لهم ذلك؛ فالخطيب من باب أولى، وسبقت الإشارة إلى أهمية الاعتناء بذلك من غير مبالغة في قسم صفات الخطيب.

- **(كراهة تخطي الخطيب رقاب الناس من غير حاجة):**

ذكر ذلك الشافعي وابن قدامة والنووي – رحمهم الله- وغيرهم، (انظر: الأم ١/٣٤٠، المغني ٣/٢٣١، المجموع ٤/ ٣٧٧)، ويعني إذا كان لحاجة: إن لم يكن للخطيب باب مستقل يدخل منه للمنبر.

- **(خطبة الخطيب وهو جالس):**

سبق أن الراجح في قسم: أهم أحكام الخطبة والخطيب؛ أن قيام الخطيب حال الخطبة شرط مع القدرة عليه، وهذا هو القول الصحيح والمشهور عند الشافعية، وهو رواية عن الإمام أحمد، واختارها بعض أصحابه، وسبق سرد الأدلة الثابتة على ذلك، لذا روى ابن أبي شيبة عن طاووس قال: الجلوس على المنبر يوم الجمعة بدعة. (مصنف ابن أبي شيبة ٢/٢٢).

وهذا داخل في صفات الخطيب، لأن من صفاته: أن يكون على علم بأحكام الخطبة حتى لا يقع في مخالفة أو بدعة.

- **(ألفاظ تجريحيه لا تليق بالخطيب الداعية):**

يلاحظ على بعض الخطباء إذا طرح موضوعاً خروجه عن الحدّ الشرعي المطلوب، وعن كونه داعية، فيستخدم ألفاظاً لا تليق بالمنبر الذي تولّاه، وربما تمادى للتجريح، ونفّر الناس منه، ومن الموضوع المتحدَّث عنه، فيقول مثلًا عن بعض أهل الغفلة: (أولئك السفلة العصاة الفجرة الهلكة.. لا بارك الله فيهم..)، وكقول بعض الخطباء في ذكره بعض المخالفات في يوم العيد: (خروج بعض النساء اللاتي لا دين لهن، وهن متبرجات بزينة..).

وهذه الأمثلة وغيرها مخالفة للهدي النبوي الشريف أولًا، كما أنها تُذهب المقصود من خطبة الجمعة، فليس المقصود أن يشفي غليله من حرارة المنكر، بل عليه الإنكار بالقدر الذي يُدرك الناس منه قُبح ذلك الفعل، وما يترتّب عليه من مضار في المجتمع، ومن آثاره ظهور المعاصي والذنوب والإعلان بها، فالخطيب المُصلح يتحبّب إلى السامعين بالطيّب من الكلام ليؤثّر فيهم، ولا يتعرض للشتم والمُلام، ويحرص على تأليف القلوب.

• (استغلال المنبر لغير ما وضع له):

خطبة الجمعة وُضعت شرعاً لتبصير الناس بالدين الحق، وحثّهم على العمل به، والدعوة إليه، والصبر على تحمّل الأذى فيه وتعليم الناس وتوعيتهم وإرشادهم لما ينفعهم في العاجل والآجل، وإنكار المنكرات الظاهرة، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، والدفاع عن حرمات ديننا العظيم وتشريعاته، وإبراز شموليته وعموميته لكل مجالات الحياة.

لكن من الخطباء من لا يُدرك ما سبق جيداً فيقع مثلًا:

• في تصفية حسابات مع آخرين، والصواب: ذكر المخالفات الشرعية التي وجدت من قبلهم وكانت منتشرة؛ بالإنكار عليها بالحكمة دون التصريح بمن فعل ذلك، كما ورد عنه ﷺ: (ما بالُ أقوامٌ قالوا كذا وكذا) أخرجه البخاري، (٥٠٦٣)، ومسلم، (١٤٠١)، وللمعلومية: فإن القول يطلق في اللغة على الفعل، بمعنى: (ما بال أقوام يفعلون كذا).

• وأيضاً يقع بعض الخطباء: في الطعن في الجماعات الدعوية بكاملها، وتصويب ذلك: أن ذلك مخالف لما أمر به رب العالمين من العدل وتحرّي الإنصاف وعدم الوقوع في الظلم، فالجماعات الدعوية ليست كالفرق المنحرفة – كما ذكر أهل العلم– لأنها مناهج دعوية ينضم تحتها من يكون من أهل السنة كما أن منهم غير ذلك، وأيضاً كما أن فيها سلبيات؛ فكذلك لها إيجابيات ونفع الله بها، وإنما يُنبّه على التحذير من الانتماء لأي جماعة، لما فيها من التفرقة بين المسلمين كما دلت عليه النصوص الشرعية.

• وكذلك مما يقع فيه بعض الخطباء: من إثارة للنعرات الجاهلية والقبلية، أو احتقار، أو استهزاء ببعض الجنسيات، والرد الواضح على من وقع في مثل ذلك، أو تلميحاً له؛ بأن فيه مخالفة صريحة لشرعنا القويم الذي حرّم ذلك بأدلة ثابتة واضحة لا تخفى على الخطيب.

• ومما يقع فيه بعض الخطباء: المداهنة القبيحة لبعض المنكرات الظاهرة وتمييعها، وترك الإنكار عليها ومساوئها، لأنها صدرت من مسؤولين، أو عدم توعية الناس بمثل ذلك بسبب زيادة الخوف غير المبرر.

وتقويم ذلك: بأنه لا يلزم ذكر هؤلاء المسؤولين حتى لا يخشى الخطيب من ذكر ذلك، وإنما يُبيّن للناس خطر هذه المنكرات الظاهرة والنصوص الشرعية المحرّمة لها، وكفى، وفي ذلك بُعداً عن كتمان الحق الذي سُيسأل عنه رب العالمين.

• ومما يحذّر منه بعض الخطباء: الوقوع في الحماس الزائد غير المنضبط، والذي قد يُثير فتناً ومظاهرات وقلاقل، والذي قد يقع بسببه في محذورين:

الأول: أن هذه الجموع التي تخرج بسب حماسه ليس لها قائد يوجّهها للإصلاح على أرضية الواقع، وإنما قد تكون عندهم ردّة فعل متهورة مما قد تُفسد أكثر مما تصلح، وقد رأينا النتائج المريرة لذلك في البلاد التي ثارت فيها الشعوب، وليس لها قادة عقلاء صالحون مصلحون يوجّهونها، ومن قواعد الشريعة المعتبرة: (درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح).

والمحذور الثاني: أنه يحرم نفسه من منبر إصلاحي، وثغرة لخدمة الدين بعزله، بل وقد يُفتن في دينه من خلال حبسه، وربما تعذيبه.

• (النقد المصرّح بالأسماء أو المدح المذموم):

النقد الشخصي، والتصريح بالأسماء، هذا خلاف هدي النبي ﷺ، والذي كان كثيرًا ما يقول: (ما بالُ أقوامٌ قالوا كذا وكذا) كما في الصحيحين، وسبق تخريجه، وإنما المشروع إنكار المنكرات الظاهرة العامة دون ربطها بالأشخاص، وفي المقابل من الأخطاء: مدح من لا يستحق المدح والثناء عليه، كما في بعض المواقف والمشاريع التي يدرك العقلاء بأنها غير صادقة ولا جادّة.

(ترك إنكار الخطيب لمن يتأخر ويتخطّى رقاب المصلين، وأمر الداخل للمسجد أن يصلي ركعتين):

عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ يتخطّى رقاب الناسِ يومَ الجمعةِ والنبيُّ ﷺ يخطُبُ فقال له النبيُّ ﷺ: (اجلسْ فقد آذيتَ) أخرجه أبو داود (١١١٨)، والنسائي (١٣٩٩)، وأحمد (١٧٦٧٤)، قال النووي في: خلاصة الأحكام للنووي (٧٨٤/٢) روي بإسنادين صحيحين، إسناد على شرط مسلم، وفي رواية بإسناد صحيح: (فقد آذيت وآنيت).

وقال ابن عبد البر في "التمهيد" (٣١٦/١): "وفي قول رسول الله ﷺ للمتخطّي يوم الجمعة: (آذيت) بيان أن التخطّي أذى، ولا يحل أذى مسلم بحال في الجمعة وغير الجمعة"، وقال النووي في "روضة الطالبين" (٢٢٤/١١):

"المختار أن تخطّي الرقاب حرام، للأحاديث فيه"، ورجّح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– كما في "الاختيارات الفقهية" (ص ٨١)، وغيره.

فيجب على الخطيب إنكار ما يؤذي المسلمين كما أنكر ﷺ ذلك.

وأمّا إذا دخل الشخص المسجد والخطيب يخطب وجلس ولم يصلِ تحية المسجد ورآه الخطيب؛ فعليه أن يأمره بذلك للحديث الذي أخرجه البخاري (٩٣٠)، ومسلم (٨٧٥) باختلاف يسير، عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما– قال: جَاءَ رَجُلٌ والنبيُّ ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ يَومَ الجُمُعَةِ، فَقالَ: (أَصَلَّيْتَ يا فُلَانُ؟) قالَ: لَا، قالَ: (قُمْ فَارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ).

وأيضاً للحديث الذي رواه جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما– قال: جَاءَ سُلَيْكٌ الغَطَفَانِيُّ يَومَ الجُمُعَةِ، وَرَسولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ، فَجَلَسَ، فَقالَ له: (يا سُلَيْكُ قُمْ فَارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ وَتَجَوَّزْ فِيهِمَا)، ثُمَّ قالَ: (إذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَومَ الجُمُعَةِ، وَالإِمَامُ يَخْطُبُ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ، وَلْيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا) أخرجه البخاري، (٩٣٠) بنحوه، ومسلم، (٨٧٥).

وأما الحديث السابق في أمره ﷺ للرجل عندما دخل المسجد ويتخطّى رقاب الناس بقوله: (اجلس) فهو قضية عين، يحتمل أن يكون الموضع يضيق عن الصلاة، أو يكون في آخر الخطبة بحيث لو قام للصلاة فاتته تكبيرة الإحرام، أو أن هذا الداخل ربما كان قد صلّى ثم قام فتقدّم وتخطّى رقاب الناس، كما ذكر ذلك ابن قدامة – رحمه الله– في: (المغني، ١٩٣/٣).

• (التقليد):

التقليد لخطيب مُعيّن في أسلوبه، وهذا كما فيه من التكلّف المذموم؛ فكذلك قد يدخل في هذا المُقلّد العُجُب والمراءة، بالإضافة لإضعاف مواهبه وإبداعه.

لذا فليخطب الخطيب حسب ما أعطاه الله من قدرات ومواهب وعلم، فكلٌ له ما يناسبه في أسلوبه، وطبيعة الشخص وسجيّته هي أقرب إلى استساغة أسلوبه وقبوله.

• (حُب الخطيب الاجتماع لخُطَبه):

الحزن والضعف لقلة الحضور عند الخطيب، والفرح والنشاط بكثرتهم؛ هذا من مداخل الشيطان وهوى النفس، بل الخطيب الصادق مع مجاهدته لنفسه من داء حُب الاجتماع بكثرة لخُطَبه، فكذلك هو يفرح إذا سمع أن من أقاربه أو معارفه من يحضرون عند غيره من الخطباء، ويدعو الله له بالنفع والسداد، ويثني عليه إذا عُلِم عنه خيرًا.

كما أن ذلك الفعل النبيل الصادق يدفعه لأمرين:

أولهما: التماس العذر لمن لم يحضر عنده بأنه قد يجد الراحة والفائدة عند الخطيب الآخر، أو لقربه من بيته، أو لأسباب أخرى.

والأمر الآخر: أن يُضاعف محاسبته لنفسه، فقد يكون الخلَل في أسلوبه، أو مادته التي يطرحها، أو بسبب إطالته، أو ضعف إخلاصه وتأثيره، أو لغير ذلك.

وأن يجعل همّه مع إصلاحه لتلك الأمور رضا الله تعالى والدار الآخرة، لا رضا الناس والطمع في ثنائهم واجتماعهم عنده.

- **(الاكتفاء فقط بخُطب غيره دون عذر):**

وهذا إن لم يكن من المبتدئين، أو ممن تُلهيه إشغال مُلحّة طارئة؛ فإنه يوقع نفسه في سلبيات، منها:

أولًا: أنه يُسبب له ضعف الهمة، وخور العزيمة، حيث يكتفي بتقليد الآخرين دوماً.

ثانيًا: أنه يُفقد الحماس والنشاط، فيُصبح كأن الخطبة هم يُراد إزاحته، أو مجرد وظيفة يستلم عليها مكافأة، وهذا يؤثّر على الأسلوب الجذاب، وقبول الناس.

ثالثًا: أن النفع فيها للخطيب المُلقي يسير، فالعمل الذي لا يجتهد فيه صاحبه بحثًا وإعدادًا سرعان ما يُنسى، كما أن ذلك يؤثّر على الطموح، والانتفاع من العلم.

فينبغي لمن لم يكن من المبتدئين في الخطابة، ولم يكن لديه أعمال طارئة تعوقه عن الإعداد؛ أن يجتهد في إعداد الخطبة ما أمكن، وقد سبقت الطرق القويمة لإعداد الخطبة في القسم المختص بها.

وإن اضطر للاستفادة من خُطَب غيره؛ فعليه أن يضيف عليها أو يعدّل ما يراه مناسباً، ومن ثم يتدرج لتطوير نفسه في الإعداد الجيّد، (وقد سبق الإشارة في كيفية الاستفادة والإضافة في قسم: طرق إعداد الخطبة، تحت الجزء الخامس، فلينظر إليه لأهميته، وكثرة من يقع في ذلك).

وبالنسبة للمبتدئ عليه أن يوسّع من اطّلاعه وثقافته حتى يُحسن الإعداد شيئاً فشيئاً.

- **(الحماس غير المعتدل):**

يُفقد في الغالب تركيز الخطيب، والتحكّم بكلامه، وربما صرَخ صراخاً آذى فيه المستمعين، فلا بد أن يكون رابط الجأش، هادئًا في كلامه، متمهّلًا في منطقه، كما لا يكون في المقابل بارداً لا يتفاعل فيما ينبغي التفاعل معه من كلمات.

- **(الإفراط في الثقة بالنفس):**

مما يؤدي إلى الاستهانة بالناس، وعدم العناية بجودة المادة العلمية، لذا ينبغي للخطيب أن يكون لديه قلق معتدل يحفّزه على العناية بالخطبة، والإعداد لها، وانتقاء الألفاظ والمعاني المناسبة؛ لأن من تكلّم عن احتراس احتاط لنفسه من الغلَط.

- **(ضعف تقبّل النقد):**

المتصدّي للخطابة والإلقاء يستمع له: المتعلم والجاهل، والمثقف والغافل، والحكيم واللئيم، فلا يعتقد أن كل من سيحضر خُطَبه سيثني عليه، ويُحدّث بمحاسن ما قال، لذا لا بد من توطين النفس عندما يأتيك أحد لينقدك في محتوى خطبتك، أو أسلوبك، أو يعترض عليك في مسألة ذكرتها، أو نحو ذلك، بل ربما تجد من يخطئك في أمر ليس بخطأ، وإنما بسبب جهله.

فعلى الخطيب الحصيف ألّا يضيق ذرعاً من ذلك، ولا يكون من الخطباء المتعالين الذين يرون أنهم لا يأتيهم الباطل من بين أيديهم ولا من خلفهم، أو ممن ينفعلون ويحتدّون بالنقاش عند النقد.

ولنتذكّر هذه التوجيهات:

أولًا: الاستماع والإنصات لمن ينقد هو المتعيّن، ويدل على التواضع، وفهم جيداً لما انُتقدنا فيه، فإن كان نقده صائباً فيُشكر، وإن كان خاطئاً فيوضّح له، ومن الخطأ البيّن: الهجوم مباشرة على من ينتقد، والدفاع عن النفس، وكأننا معصومون من الخطأ والسهو.

ثانيًا: تذكّر أن النقص من طبيعة البشر، وأنا وأنت منهم، فإن أخطأنا في معلومة، أو طريقة أسلوب، أو غير ذلك، وأتانا من ينُقدنا وأوضح لنا الصواب، فهذه نعمة ساقها الله لنا فنشكره على ذلك، ونثني عليه، بل ونخبره بأننا لا نستغني عن أي توجيه.

ثالثاً: إحسان الظن بمن أتاك ونقدك فيما بينك وبينه، فهو لا يريد لك – بحول الله– إلّا الخير، بل ولو كان حتى نقده لاذعاً؛ فهذا أدعى لمجاهدة النفس عن البُعد عن الغضب والحقد، ومحاورته بالتي هي أحسن – بقدر الإمكان– فحمل الناقد على أحسن المحامل يرُيح النفس، ويستفاد من نقده إذا كان صائباً.

رابعاً: توطين النفس على تقبّل النقد، وعدم التضايق منه يحتاج له دربة، لأن نفوسنا تتقلّب، لكن مما يقوي فينا تقبّل ذلك:

تغيير القناعات تجاه النقد والناقدين، لأن الأفعال ناشئة من القناعات، فمن اقتنع أن النقد من سمة البشر، وأنه لم يسلم أحداً منه حتى نبينا ﷺ، هيأ نفسه لتقبّل النقد، ولم يغضب، ولم يحزن.

فطبّق هذه القاعدة المجرّبة العملية، وسوف ترى – بإذن الله– بعد الاستعانة بالمعين سبحانه والتوكل عليه، وكثرة المران على تقبّل النقد؛ إنك لن تتضايق كثيرًا من النقد، ولا تضخّمه في نفسك.

خامساً: أن رضا الناس غاية لا تدرك، ورضا الله غاية تدرك، فما دام أنت على حق وفضيلة وخير في إعدادك وإلقائك، فاحمد الله واطلب رضاه وحده، ولا عليك ممن لا يرضى وأتاك ينتقدك في أمر جانب في انتقاده الصواب كثيراً، ولكن أوضح له الإشكال الذي خطّأك فيه وأنت على صواب، بأسلوب مناسب هادي مُدعماً بالأدلة إذا استدعى الأمر.

• (التهاون في التسجيل للخطبة):

وهذا من سلبيات الخطيب خاصةً لمن كان في بدايات الخطابة، بل وكذلك لا يستغني عن ذلك من تقدّم في الخطابة، وذلك لأن في استماع الخطيب لخطبته بعد إلقائها استماع ناقدٍ ومتصيّد للأخطاء التي وقع فيها وهو لا يشعر؛ مراجعةً له حتى يتلافاها، ومن جهة أخرى: البحث عن الجوانب الإيجابية لتعزيزها وترسخيها، بل وربما قد يضيف ما ينبغي إضافته عند تذكّره خلال الاستماع، وهذا مجرّب.

وهذا يدل على إجلال مقام الخطبة، والتي لها قدرها ومكانتها في الإسلام، وأيضاً: احتراماً للمصلين الذين جاؤوا طاعة لربهم، وتلبية لنداء خالقهم، وحباً لسماع ما عندك.

بل إن لاحظ أن خطبته بالمستوى الجيّد الذي يُمكن أن يفيد بها غيره، فهذا باب دعوي لمن لم يحضر خطبته؛ فليرسلها عبر وسائل التواصل حتى يُعم النفع بها، ويكسب الأجر.

• (اعتذارات باردة في مقدمة الخطبة):

يقع من البعض ذلك إذا أراد الحديث في بداية الخطبة؛ كمثل: لست بخطيب، ولست بكذا، ونحو ذلك، يذم نفسه على الملأ، وفيه شيء من المدح، وتزكية لنفسه، أو أن يقول: ليس لدي ما أقوله، ويطنب في ذكر ضعف معلوماته عن الموضوع المُراد.

وإذا قال قائل: إن بعض الناس سيكتشف ذلك فلا فائدة من الإخبار، وإن قيل: إن بعضهم لن يكتشف ذلك فلا داعي للإخبار بهذه الحقيقة المرّة.

• **(العبَث أثناء الخطبة):**

لا يليق بالخطيب ذلك، كمن يفرك يديه، أو يحكّ لحيته حكّاً متواصلًا، أو يعبَث بالشارب، أو يُكثر تعديل الغترة، أو تقليب الأوراق، وطيّها تقليباً مزعجاً، فالعبث بهذه الأمور ونحوها لا ينبغي أمام المستمعين الناظرين إليه، وكما فيها تشويش لأفكارهم وسماعهم، فكذلك تُضعف رزانة الخطيب واتزانه.

وقد يكون من أهم أسباب ذلك: القلق الزائد، والرهبة من الإلقاء، وقد سبق ذكر الطرق التي تيسّر – بحول الله– على حسن الإلقاء بسكينة أمام الناس في قسم: وسائل الإلقاء، تحت فئة المبتدئون، الجزء الأول، والذي منها: التبكير المناسب للخطبة، والاسترخاء، وتلاوة آيات السكينة، وغير ذلك، فليرجع إليها لمن أراد الفائدة.

• **(التأثّر بشبهات الضالّين من الإعلاميين وغيرهم عند نزول الكوارث):**

• مثل: من ينسب الحوادث الكونية إلى الطبيعة أو تعليقها بأسباب مادية دون ربط ذلك بقدرة القدير –جلّ جلاله–؛ كتفسير الزلازل بتصدّعات الأرض، والفيضانات بمدّ البحر، ونحو ذلك.

• ومن ذلك: وصف من قضوا في النوازل الكونية بأنهم أبرياء، وهذا يُشعر بأنهم مظلومون، ولازم ذلك أن من فعل بهم ذلك قد ظلمهم –تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا–.

• وأيضاً في النوازل التي تصيب الكافرين، قد يقع بعض الخطباء في خلَل وزيغ عندما يُقرر أن الدول المتقدّمة قادرة على مواجهة عشرات الكوارث لأنهم أهل الحضارة والتقدّم، ولحاجة البشر إليهم، وفي ذلك تأليه لقدرات البشر التي فيها تحدّي لقدرة جبّار السماوات والأرض.

• **(الانفتاح الإعلامي وأثره السلبي على بعض الخطباء):**

في ظِل انتشار كثيراً من الحوارات والمناظرات لمفكّرين ومثقفين؛ يتأثّر بعض الخطباء من استدلالاتهم العقلية على حساب النصوص من الكتاب والسنة، ومنهم من يستبدل النصوص الشرعية المعصومة بأقوال الفلاسفة والمفكّرين والكتّاب الغربيين.

وهذا قد يعود لمحاولة إظهار الخطيب نفسه بمظهر الخطيب المثقّف الذي يُلم بأدوات العصر ومصطلحاته، أو مجاراة ما يُلقي على أسماع الناس عبر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي من ألفاظ ومصطلحات لم تُكن من قبل في معاجم الدعاة والمصلحين، ولا تجري على ألسنتهم.

وذلك مثل مصطلحات: أنا، والآخر، والرأي، والتعايش السلمي، وغير ذلك.

• (بين التهوّر والاندفاع، والمداهنة وتسويغ الباطل):

من شدّة حماس بعض الخطباء اندفاعه وتهوّره في قول ما يريح ضميره فيما يرى لزاماً أن يصدع به، دون النظر إلى عواقبه من إبعاده من ميدان الخطابة وحرمانه من ثغر كان يقوم به.

وأخطر من ذلك: من يُداهن ويسوّغ للباطل لُيشرّعه للناس بلي أعناق النصوص إن لم يكن بترها، ليخرج نفسه من مأزقها على حساب دينه، أو لينال منفعة عاجلة، فيبوء -والعياذ بالله- بسخط الله تعالى، ويُسقط من أعين الفضلاء.

وبلا شك أن الحق أحق أن يُتّبع، وأن على الخطيب أن يكون على الجادّة في قول الحق، ولكن بحسن إعداد ما يُلقي وبحكمة وتروّي دون اندفاع وتهوّر وإطلاق الكلام جزافاً.

وإن أُلزم على قول حق مشوب بباطل، فليظهر الحق بأدلته، ويتحايل على الباطل فلا ينطق به، إذ لا يجوز له تسويغ الباطل.

فإن طُلب منه بإلحاح أن يتحدّث للناس بما يخالف شرع رب العالمين، فقد قال رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه كما في الصحيحين: (السَّمْعُ والطّاعَةُ على المَرْءِ المُسْلِمِ فِيما أحَبَّ وكَرِهَ، ما لَمْ يُؤْمَرْ بمَعْصِيَةٍ، فإذا أُمِرَ بمَعْصِيَةٍ فلا سَمْعَ ولا طاعَةَ) أخرجه البخاري (٢٩٥٥)، ومسلم (١٨٣٩).

حتى ولو أُبعد عن الخطابة، حتى لا يكون داعية إلى الباطل وإضلال الناس.

وقد قيل: سلامة المنهج ولا منهج السلامة.

• (تعامل الخطيب بين الابتذال والترفّع):

على الخطيب أن يكون متوازناً في شخصيته وتعامله مع غيره، فلا هو ضعيف مُستباح يُبتذل لكل أحد حتى تُداس هيبته، وينساق خلف رغبات كل أحد في خُطَبه، ولا يكون شديداً صارماً عبوساً لا يتعامل مع أحد من المصلّين إلّا بحذر، ولا يتحدّث معهم إلّا بوقار متكلّف، فينفر منه الناس ويظنون فيه الكِبَر والتعالي، فلا يفتحون له صدورهم، بل قد لا يقبلون على خطبته فيمتثلون ما فيها، لأنه صنع حواجز بينهم وبين قبولها.

لذا الاعتدال مطلوب، ولنا في رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه أسوةً حسنة في حسن اعتدال خُلقه وتعامله، فلجاهد أنفسنا لنقتدي به.

(التأثّر بالمثبّطين ممّا يؤدي إلى الفتور أو الانقطاع):

والمثبّطون -هداهم الله- لهم أساليب شتّى، وإن كان منهم من يفعل ذلك بحسن نية.

كمثل: أن يُقال للخطيب الذي لم يُحسن جيداً في إلقائه أو إعداده: الأفضل لك أن تبحث عن مجال أفضل يناسب فيه إبراز مواهبك، وهذا تثبيط غير مباشر، وكان الأولى أن ينصحه فيما وقع فيه من ضعف، ويشجّعه، ويدلّه على الوسائل لتحسين مستواه.

ومنهم: من ينتقد معلومة ذكرها الخطيب أو طريقة أسلوبه بطريقة مباشرة فجّة.

ومنهم: من ينصحه أمام الملأ إذا أخطأ بأسلوب مُحرج.

بل ومنهم: من يقول حتى لمن يُحسن الخطابة: ألم تلاحظ أن الذي يسمعك قليل مقارنةً بمن يشاهد ويسمع قنوات فلان وفلان في فيديوهات وسائل التواصل الاجتماعي، وهذا صدّ لباب دعوي عظيم: باب الخطابة، والذي كفى به شرفاً أن يدوّن ملائكة الرحمن من يستمعون للخطيب ثم يحضرون للاستماع له، بالإضافة للمميزات والأجور التي ذُكرت في قسم: مميزات خطبة الجمعة.

ثم لا يمنع الخطيب مع لزومه لثغرة الخطابة أن يمارس الدعوة من خلال قنوات وسائل التواصل الاجتماعي إذا كان له رغبة في ذلك، وممن يُحسن عرض دعوته في هذا المجال، مع ملاحظة مهمة انزلق فيها – جمع ممن دخل هذا المجال الدعوي عبر وسائل التواصل– ولا أعني كل من مارسه، ألا وهي: داء حب الشهرة، والطمع في كثرة المتابعين، وهذا يعود بنا أن نجاهد نياتنا، ونوقن أن صلاح قلوبنا وأعمالنا مقدمٌ على الإصلاح، بل النفع والبركة في الدعوة لا يكون إلّا من صلحت نيته وطاب عمله –نسأل الله لنا ذلك جميعاً بفضله وبرحمته–، وأن الوعيد بالعقاب الأليم – عياذاً بالله– لمن كانت نيته لغير وجه رب العالمين خالصة.

فعلى من تولّى أمانة هذا المنبر الدعوي الشريف ألّا يلتفت لمثل هؤلاء المثبّطين، ومن جهة يستفيد من انتقده في إصلاح وتحسين ما أخطأ أو ضعف فيه، كما يعلم أن الكمال عزيز، وما من أحد إلّا وقد يكون عليه شيء من الملاحظة في أسلوبه أو إعداده أو غير ذلك.

وأن الناجح هو الذي يستفيد من أخطائه ويستمر في تحسين مستواه ولا ينقطع، ويجعل همّه رضا الذي بيده مقاليد السماوات والأرض، والطمع في الأجر الجزيل من عنده، وأن الفاشل هو المتأثّر سلبياً بأقوال الناس وهمّه رضاهم، ولا يطوّر نفسه، بل قد ينقطع.

الأمر الثاني: تقويم أخطاء الخطيب فيما يتعلّق بطرق إعداد الخطبة:

- **(التعبير بدون تأصيل وبحث):**

جملة من الخطباء يعتبرون الخطبة إنما هي فكرة ما، يُعبّر عنها بكثرة الجُمل الإنشائية، فيولّد الكلام بعضه من بعض، فيخرج الناس من الخطبة وهم لم يستفيدوا حصيلةً علميةً، أو لم يصحح الخطيب مفهوماً خاطئاً لديهم، أو لم يوجّهوا إلى فضيلة، ببحث جيد وبنصوص مسترشدة.

والمقصود: العناية بربط المستمعين بنصوص الوحيين مما تتحمله وتستوعبه عقولهم، وما يُناسب حالهم وثقافتهم، ربطاً علمياً يُستنبط منه الحكم الشرعي بتبسيط وتأصيل مسترشداً بذلك بكلام أهل العلم في تفسيرهم للآيات، أو

شروحهم للأحاديث، مع ملاحظة التثبّت من التفسير الصائب، والحديث الصحيح من الضعيف، فبعض الخطباء لا يهتم بأقوال المفسّرين، ولا يبحث الراجح منها.

كما أن من الخطباء من لا يعتني بدرجة الحديث، بل ربما ينشر أحاديث موضوعة، وقد يقع في ترغيب البدعة من حيث لا يشعر، فيأثم ويكسب آثام من استمع له ونشر ذلك.

وأيضًا مع التثبّت في ذلك لا بد من التأكّد من دلالة الآية وتفسيرها، أو الحديث الصحيح على المقصود، حيث يقع بعض الخطباء في دلالة غير واضحة لما أراد أن يستدل به، أو يوجد في الموضوع الذي أراد طرحه أدلة أكثر صراحة ممّا ذكر.

فينبغي ألّا يقع الخطيب في ضعف التحليل الموضوعي للخطبة، ويجنح لجعل الخطبة تعبير وإنشاء، ويدخل في ذلك: وصف الأخطاء والتحذير منها دون العمق في تحليل أسبابها، والتفتيش عن مكمن الضعف، وهذا من الخلل والقصور، لأن أغلب الناس يدركون الخطأ والمعصية، لكنهم ينتظرون الخطوات التحليلية الواقعية، وذكر الأسباب إن استدعى ذلك، وطرق الوقابة والعلاج، فيما يناسب الموضوع، والبحث الموضوعي الجيّد في ذلك.

وقد سبق التفصيل في ذلك في قسم: طرق إعداد الخطبة.

• (الاعتماد على خطب قديمة مخالفة للشرع، وبما لا تناسب الحال):

وهذا من التكاسل والجهل والتقصير في اعتماد بعض الخطباء على قراءة خطب قديمة، بمعنى قبل قرابة مائة أو مائتين سنة، وفيها ما يخالف الشريعة، ومن ذلك الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواهية كأحاديث فضل رجب ونصف شعبان وغيرها من غير تبيانها للناس، وهذا تدليس بل وغش للمسلمين، بالإضافة إلى أن منها لا يوافق عصرنا ولا حالنا.

والمشروع في الخطبة أن تكون بما تقتضيه حاجة المخاطبين، وكذلك بما يناسب العصر وقضاياه حتى تتم الفائدة المنشودة منها، وهذا هو هدي النبي ﷺ في خُطَبه الذي هو خير الهدي، قال ابن القيم – رحمه الله–: "وكان يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصلحتهم" زاد المعاد، (١٨٩).

• (الالتزام دوماً بصيغ مُعيّنة إلّا ما ثبت بالسنة الصحيحة):

حتى لا يظن بأنها سنة، فمن هذه الصيّغ:

– الإكثار من قول: عباد الله، بمعنى: كأنه ليس في خطبة الجمعة إلّا أن يُنادى بذلك، بينما هناك نداءات أخرى مثل: أيها المسلمون، أيها المؤمنون، أيها الأخوة، أيها الفضلاء، ونحو ذلك.

– وأيضًا: الاستعاذة بالله من الشيطان لقراءة آية، أو آيات عند نهاية الخطبة الأولى في حين أنه لا يسُتعاذ بالله في إيراد غيرها من الآيات، علماً بأنه كما ذكر أهل العلم: لم يثبت عن النبي ﷺ أنه إذا استشهد بآية أو أكثر يستعيذ بالله من الشيطان، (والدليل على المثبت).

– أو قراءة حديث عند آخر الخطبة الأولى أو الثانية دائماً.

– وكقول: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم في ختام الخطبة الأولى.

– أو قول: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم... الخ، فاختتام الخطيب خطبته بالاستغفار في الخطبة الأولى أو الثانية: لم يرد دليل صحيح صريح على المواظبة على ذلك، وإنما استحب ذلك بعض أهل العلم، فإن فعل ذلك أحياناً فلا حرج، دون المواظبة عليه حتى لا يُعتقد سنيته.

– قول: هذا وصلوا رحمكم الله.. الخ في آخر الخطبة الثانية، أو جعل محل الصلاة على النبي ﷺ في هذا الموضع دائماً.

– وقول الخطيب في آخر الخطبة الثانية: ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، وسيأتي توضيح ذلك.

– وقوله في آخر الخطبة الثانية: فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم.

– أو: التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ونحو ذلك في آخر الخطبة الثانية، والمداومة على ذلك حتى صار عند الناس كالفرض ينكرون على تاركه.

– ومن ذلك: أيضاً المبالغة في الإسراع في الخطبة الثانية وخفض الصوت بها، وقد تقدّم في السنن في قسم أحكام الخطبة: أن من سنن الخطبة أن يترسّل فيها الخطيب ولا يعجل، وأن يرفع بها صوته قدر الإمكان، كما في الخطبة الأولى، وسبقت الأدلة في ذلك.

وبعض الخطباء يخالف هذا في الخطبة الثانية، فيسرع، ويخفض الصوت فيها، وقد ذكر بعض الفقهاء أن ذلك من البدع، فيحرم، قال النووي: "ويكره في الخطبة أمور ابتدعها الجهلة.. ومنها: مبالغتهم في الإسراع في الخطبة الثانية". (روضة الطالبين، ٣٣/٢).

وقال: ".. ومنها مبالغتهم في الإسراع في الخطبة الثانية، وخفض الصوت بها". (المجموع، ٥٢٩/٤).

وظاهر السياق أن المقصود بالكراهة كراهة التحريم، والدليل: ظاهر كلامهم الاستدلال بأن ذلك خلاف هدي النبي ﷺ الذي تقدّم بيانه في السنن في قسم: أحكام الخطبة، وحكم الخطبتين واحد.

وفي المقابل قال بعض الفقهاء: إنه يسن رفع الصوت بالخطبة الثانية أكثر من الأولى، وهذا أيضاً لا دليل عليه.

– وكذلك: ختم الخطبة الثانية بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [النحل: ٩٠]، وإن فعل ذلك بعض من ينتسب لأهل العلم والفضل.

– وأيضاً التزام صورة واحدة في الخطبة الثانية: حيث جرت عادة بعض الخطباء – وفقهم الله– التزامهم صورة واحدة في الخطبة الثانية، وذلك من وجهين: الوجه الأول: أنهم يجعلون الخطبة الثانية قصيرة جداً على شبه الديمومة، الوجه الثاني: أن الخطبة الثانية تكاد تكون منفصلة عن الأولى بحيث يغلب عليها وضع معيّن لا يتغير، وهذان الوجهان لا يعرف لهما أصل شرعي ولا أثر واضح عن السلف.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن ما سبق ونحوه – أي عند المداومة عليه في كل خطبة– مخالفة لهدي النبي ﷺ، بل ومنها قد يدخل ضمن البدع والمحدثات، ولكن إن قال الخطيب مثل ذلك في بعض الأحيان لا على أنه سنة يقوم بتطبيقها فلا بأس.

وظاهر كلامهم أنهم يستدلون على ذلك بأن المداومة على ذلك يُفهم منه أنه عمل مشروع بدليل، ولم يرد دليل على مشروعيته، والعبادات توقيفية، لا تشرع إلّا بدليل، وقد تقدّم حديث عائشة – رضي الله– عنها والذي يُعَد أصلاً في تحريم الابتداع، في قوله ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)، وفي رواية: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد).

وأيضاً: الإكثار من الأدعية المتكررة في آخر الخطبة التي تشعر بعض المستمعين بالضيق والملل، لأنهم سئموا من كثرة تكرار ذلك بأسلوب يغلب عليه السرد، وعدم التفاعل المطلوب في الدعاء.

علمًا كما ذكر أهل العلم أن من السنة: ترك السنة أحيانًا؛ لئلا يُعتقد بوجوبها من الخطيب أو من الناس، وهذه مسألة معروفة عند أهل العلم وهي: مراعاة أحوال الناس في مثل هذا، فإن السنة إذا ظن الناس أنها بالمواظبة عليها واجبة؛ فإنها تترك أحياناً لبيان عدم الوجوب،كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم – رحمهما الله– وغيرهم من أهل العلم، فقد قال شيخ الإسلام – رحمه الله– عن المواظبة على قراءة سورتي السجدة والإنسان فجر كل جمعة ما نصه: "ولا ينبغي المداومة على ذلك لئلّا يظن الجاهل أن ذلك واجب، بل يقرأ أحياناً غيرهما من القرآن". مجموع الفتاوى، (٢٤/ ٢٠٦)، وقال ابن القيم – رحمه الله– أيضاً: "ولهذا كره من كره من الأئمة المداومة على قراءة هذه السورتين في فجر الجمعة دفعاً لتوهم الجاهلين". زاد المعاد، (٣٧٥/١).

ويقاس على ذلك ما سبق ونحوه، حيث ذكر ابن عثيمين – رحمه الله– مثل قول الشيخين أيضاً، فقد قال ما نصه: " وكل شيء يوجب أن يفهم الناس منه خلاف حقيقة الواقع فإنه ينبغي تجَنبه". الشرح الممتع، (٥/ ٨٧).

فكيف بالتزام ما لم يُثبَت شرعًا، وهذا يدعو الخطيب للتفقّه جيداً، ويبتعد عن الجمود والتقليد على ما اعتاد عليه جملة من الخطباء حتى لا يقع في المخالفات أو الابتداع من حيث لا يشعر.

- **(الخطيب القديم والتهاون في الإعداد):**

الخطباء المعتادون للخطابة من سنوات، منهم من يتهاون في الإعداد الجيّد من أربع جهات:

الجهة الأولى: من ناحية اعتياده الارتجال بدون ورقة، فيغترّ بانقياد القول له في بعض الأحوال، وربما بعضهم من ينتقص من يهتم بالإعداد، ويظن أن ذلك يُخصّ المبتدئين.

والجهة الثانية: من ناحية تكراره لخُطَب قديمةً له، دون أن يُحسن مراجعتها وتعديلها، وإضافة ما استجد من الأمور المعاصرة.

والجهة الثالثة: لضعف وعيه بحال المجتمع، وما فيه من أحداث وتغيرات، وربط الإصلاح فيه بالمنهج الشرعي، مع افتقاده للشمولية والتوازن في إعداد مواضيع الخُطَب التي تهم المجتمع، كما سبق تأكيده في قسم: طرق إعداد الخطبة وغيره.

والجهة الأخيرة: لِقلّة ثقافته واطلاعه في إضافة خُطَب غير تلك التي استمر عليها كثيرًا.

- **(إطالة الخطبة):**

إطالةً طويلةً مملة، وهذا خلاف هدي النبي ﷺ وأصحابه – رضوان الله عليهم–، كما فيه سبب لإملال الناس وتضجّرهم، وربما تأخّرهم لسماع الخطبة لطولها، أو الإعراض عن خُطَب الخطيب الذي يطيل، للبحث عمّن لا يطيلها، كما أن الكلام إذا طال ضُيّع بعضه بعضاً لطول الخطبة وتشعبها، فيخرج الكثير من الخطبة وهو لا يفقه من الخطبة سوى التذمّر من الخطيب.

بالإضافة إلى أن البعض قد يكون مُبتلى بمرض فيشق عليه لطول الخطبة فيقع الخطيب في الإثم لإضراره بالحضور دون أن يشعر.

وقد كان النبي ﷺ يُقصر الخطبة، وكذلك فعل أصحابه – رضي الله عنهم–، ومن جاء بعدهم من سلف الأمة – رحمهم الله–، قال أبو وائل – رحمه الله–: خطبنا عمّار – رضي الله عنه– فأوجز وأبلغ، فلما نزل قلنا: يا أبا اليقظان لقد أبلغت وأوجزت، فلو كنت تنفّست؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنَّ طولَ صلاةِ الرجلِ، وقِصَرَ خُطبتِه، مَئِنَّةٌ من فِقْهِه، فأطيلوا الصلاةَ، واقْصُرُوا الخُطبةَ وإنَّ منَ البَيانِ سِحرًا) رواه مسلم (٨٦٩)، قوله:(مئنة): أي: علامة، (من فقهه): أي: ممّا يُعرف به فقه الرجل، لأن الفقيه هو المُطّلع على حقائق المعاني، وجوامع الألفاظ، فيتمكّن من التعبير بالعبارة الجزلة المفيدة المختصرة.

والمراد من طول الصلاة: أن يطمئن في أداء أركانها، ويقرأ فيها ما كان يصلّي به النبي ﷺ يوم الجمعة بسورتي: الأعلى والغاشية، أو الجمعة والمنافقين، (إن لم يكن خارج المسجد جمع من المصلّين؛ فُيستحسن عندها مراعاةً لهم من الجو المتغيّر حرارةً أو برودةً أن يقتصر على قصار السور).

وقصر الخطبة فيه ثلاث فوائد نفيسة:

الأولى: اتّباع السُنّة.

الثانية: سهولة تحضير الخطبة بالتركيز على أهم ما ينبغي ذكره، ولا يعني التساهل في الإعداد، وإنما ترك الحشو والكلام المتكلّف.

الثالثة: التخفيف على المستمعين، فيكاد يتفق الناس جميعهم على الارتياح للذي يقصُر خُطبته، والنفرة ممّن يطيلها.

والوقت المناسب للخطيب وللمستمعين هو غالباً: ما بين عشر دقائق إلى أقل من ربع ساعة تقريباً كأقصى حدّ، وهذا التقريب يؤخذ من طول صلاة الجمعة حينما يطمئن الإمام في أركانها، ويقرأ فيها بالسور التي ثبتت سنيتها، فغالباً يكون مدتها إلى ربع ساعة.

فينبغي بهذا التقدير أن تكون الخطبة أقصر منها اتباعاً لقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: (إنَّ طولَ صلاةِ الرجلِ، وقِصَرَ خُطبتِه، مَئِنَّةٌ من فِقْهِه، فأطيلوا الصلاةَ، واقْصُرُوا الخُطبةَ وإنَّ منَ البَيانِ سِحرًا).

وقد سبق في قسم: طرق إعداد الخطبة: الأمور المعينة على قصر الخطبة تحت: الجزء الثالث، فليرجع إليها لأهميتها.

٠(اعتماد التسجيع في الخطبة وكونه هو همّ الخطيب):

ذكر ذلك الشيخ محمد ابن إبراهيم مفتي الديار السعودية (فتاوى ابن إبراهيم٣/٢٠)، والشقيري (السنن والمبتدعات ٩١) – رحمهما الله–، وغيرهم، وذلك لما فيه من التكلّف، وقد نُهينا عن التكلّف كما قال سبحانه: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) [ص٨٦]، وينبني على ذلك ضعف توضيح الموعظة والإرشاد وقلة انتفاع الناس بذلك، لأنه لا يخلو السجع من تكلّف ألفاظ تُحجب ذهن السامعين عن كمال فهم المعاني، وإنما يُستساغ السجع الذي يأتي عفوًا بلا تكلّف، وميزته بأنه قليل جداً وعارض، مما يفهمه السامع بدون معاناة، وهو أليق بهذه الميزة بأنه من أوصاف البلاغة.

فالسجع ليس مكروهاً على إطلاقه، بل المكروه منه ما يقع من التكلّف في معرض مدافعة الحق، وأما ما يقع عفواً بلا تكلّف في الأمور المباحة فجائز، وعلى ذلك يحمل ما ورد عنه ﷺ في معرض حديثه الكريم، وقد ذكر ذلك النووي، (شرح مسلم، ١٩٤/٦)، وابن حجر، (فتح الباري، ٣٨٠/١١)، والصنعاني، (سبل السلام، ٤٥٧/٣)، والشوكاني، (نيل الأوطار، ٧٦/٧)، وغيرهم.

٠(تخصيص الخطيب نفسه بالدعاء):

ذكر الشيخ بكر أبو زيد – رحمه الله– أنه من محدثات الخطب (تصحيح الدعاء ٤٥٦).

وكما أن فعل ذلك لم يرد عنه ﷺ في خُطَبه ولا خلفائه الراشدين – رضي الله عنهم–؛ فكذلك فيه الاستئثار بالدعاء لنفسه في موطن ينبغي أن يعم فيه الدعاء للحاضرين بل وجميع المسلمين، بالإضافة إلى أنه يُنبئ عن عجب وغرور بالنفس –عياذاً بالله–.

- **(التوسّع في جمع النصوص):**

من الخطباء من يحاول حشد وجمع أكبر عدد من النصوص، ومقام الخطبة لا يحتمل ذلك، إذ الخطبة ليست كدرس أو تأليف كتاب يتوسّع صاحبه في جمع النصوص، فينبغي على الخطيب أن يفهم وضع الخطبة وهدفها وحال المخاطبين، فيكون حصيفاً، فيعلم ما يقتضيه مقام الخطبة من النصوص فيُذكره، وما لا يقتضيه المقام فيتركه، ويبدأ بذكر النص العام ثم الخاص، ويأخذ بالأهم ثم المهم، ويجعل الأفكار والنصوص متناسقة مع بعض.

- **(التفصيل في تخريج الأحاديث بما لا يناسب العامة):**

من الخطباء من يُفصّل في ذكِر رواة الأحاديث، ومن خرّج الأحاديث ومن صحّحها، ويكمن خطؤه ذلك في أن الخطيب يتحدّث مع عامة الناس، وإن كان لا يخلو من بينهم طلبة علم إلّا أن غالب حضور الجمعة من عامة الناس الذين لا يعرفون حديث النبي ﷺ من كلام غيره، فضلًا عن أن يعرفوا من روى الحديث ومن خرّجه، ومن صحّحه.

فيُستحسن فقط ذكر الحديث ومن خرّجه باختصار.

- **(التأثر العميق بالشائعات):**

يسارع بعض الخطباء لنقل فتاوى ومعلومات علمية بمجرد أنه سمعها من نقله لهم، إمّا شفويًا، أو عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، دون أن يتثبّت في ذلك جيداً عن طريق مصادرها الرسمية، وأيضاً قد ينقل فتوى شاذة، أو مرجوحة، أو مخالفة للإجماع، أو معلومة غريبة، فيقع في نشر ضلال، أو بدعة ويبوء بإثمها وإثم من سمعها، والواجب عليه في هذه الحال إذا قرأ، أو سمع بفتوى غريبة – وإن سمعها من مصادرها الرسمية– ألّا يبادر بنشرها حتى يتثبّت جيداً بالرجوع لأهل العلم الثقات، أو من مصادرهم الموثوقة، إن لم يكن له دراية ببحث المسألة، أو المعلومة علمياً.

كما يدخل في ذلك تناقل معلومات طبية، أو اقتصادية، أو تقنية، أو نحو ذلك، دون التثبّت والرجوع لمواقع المختصين في ذلك، والله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء ٣٦].

• (غلَبة النظرة السوداوية، والتيئيس):

وذلك بالإكثار من الأحداث، أو المواقف، أو المآسي، والمصائب، والسلبيات، أو القصص المحزنة والبائسة، لأن ذلك له آثاره غير المرضية، مما يدعو المستمعين إلى اليأس والإحباط من واقع المجتمع، وقد كان البعض يحضر لبعض الخطباء المؤثرين، لكن غلَبة طابع المواقف والقصص والأحداث المأسوية عليهم جعلت الحاضرين ينظرون إلى المجتمع كاملًا بأنه ليس فيهم خير.

فعلى الخطيب ألّا تؤثّر فيه الأحداث مهما ساءت، وأن يحولها إلى إشراقة من الفأل الحسن الذي يدفع الناس للعمل والإصلاح، كما كان ذلك هدي المصطفى ﷺ.

وعلى الخطيب أن يُذكّر المستمعين بأن النصر للإسلام قادم، وأن الظلم مهما طال فعاقبته إلى زوال، وأن الظالمين سيحيق بهم ظلمهم، بل لا بد أن يكون في الخُطَب ما يُبشّر ويُبثّ في الناس روح الفأل والأمل الذي يزيل غبار القنوط والكسل، ويحثُّ على الاجتهاد والعمل، وذِكر النماذج المشرقة الإيمانية لتتخذ قدوة.

وهذا لا يعني عدم ذكر الأخطاء والسلبيات والمآسي، ولكن ليس بمقصدها، ولا تكن هي الطاغية على الخُطَب، وإنما إردافها بما يُصحّحها ويعالجها، ويقوّمها.

• (ليس كل ما يُعلم يُقال):

قد يخوض بعض الخطباء فيما فيه إثارة عاطفية، أو قصة واقعية، أو أخبار سياسية، أو نحو ذلك؛ فيقع في تحديث الناس بما لا يعرفون، وقد قال الخليفة الراشد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه–: "حَدِّثوا النّاسَ بما يعرِفونَ أَتُريدونَ أَن يُكذَّبَ اللَّهُ ورَسولُهُ" أخرجه البخاري (١٢٧) موقوفاً.

أي: إذا سمعوا ما لم تُحط به عقولهم، فإن ذلك يشوّش عليهم، أو يبادر منهم إلى تكذيبه، أو يحمّسهم إلى شيء مآله إلى فتنة بعضهم، ورُبّ جهل بشيء خير من العلم به، يقول ابن حجر – رحمه الله – في فتح البارئ، (٢/٢٠٤–٢٠٥) في معنى ما يجتنب ذكره أمام عامة الناس:

"وممن كره التحديث ببعضٍ دون بعض: الإمام أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على الأمير، والإمام مالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب؛ ومن قبلهم أبو هريرة – رضي الله عنه–كما روى عنه في الجرابين – أي

ترك ذكر بعض الأحاديث في المراد ما يقع من الفتن-، ونحوه عن حذيفة - رضي الله عنه-، وعن الحسن: أنه أنكر تحديث أنس - رضي الله عنه- للحُجَّاج بقصة العُرَنِيّين، - والتي فيها: أنه قَدِمَ على النبيّ ﷺ نَفَرٌ مِن عُكْلٍ، فأسْلَمُوا، فاجْتَوَوْا المَدِينَةَ فأمَرَهُمْ أنْ يَأْتُوا إبِلَ الصَّدَقَةِ، فَيَشْرَبُوا مِن أبْوالِها وأَلْبانِها فَفَعَلُوا فَصَحُّوا فارْتَدُّوا وقَتَلُوا رُعاتَها، واسْتاقُوا الإبِلَ، فَبَعَثَ في آثارِهِمْ، فَأُتِيَ بهِمْ فَقَطَعَ أيْدِيَهُمْ وأَرْجُلَهُمْ وسَمَلَ أعْيُنَهُمْ، ثُمَّ لَمْ يَحْسِمْهُمْ حتّى ماتُوا.

والحديث في الصحيحين أخرجه البخاري (٦٨٠٢)، ومسلم (١٦٧١)، لأن الحجّاج قد يتخذها وسيلةً إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي.

وضابط ذلك: أن يكون ظاهر الحديث يقوّي البدعة، مع أنه في الأصل غير مُراد لذلك؛ فالإمساك عنه عند مَنْ يُخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوبٌ - أي مطلوب تجنب ذكره-". انتهى - بتصرف للتوضيح-.

• (ذكر الخلاف في المسائل، أو التفصيل فيها):

وهذا ليس من المناسب ذكره في خطبة الجمعة التي أكثر من يحضرها عامة الناس، وإنما ذكر القول الراجح، والاكتفاء بأصح الأدلة له باختصار، بل دون ذكر أن هذه المسألة، أو الموضوع المطروح فيه خلاف، فليس من الحكمة ذلك، إذ ليس فيه فائدة مرجوّة لعامة الناس، بل ذكر الخلاف يجعل الكثير يتساهل ويتهاون في القول الراجح البيّن رجحانه مستندين بأن المسألة فيها خلاف، كما هو الواقع الحالي عند جمع من العامة الذي جعل الخلاف شمّاعة لاقتحام المرجوح المحظور.

• (تأخير اختيار موضوع الخطبة):

بل من الخطباء من يؤخّره إلى ليلة الجمعة أو يومها دون عذر قاهر، ممّا يؤدي بالخطيب أن يُقرّر أي موضوع يخطر في باله، وربما لا يكون مقتنعاً به القناعة التامة، ومن الحاضرين من يلاحظ بأن الخطيب الذي هذا حاله يُلقي كلاماً لم يراجعه جيداً، ولم يتفاعل معه.

فعلى الخطيب المتهاون أن يعلم أن من بين المستمعين لخُطَبة جملة من المثقفين والمتعلمين الذين يدركون ركاكة ما يُقدّم، وضعف ما يُلقي، فلا يستخف بعقول الناس، وقبل ذلك عليه أن يراجع نيته، ويعلم أنه مسؤول أمام رب العالمين عن أمانة هذا المنبر الذي تولّاه.

• (الحديث بما لا يناسب المقام أو الزمن):

فمثلًا: خطيب خطَب عن ليلة القدر يوم الثلاثين من رمضان، وليس هناك أمل بإدراك هذه الليلة في رمضان ذلك، أو يتحدّث عن الحج وفضائله بعد ما رجعوا الحجّاج من حجّهم، أو نحو ذلك.

ومما لا يناسب المقام أيضاً أن يكون فيه حدَث هام منتشر في كثير من الدول، ولا يلتفت له الخطيب أدنى التفاتة مثل: بدعة المولد النبوي، أو الاحتفال والتهنئة برأس السنة الميلادية، فيخطب في غير ذلك.

ويُقاس على ما سبق طرح موضوع بما لا يناسب من جهة الزمن أو المقام، وهذا من الحكمة التي لا ينبغي أن تغيب عن الخطيب الحصيف.

• (المبالغة في وصف السلبيات، وضعف إصلاح ذلك):

تركيز الخطيب على سلبيات الحاضرين، والحديث عن أخطائهم، أو استعمال ضمير المخاطب كثيرًا، وهذا مثل الطبيب الذي يُحدّث المريض عن مرضه، ويبالغ في وصفه وخطورته، ويضعف في وصف العلاج وطرق الوقاية.

فالتركيز على مثل هذا الأسلوب من شأنه أن يُحطّم كل جوانب الأمل لدى الحاضرين، مما يجعل المستمع يشعر أنه لا يمثّل إلّا مجموعة من الأخطاء والعيوب، ومع كثرة النقد وبيان الأخطاء يتبلّد الإحساس، فيشعر أن الخطأ أمر طبيعي لا يمكن أن يفارقه، أو أن يشعر أن هذا الخطيب لا ينظر إلّا بعين واحدة، فينصرف عن سماع ما يقول، وقد قال ﷺ: (إنَّما بعثتُم ميسِّرينَ، ولم تُبعثوا معسِّرينَ) أخرجه البخاري، (٢٢٠).

بينما الخطيب الناجح يستطيع أن يحقق المقصود، ويعالج الخطأ دون حاجة للانتقاد المباشر للناس، فحين يتحدّث عن إهمال الناس لصلاة الجماعة مثلًا؛ بإمكانه بدلًا من النقد اللاذع أن يتحدّث عن أهميتها، وفضلها، ويسوق الأدلة الشرعية على ذلك؛ وذكر النصوص في ذم من يتخلّف عنها، مع إيراد الأمور التي تعين على المحافظة عليها.

وبمثل ذلك غيرها من المواضيع التي تحتاج طبيعتها لذلك.

• (تأثّر الخطيب بعمله):

فمثلًا: حين يكون مدرساً: يكون جملة من الخطباء المعلمين حديثهم عن المعلمين والطلاب والمدرسة وما يتعلّق بذلك، أو حين يكون جملة من الخطباء يعمل في ميدان الاحتساب: ترى معظم خطبهم تدور حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن المنكرات المتفشية في المجتمعات.

ونحو ذلك من تأثّر من الخطباء بأعمالهم الوظيفية التي تنعكس كثيرًا على خطبهم، علماً بأن الحديث عمّا سبق ونحوه مطلوب، لكن المقصود لا يكون سمة غالبة على الخطيب ممّا يكون له أثر سلبي في البُعَد عن الحديث عن مواضيع هامة تهم عامة الناس، وكذلك ضعف التوازن بين عناوين الخُطَب.

- **(أسلوب الأمر المباشر):**

الوقوع في الألفاظ التي فيها أوامر صريحة للسامعين مثل: افعلوا، أو لا تفعلوا، وليستعمل بدلها: لنفعل، ولنترك، ونحو ذلك، فهذه الصيغة تُشعر السامعين بتواضعك، وبحبك الخير لهم كما تحبه لنفسك، وأنت لست فوقهم لا دينًا ولا خُلقاً.

والخطيب الموفّق: يوجّه كلامه لنفسه قبل أن يوجّهه لغيره، ويَعظ نفسه قبل أن يعَظ غيره، فيكون كلامه في خُطَبه موجّهاً إليه هو أولًا قبل أن يوجّهه للناس وإذا فعل ذلك بنية صادقة رفعه الله – بحول الله– ونفعه بما يقول، وزاده هدى وقبولًا وصدقًا، نسأل الله لنا ذلك جميعاً من فضله.

- **(الرثاء على المنابر):**

من أفضل ما وقفت على ذلك: فتوى صوتية للعلامة ابن عثيمين – رحمه الله–، ذكر في مجمل فتواه: أن الرثاء بالثناء على أحدٍ من الصالحين على المنبر فيه ثلاثة محاذير:

أولها: أن ذلك ليس من عمل السلف الصالح، فلم يكن خطباؤهم إذا مات أحدٌ من الصالحين قام في خطبة يثني عليه.

ثانياً: أن ذلك يفتح باب شر، وذلك أن كل خطيب يحب شخصاً أثنى عليه في الخطبة.

ثالثاً: أن من مات وهو أهل للثناء، ولم يثنِ عليه الخطيب أنكر عليه البعض بتركه للثناء عليه وقد أثنى في خطبة على غيره. (المرجع: قناة الفرقان الصوتية: درر من فتاوى الشيخ ابن عثيمين).

بل والمحذور الأكبر: رثاء أحد الظالمين أو الطغاة المُفسدين.

- **(إهمال ذكر بعض الخطايا أو السلبيات بسبب عدم وقوعها):**

فعلى الخطيب حينما يشعر أن هناك أموراً يخشى من وقوعها في المجتمع، أو من زيادة خطرها بعد الوقوع؛ عليه أن يطرحها في خطبة قبل تفاقمها، وأن يحذّر من مغبة الوقوع فيها، وهذه المبادرة تعد أمراً مهماً مبنياً على قاعدة

فقهية مشهورة وهي: "أن الدفع أولى من الرفع"، لأن مدافعة الشيء قبل وقوعه أبلغ في البعد عن الوقوع في مفسدة ذلك.

ويدل على ذلك ما رواه ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: لَمّا أنزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال: أتى النَّبيُّ ﷺ الصَّفا، فصَعِدَ عليه، ثم نادى: (يا صَباحاه). فاجتمَعَ النّاسُ إليه، بيْنَ رَجُلٍ يَجيءُ إليه، وبَينَ رَجُلٍ يَبعَثُ رَسولَه، فقال رَسولُ اللهِ ﷺ: (يا بَني عَبدِ المُطَّلبِ، يا بَني فِهرٍ، يا بَني لُؤَيٍّ، يا بَني... أرأَيتُم لو أخبَرتُكم أنَّ خَيلًا بِسَفحِ هذا الجَبَلِ، تُريدُ أنْ تُغيرَ عليكم، صدَّقتُموني؟ قالوا: نَعَمْ. قال: فإنِّي نَذيرٌ لكم بيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَديدٍ.. الحديث) أخرجه البخاري (٤٩٧١)، ومسلم (٢٠٨).

ويدخل في التحذير من ذلك مع المخالفات والمنكرات: البدع والتيارات المنحرفة ونحو ذلك مما يتوقع استفحاله.

• (افتتاح خُطَب العيدين بالتكبير والاستسقاء بالاستغفار):

قال ابن القيم – رحمه الله–: "وقد اختلف الناس في افتتاح خطبة العيدين والاستسقاء، فقيل: يفتتحان بالتكبير، وقيل: تفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار، وقيل: يفتتحان بالحمد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله–: وهو الصواب؛ لأن النبي ﷺ كان يفتتح خُطَبه كلها بالحمد لله". (زاد المعاد، ١/٤٤٨)، (الاختيارات، ٨٢).

وقد ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– على من فعل مثل هذا — أي من افتتح بغير الحمد–، حيث قال: "لم ينقل أحد عن النبي ﷺ أنه افتتح خطبة بغير الحمد، لا خطبة عيد، ولا خطبة استسقاء، ولا غير ذلك" (مجموع الفتاوى، ٢٢/٣٩٣).

كما ردّ ابن القيم أيضاً على من فعل مثل ذلك بقوله: "وكان لا يخطب خطبة إلّا افتتحها بحمد الله، وأما قول كثير من الفقهاء: إنه يفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار، وخطبة العيدين بالتكبير، فليس معهم فيه سنة عن النبي ﷺ ألبتّه، وسنته تقتضي خلافه، وهو افتتاح جميع الخطب بـ: (الحمد لله) وهو أحد الوجوه الثلاثة لأصحاب أحمد، وهو اختيار شيخنا" – يعني ابن تيمية رحمه الله– (زاد المعاد، ١/١٨٦).

• (الجمود على مواضيع معينة من فن واحد):

كمثل: من يعتني من الخطباء بالسيرة النبوية، فيجعل خُطَبه تدور حول ذلك، ومنهم من حصر خُطَبه على التفسير أو عن العقيدة أو أشراط الساعة، أو غير ذلك فيُفصّل تفصيلاً طويلاً.

فتمتد هذه العناوين وأمثالها مع بعض الخطباء لسنوات، وهذه الطريقة فيها جملة من الأخطاء، منها:

- أن ذلك غير مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم، بأن يذكر موضوعات خُطَب متوالية في فن واحد، بل المحفوظ من هديه صلى الله عليه وسلم أنه يذكر ما يحتاج الناس إليه، وما يصلح شؤونهم، ولهذا كانت خُطَبه متنوعة المواضيع، لأن حاجات الناس مختلفة باختلاف افهامهم واهتماتهم وأعمالهم، (وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم).
- كما أن هذه الطريقة فيها إملال للمستمعين الذين يرغبون في التنويع لمواضيع مختلفة.
- وأيضاً هذه الطريقة تُقيّد الخطيب وتجعله محصوراً في فن واحد على حساب مواضيع أخرى يحتاج الناس إليها.
- وكذلك أن ما يُستجد من أحداث أو مناسبات أو مواسم مهمة يقطع السلسلة المتصلة في موضوع واحد.
- ومن الملاحظات المهمة على هذه الطريقة: عدم تفريق الخطيب بين الدرس الخاص لطلبة علم وبين خطبة يحضرها عامة الناس، فطريقة الحديث بتسلسل عن فن واحد في الخطبة في السيرة أو التفسير أو غيرها تناسب الدروس الخاصة وليست للخُطَب العامة التي يحتاج فيها عامة الناس لمواضيع تناسب ما يحتاجونه في معاشهم ومعادهم.

- **(المبالغة في جانب الترهيب):**

وذلك في مشهد للخطيب الذي لا يحُسن سوى التقريع والتخويف والتشديد على الناس دون جهد في ترغيبهم والتلطّف بهم من خلال الاسلوب الخطابي، ولا ننفي أهمية الوعيد والتخويف ولكن ضمن الموضوع المُراد بغير مبالغة، كما لا يُترك جانب الترغيب والوعد والتشويق للأجور والجنات، ولكن أيضاً في سياق موضوعه دون إيغال في ذلك.

الأمر الثالث: تقويم أخطاء الخطيب فيما يتعلّق بوسائل الإلقاء:

- **(التغنيّ بالآيات القرآنية):**

ما يفعله بعض الخطباء حين استشهادهم في خطبهم ببعض الآيات حيث يقومون بالتغنيّ بها ولو كانت آيتين فأقل.

والراجح – كما ذكر ذلك أهل العلم–: إن هذا الفعل ليس له أصل من سنة النبي ﷺ، ولا فعل الصحابة – رضوان الله عليهم–، حيث قد وُجد أحاديث كثيرة يستشهد فيها النبي ﷺ بآية من القرآن ولم يأتِ فيها ما يدل على أنه كان يتغنى بها.

تنبـــيـه:

قد يقول قائل: إن الله أمر نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل٤]، ولم يقيّد ذلك بأكثر من آيتين أو نحوهما؟

فالجواب أن يقال: هناك فرق بين الترتيل والتغنّي، فلا بأس للخطيب إذا استشهد بآية أو آيتين أن يرتل، لكنه لا يتغنّى؛ لأن هناك فرقاً بينهما، وهو أن الترتيل كما قال ابن الأثير – رحمه الله–: "ترتيل القراءة: التأنّي فيها والتمهّل وتبيين الحروف والحركات". (النهاية ١٧٨/٢)، وقال ابن كثير عن قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ أي: "اقرأه على تمهّل". (تفسير ابن كثير ٢٥٠/٨).

وأما التغنّي فقد جاء ما يدل عليه في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: (ما أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ كأَذَنِهِ لنبيٍّ يتغنّى بالقرآنِ) أخرجه البخاري (٥٠٢٣)، ومسلم (٧٩٢). قال الشافعي رحمه الله: "معناه تحسين القراءة وترقيقها". (النهاية ٣٥١/٣).

وبهذا يتضح الفرق بين التغنّي والترتيل، وأن التأنّي لا بأس به في الخطب بخلاف التغنّي، فلم يدل عليه من فعله ﷺ، والله أعلم.

فائدة:

قال الشيخ بكر أبو زيد – رحمه الله–: "ممّا أحدثه الوعاظ، وبعض الخطباء في عصرنا، مغايرة الصوت عند تلاوة الآيات من القرآن لنسق صوته في وعظه أو الخطابة، وهذا لم يعرف عن السالفين، ولا الأئمة المتبوعين، ولا تجده لدى أجلّاء العلماء في عصرنا، بل يتنكّبونه، وكثير من السامعين لا يرتضونه، والأمزجة مختلفة، ولا عبرة بالفاسد منها، كما أنه لا عبرة بالمخالف لطريقة صدر هذه الأمة وسلفها، والله أعلم". (تصحيح الدعاء ٣٢٠).

وللتفصيل: يرجع لقسم أهم أحكام الخطبة والخطيب في: مسائل لا تشرع للخطيب.

• (التشدّق والتفاخر بالفصاحة):

تقول أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها–: (إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ لم يَكُنْ يَسرُدُ الحَديثَ كَسَرْدِكم) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم (٣٥٦٨)، وأخرجه موصولاً مسلم (٢٤٩٣) وغيره، وورد رواية: عن عائشة – رضي الله عنها– قالت: (كان كلامُ رسول اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّم كلامًا فَصلًا يفهَمُه كُلُّ من سَمِعَه) رواه أبو داود (٤٨٣٩)

وسكت عنه، وقد في رسالته لأهل مكة: كل ما سكت عنه فهو صالح، ورواه غيره، وحسّنه ابن القطّان في الوهم والإيهام، (٨٣/٤)، والعراقي في تخريج الإحياء، (٤٥١/٢)، وصحّحه ابن دقيق العيد في الاقتراح، (١١٧)، وغيرهم.

غير أن بعض الخطباء -هداهم الله- يحبون التشدّق، وإظهار فصاحتهم وبلاغتهم أمام المصلين، وينسون الغرض الذي من أجله شُرعت خطبة الجمعة.

يقول أحد طلبة العلم: حضرت خطيباً في مسجد جامع كبير جداً، فكنت بحاجة لأن يكون معي قاموس لأفهم عنه، فعلى الخطيب أن يبسّط الخطبة ما أمكن، لأن أكثر الناس اليوم عوام، وكثير منهم لا يتحدث العربية فليحرص الخطيب على إفهامهم بالبعد عن غرائب الألفاظ، والوحشي والمستغرب من الكلام.

كما أن ذلك يدخل في التكلّف المذموم المنهي عنه، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦]، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن التفاصح خصلة مذمومة يبغضها الله - عز وجل- فقال: (إنَّ اللهَ يُبغِضُ البليغَ من الرجالِ الذي يتخلَّلُ بلسانِه كما تتخلَّلُ البقرةُ) أخرجه أبو داود، وغيره، وسبق ذكر من صححه، وقال عليه الصلاة والسلام: (هلَكَ المُتنطِّعون، هلَكَ المُتنطِّعون، هلَكَ المُتنطِّعون) أخرجه مسلم (٢٦٧٠)، قال ابن الأثير: المتنطّع في الكلام: التعمّق فيه والتفاصح.

ولا يعني ذلك: انتقاء الألفاظ البليغة المؤثرة التي يفهمها عامة الناس، فهذا أمر محمود مطلوب، وهو مسلك شرعي، وهدي نبوي، كما قال تعالى: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء ٦٣]، ومما يدل أنه هدي نبوي ما ثبت في حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه- قال: (وعظَنا رسولُ اللهِ ﷺ يومًا بعد صلاةِ الغداةِ موعظةً بليغةً ذرفَتْ منها العيونُ ووجِلتْ منها القلوبُ..) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وسكت عنه، وقد قال في رسالته لأهل مكة: كل ما سكت عنه فهو صالح، ورواه غيره، والترمذي في سننه، وقال: حسن صحيح، (٢٦٧٦)، وحسّنه البغوي في شرح السنة (١/ ١٨١)، وصححه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، (١١٦٤/٢)، وغيرهم.

فقد دلّت هذه النصوص أن البلاغة مقصد نبيل، ليست لذاتها، وإنما للتأثير في قلوب السامعين، قال ابن رجب - رحمه الله- في جامع العلوم والحكم، (٢٩١): "والبلاغة هي: التوصّل إلى إفهام المعاني المقصودة، وإيصالها إلى قلوب السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها، وأفصحها وأحلاها لدى الأسماع وأوقعها في القلوب".

وينبغي على الخطيب ترك الكلام الساقط المرذول، والعامي المبذول، ويلقي بالفصيح المنقول الذي يحبّذه أصحاب العقول ويفهمه عامة الناس، وإياه والتقعّر والغرابة، وتجنّب الغريب من الكلام والذي لا يفهمه إلّا المتخصص بعمق في اللغة العربية، فهذا ليس من البلاغة، بل من التنطّع، وتنفير العامة من الفائدة، حيث إن ذلك من عيوب الخطابة، فالخطيب الناصح ليس صاحب إملال، ولا إخلال، ولا إقلال.

• **(النطق بالألفاظ على عَجَل):**

بحيث قد يتصل الحرف أو اللفظ بما بعده قبل أن يستقرّ الحرف أو اللفظ الأول في موضعه، فينبغي العناية بمخارج الحروف، وعدم تداخلها، فذلك الواجب ليمكّن الحروف تمكينًا، ويفصّل الكلمات تفصيلًا، وكذلك كان كلام أفصح الخليقة صلوات الله وسلامه عليه كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ لم يَكُنْ يَسرُدُ الحَديثَ كَسَرْدِكم) رواه البخاري (٣٥٦٨)، ومسلم (٢٤٩٣).

والذي يعتاد على قراءة القرآن الكريم مجوّداً، بحيث يعطي الحروف حقوقها وصفاتها، يؤثّر ذلك في صحّة نطقه ولفظه في خُطَبه، فيكون كلامه أعظم وقعاً في النفوس، وأوضح للسامعين.

مع مراعاة عدم المبالغة، والتكلّف حتى لا يُستساغ حديثه، ويقع في النهي القرآني الذي أوصى به رب العالمين لنبيه ﷺ في قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص ٨٦].

• **(تكلّف اصطناع المشاعر أو كتمانها):**

وقوع الخطيب في ذلك عند الأحداث، أو القصص، أو المواقف، أو العِبر؛ يجعل المستمعين في وادٍ آخر عن خطبته، أو لا يحسنون التفاعل معها، أو ضعف الإنصات الجيّد له.

والصواب: إظهار المشاعر حسب السياق دون مبالغة، ولا جمود عبر قسمات الوجه، واختلاف نبرات الصوت – كما سبق التفصيل في ذلك في قسم: وسائل الإلقاء عن ضوابط صوت الخطيب–.

وقد كان رسول الله ﷺ: (إذا خطبَ احمرّتْ عيناهُ، وعلا صوتُهُ، واشتدَّ غضبُهُ، كأنَّهُ منذرُ جيشٍ، يقولُ صبَّحَكمْ ومسّاكمْ) رواه مسلم (٨٦٧).

فينبغي للخطيب أن يروّض نفسه على تصوير المعاني، وأن يجعل من نغمات صوته، وارتفاعه وانخفاضه دلالات أخرى فوق دلالات الألفاظ، وليعمل على أن يكون صوته ناقلًا صادق النقل لمشاعر نفسه، وليمرّنه التمرين الكافي على أن يكون حاكياً صادق الحكاية لمعاني الوجدان، وخواطر الجنان – دون تكلّف أو مبالغة–.

وليُعَلم أن لا شيء مع الإعداد الجيّد كالصوت للخطيب حيث يعطي الألفاظ قوّة وحياة، وأنه إذا أحسن استخدامه فعّل به – بحول الله– جوًا عاطفياً يستولي به أسماع وقلوب المستمعين.

• **(اعتياد أسلوب في الإلقاء متُعارف فيه عند جملة من الخطباء):**

وكأن منهم من يرى أن للخطابة أسلوبًا رتيباً، ونمطاً فريداً خاصاً به، وهذا يفقد التأثير على المستمعين، والوصول إلى قلوبهم، وليعَلم الخطيب أنه كلما كان إلقاؤه على طبيعته، ولم يتكلّف فيه؛ كان أشد تأثيرًا، فكُن على سجيتك التي نشأت عليها، وأسلوبك الذي تمارسه أثناء الحديث، والكلام في غير الخطبة، مع العناية بنبرات الصوت وتحسين الأداء.

- **(سرد الخطبة سرداً دون تمهّل):**

وهذا لا يليق بالخطابة التي توجّه الناس إلى الخيرات، وترهبهم من السيئات، إذ إن الخطيب ليس كالمذيع الذي يسرد الأخبار سرداً، وإنما عليه أن يخطب بتمهّل، ويقف وقفات يسيرة عند الحاجة إليها، مع الاهتمام بمستوى الصوت حسب الموضع اللائق به، ورفعه، والإسراع في الحديث باعتدال إذا كان مقطع من الخطبة يقتضي ذلك – كما سبق توضيحه في قسم: وسائل الإلقاء–.

- **(تلحين الخطبة والترنّم فيها):**

وهذا كان يقع فيه غالباً جمع من الخطباء في زمن ليس ببعيد حيث كانوا يترنّمون في الخُطَب ويلحنونها ويقرؤونها كما يقرأون القرآن أو نحواً من ذلك، بحيث يكون معها مدّ وتمطيطٌ وتغنٍ، وقد يقع من البعض ذلك في الحاضر، وهذا ليس من السنة، بل عدّ صاحب كتاب الإبداع في مضار الابتداع، (٤٥) وهو الشيخ علي محفوظ – رحمه الله– الترنّم في الخُطَب من البدع المحدثة، ومثله الشيخ بكر أبو زيد – رحمه الله– في: تصحيح الدعاء، (٤٥٥).

وقال الشافعي – رحمه الله–: "وأحب أن يكون كلامه مترسلاً، مُبيّناً، معرباً، بغير الإعراب الذي يشبه العي، وغير التمطيط وتقطيع الكلام ومدّه، وما يستنكر منه.. الخ" (المهذّب، للشيرازي، ٣٧٠/١)، وقال البغوي – رحمه الله– في (التهذيب، ٣٤٢/٢): "ولا يمدّ الكلمات مدّاً يجاوز الحد، ويحترز عن التغنّي وتقطيع الكلام"، وقال ابن قدامة – رحمه الله–: "ويستحب أن يكون في خطبته مترسّلاً، مُبيّناً، معرباً، لا يعجل فيها ولا يمطّطها ... الخ" (المغني، ١٨٠/٣).

- **(الجهورية الزائدة في الصوت):**

من الخطباء من يكون جهوري الصوت طوال الخطبة ممّا يكون أقرب إلى الازعاج والعنَت على المستمعين، وخصوصاً مع مكبرات الصوت، فعلى من هذا حاله أن يحاول أن يُخفّض مستوى المكبّرات، ويدرّب نفسه على الخفض والرفع فيما يناسب مواضعهما، ويراجع ما سبق ذكره بخصوص ذلك في قسم: وسائل الإلقاء.

• **(كثرة اللحن):**

من يلحن كثيراً في لغته في الخطابة، بل وقد يتجاوز ذلك إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فمن كان كذلك فعليه مع حسن تعلّم اللغة العربية؛ أن يعرض خطبته على مختص في اللغة كي يُشكّل له الكلمات، مع نسخ الآيات من خاصية تطبيق المصحف الشريف العثماني، وأيضاً الأحاديث ينسخها من مصادرها التي تعتني بتشكيلها، مع قراءة الخطبة كاملة على المختص أكثر من مرة.

• **(أكثر آفات الارتجال –أي الإلقاء بدون ورق–):**

من يرتجل على أن في ذهنه موضوع يتحدّث عنه، ولكن يفقد القدرة على ضبط الوقت، بل ويتشعّب في مواضيع أخرى، ممّا يطيل ويُمل منه المستمعين ولا يستوعبون جيداً ما قال، بسبب عدم إعداد وحفظ وضبط ما يُلقيه، فمن كان هذا حاله في ضعف إعداد الخطبة جيداً ولا يُحسن حفظ وضبط ذلك؛ فليخطب من خلال الورق مع الإعداد الجيّد.

وليس في ذلك ما ينقص من قدره، فليست العبرة بإظهار ارتجاله للخطبة، وإنما العبرة بصلاح نيته ونفع الناس.

(الخـــاتمـــة)

الحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً فهو الذي أعان بمحض فضله ورحمته، وبعد..

فكما نقول – نحن معشر الخطباء– للناس كل جمعة: (اتقوا الله)، أو يكون بالطبع مقصد خطبتنا دائراً على التقوى؛ فكذلك نحن الخطباء أحوج ما نكون إلى تقواه جل في علاه.

ومن دلائل ذلك:

مجاهدة نياتنا وسرائرنا في أن نقصد بُخطَبنا وأعمالنا وجه من لا تخفى عليه خافيه، وأن نكون ممتثلين لتقواه سبحانه في افعالنا وبواطنا وظواهرنا متحرّين اتباع السنة على علم وهدى.

وأن نوقن بأننا على ثغرة عظيمة تولّاها خير الخلق صلوات الله وسلامه عليه وخلفاؤه الراشدون رضوان الله عليهم، والأئمة المهتدون، والدعاة المخلصون.

لذا علينا أن نُحسن سدّ هذا الثغر الجليل والمنبر الشريف بالاقتناع بعِظَم مميزاته، وأهميته، ومعرفة أحكامه، وأن نتحلّى جاهدين أنفسنا بالصفات التي تؤهّلنا بحق إليه، متزودين بالثقافة الشرعية واللغوية وسعة الإطلاع، وجودة الإعداد، وإتقان الإلقاء، متجاوزين أخطاءه ومخالفاته.

والذكرى تنفع المؤمن الصادق الذي يراجع – ما أمكن– بين فترة وأخرى ما سبق في ثنايا هذا التصنيف من حق وخير وصواب، ويطرح جانباً ما سوى ذلك، ولا يداخله العجب والاستنكاف بُحجّة سنواته المديدة في الخطابة، أو زهده في ذلك بسبب ما اعتاد عليه من معلومات سابقه أو التعذّر بأشغاله ودنياه.

ولنحاول كل فترة أن نحاسب أنفسنا فنسأل، ماذا قدّمنا لجماعة مساجدنا من خلال هذه الخُطَب على مدار سنوات؟:

- هل ساهمنا في تعليم الناس أصول العقيدة؟
- هل حذّرنا من نواقض الدين والتيارات العقدية الخطرة المنتشرة؟
- هل أوضحنا أهم أحكام العبادات ومخالفاتها؟
- هل دعونا إلى القيام بالحقوق الشرعية للعباد؟
- هل رغّبنا في فضائل الأعمال وصلاح القلوب والأخلاق والآداب المرعية؟
- هل زجرنا المنهيات والمحرّمات الظاهرة والشائعة؟
- هل تفاعلنا مع المستجدات والمواسم الحولية وبيّنا العمل تجاهها؟

إن هذه المحاسبة تدعو إلى تدارك التقصير، وتقويم الأخطاء والارتقاء بحسن أداء هذه الأمانة ورعايتها، ولا أحد منا يدّعي الكمال مزكياً نفسه، كما أن هذه المحاسبة من جانب آخر تدعّم الإيجابيات، وتثبّت الخطيب على مبادئه وقيّمه السامية التي دعانا لها ديننا الحنيف القويم.

وممّا يدفعنا لما سبق ذكره: تذكّرنا بأننا مسؤولون محاسبون أمام رب العالمين عن هذه الأمانة العظيمة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فهرس المصادر والمراجع

المصادر الأساسية

الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي، دار اليقين- مصر- المنصورة للنشر والتوزيع ط ١٤٣٧هـ

أيها الخطيب، د. عبد الرحمن بن عمري الصاعدي، دار النصيحة – المدينة النبوية ط ١٤٣٣هـ

صناعة خطيب ماهر، أحمد بن ناصر الطيّار، مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع – الرياض ط ١٤٤١هـ

خطبة الجمعة وأحكامها الفقهية، د. عبد العزيز بن محمد الحجيلان، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ
الشامل في فقه الخطيب والخطبة، د. سعود بن إبراهيم الشريم، الرياض، مكتبة دار المنهاج، ١٤٣١هـ

المراجع الفرعية من المصادر الأساسية

الأخلاق والسير في مداوة النفوس، ابن حزم.
أصول الإنشاء والخطابة، لابن عاشور.
الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي.
البرهان في وجوه البيان، لأبي الحسين إسحاق الكاتب.
تفسير القرطبي.
جامع العلوم والحكم، لابن الجوزي.
الخطابة، أبي زهرة.
زاد المعاد، لابن القيم.
سبل السلام، للصنعاني.
الصناعتين، لأبي هلال العسكري.
صيد الخاطر، لابن الجوزي.
العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني.
فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر.
مجموع الفتاوى، لابن تيمية.
المجموعة الكاملة، ابن سعدي.
مدارج السالكين، لابن القيم.
الخطابة الإسلامية، لعبدالعاطي عبد المقصود.

الخطابة عند العرب، محمد الخضر حسين.

الخطابة في موكب الدعوة، د. محمد عمارة.

شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين.

عبارات أثرّت عليّ وغيرت في حياتي، أحمد الطيار.

فصول إسلامية، علي الطنطاوي.

فن الإعداد والإلقاء، الرائد: سامي الحمود.

مصادر مستقلّة

محاضرة: حتى نستفيد من خطبة الجمعة، د. محمد الدويش، موقع: صيد الفوائد

محاضرة: كيف تلقي موضوعاً؟، محمد المُنجّد، الموقع الرسمي للشيخ محمد صالح المنجد

مقالات مجلة البيان عن الخطابة، لإبراهيم بن محمد الحقيل، أعداد: ٢٠٩ – ٢٤٨ – ٢٥٢ – ٢٩٠

مقالات مجلة البيان عن الخطابة، لمجموعة من أهل العلم، أعداد: ٢٠٣ – ٣٢٦

تكلّم بدون خوف، آيفي نايشتادت، مترجم، الناشر: الدار العربية للعلوم ناشرون، تاريخ النشر:٢٠٢٢

موقع: الدرر السنيّة، بإشراف: علوي بن عبد القادر السقّاف.

موقع: الإسلام سؤال وجواب، إشراف: محمد صالح المنجّد.

موقع: الألوكة، بإشراف: د. سعد بن عبد الله الحميّد.

مواقع علمية متعدّدة على شبكة المعلومات.

فهرس الموضوعات

المقدمة ١

قسم: مميزات خطبة الجمعة ٢

قسم: أهمية الخطابة ٦

قسم: أهـم أحكام خطبة الجمعة والخطيب والحاضرين، مع ذكـر أهـم أحكـام خطـب العيدين والاستسقاء والكسوف للخطيب، ويحوي هذا القسم: ٩
الخطبة شرط لصلاة الجمعة ١٠
يشترط خطبتان لخطبة الجمعة ١٠
شروط الخطبة للخطيب ١١
أركان خطبة الجمعة ١٥
السنن لخطبة الجمعة: أي الأفعال التي قبل الخطبة وما يكون في ثناياها ١٨
السنن في خطبة الجمعة: أي الأفعال التي في صلب الخطبة ٢٠
مسائل قد تعتري الخطيب ٢٢
مسائل لا تشرع للخطيب ٢٤
مسائل متفرقة ٣٤
من أهم أحكام صلاة العيدين للخطيب ٣٧
من أهم أحكام صلاة الاستسقاء للخطيب ٣٩
من أهم أحكام صلاة الكسوف والخسوف للخطيب ٤٢
قسم: صفات الخطيب، ويحوي: ٤٣
طهارة القلب والجوارح من درن المعاصي وشؤمها ٤٤
تقوى رب العالمين في السر والعلن ٤٤
الإخلاص ٤٥
اللجوء إلى من بيده التوفيق والسداد وحسن الافتقار إليه ٤٥
التوكل على الوكيل سبحانه ٤٦
العلم الشرعي ٤٦

قوة الشخصية ٤٧
شجاعًا في كلمة الحق بالحكمة والأسلوب الحسن ٤٨
الثقة بالنفس بما تحمله من الحق والمبادئ والقيم ٤٨
الصبر والثبات والاحتساب ٤٨
التحلّي بالحكمة وحسن التقدير للموقف الذي سيتحدّث عنه ٤٩
تجري الدعوة إلى الله في عروقه ودمه ٤٩
حريص على التجديد والجذب ٤٩
يمتلئ حماسةً فيما يدعو إليه اعتقادًا بصدقه ٤٩
استحضار أنه ذاهب لتبليغ رسالات الله والدعوة إليه ٤٩
تحبيب الناس في الدين بذكر محاسنه وفضائله ٥٠
الالتقاء بالخطباء المتميزين أو السماع لهم ٥٠
سعة الأفق في الانتفاع بفئات المجتمع ٥٠
وضع له ملف متكامل لخُطَبه ٥٠
الحرص على تسجيل خُطبه ٥٠
الاطلاع أو السماع على ما يُعنى بجوانب حسن الإعداد والإلقاء ٥٠
العناية بصلاح المظهر الخارجي ٥٠
محاسبته لنفسه في ماذا قدّم لجماعة مسجده من خلال هذه الخُطَب ٥١
قسم: ثقافة الخطيب، ويحوي: ٥٢
أهمية تعلم العلم الشرعي من خلال التلقّي على أهل العلم ٥٢
أهم المصادر الميسّرة في: ٥٣
العقيدة ٥٣

التفسير والقرآن وعلومه ٥٥
السنة المُطهّرة ٥٥
الأحكام الفقهية ٥٦
السيرة النبوية ٥٧
أهم المصادر في: ٥٧
أعمال القلوب ٥٨
الرقائق ٥٨
الفضائل والأخلاقيات ٥٨
المنهيات ٥٩
المواسم والأحداث ٥٩
تفاعل الخطيب مع الأحداث التي تكون في العام ٥٩
دراسة أهم علوم اللغة ٦٠
الخطيب والشعر، ومن أهم المصادر التي تفيد الخطيب الاقتناء منها ٦١
ويُختم هذا القسم بملحوظتين ٦١
قسم طرق إعداد الخطبة، ويحوي: ٦٢
الجزء الأول: (المقاصد الأساسية للإعداد)، ومن ذلك:
الالتزام بالحكمة والموعظة الحسنة
تأصيل الإيمان
أهم المعالم في مضمون الخطبة
مقصود فئة الإعداد

التأكّد من دقّة المعلومات وصحتها

الحذر من التكلّف المذموم في الإعداد، وسلبياته

البلاغة في الإعداد، ومقصدها الصحيح

قصر الخطبة

الجزء الثاني: (موضوعات الخُطَب)، ومن ذلك:

الخطيب الموفق هو من يفهم الإسلام بشموله وجميع جوانبه

التدرّج في الموضوعات والتركيز على الأهم فالأقل أهمية

من الموضوعات المهمة في الجوانب المختلفة التي تغيب عن جملة من الخطباء

الجزء الثالث: (الخطوط الأساسية في كيفية إعداد الخطبة)، ومن ذلك:

التأكيد على تنويع الموضوعات، وتجاوز القصور في ذلك

تنظيم الخطيب لعناوين الخُطَب

الوقت المناسب لتحضير الخطبة، والحكمة منه

الحرص على قصر الخطبة، مع ذكر الوسائل المعينة في الإعداد لعدم الإطالة

مراعاة وحدة الموضوع

تجميع عناصر الموضوع

تقسيم موضوع الخطبة، وضرب مثال على ذلك

الجزء الرابع: (الملحوظات المُهمّة لتحسين إعداد الخطبة)، ومن ذلك:

توضيح الحروف لمن يقرأ من ورقة إن لم يتيسّر طباعة خطبته التي أعدّها

العناية بعلامات الترقيم والوقف

مراعاة أفهام الناس في ذكر المقادير العصرية التي يفهمونها

الاستشهاد بالأمثلة من الكتاب والسنة

الدعاء في الخطبة، وحسن توظيفه للخطبة

ثلاث صفات للاستفادة من خطب الخطباء: لمن كان مشغولًا بأمور تهمّه عن الإعداد للخُطَب، أو من كان مبتدئًا في الخطابة

مقترحات وملحوظات

الجزء الخامس: (التوازن في عرض القضايا المختلفة)، ومن ذلك:

ما يتعلّق بالنصوص الشرعية

فيما يخص الأحاديث النبوية

ما يتعلّق بالاستفادة من الوسائل الحديثة للإعلام والاتصال وتناقل المعلومات

ما يتعلّق بجانب الوعظ والرقائق

فيما يتعلّق بإنكار المنكرات

في النوازل المستجدّة التي تتعلّق باحتلال بلاد المسلمين من أهل الكفر والطغيان

فيما يتعلّق بالنوازل الكارثية

في عرض الخطيب لمآسي المسلمين، ومكر الكفار والمنافقين

فيما يتعلّق بالقصص والمواقف

وفيما يتعلّق بقصص السنة النبوية

فيما يتعلّق بنقولات المفكّرين سواء كانوا مسلمين أم من الكفار

فيما يتعلّق بمن يخطب في القرى النائية والبوادي

قسم وسائل الألقاء المُختصّة بالخطيب، ويحوي:

الفئة الأولى: المبتدؤون - الجزء الأول: (معوقات وعلاجات)، ومن ذلك:

الأفكار السلبية عن الإلقاء

تضخيم الرهبة من مواجهة الناس

القلق الزائد المستمر

أهم عيوب البيان والنطق

الجزء الثاني: (من وسائل التدريب المبدئي والتطويري للإلقاء)، ومن ذلك:

تذكير النفس بفوائد الإلقاء

طرق التدريب الجادّ

تعلم فنون الإلقاء الخاصة بالخطبة

الفئة الثانية: الممارسون - الجزء الأول: (التأكيد على تحسين البيان)، ومن ذلك:

الصفات البيانية

سلامة اللغة

الجزء الثاني: (ما يتعلّق بصوت الخطيب)، ومن ذلك:

أهمية صوت الخطيب وضوابطه

العناية بأجهزة نقل الصوت باعتدال

الجزء الثالث: (طرق ارتجال الخطبة، أي: إلقاءها بدون ورق)، ومن ذلك:

بين الارتجال والخطبة من ورق

من فوائد ارتجال الخطبة بدون ورق

من طرق الإلقاء الارتجالي

ومما يعين على الارتجال أو حتى الإلقاء من خلال الورق لإبعاد الرهبة

سلبيات ارتجال الخطابة وسُبُل الخلاص منها

من وسائل الإلقاء الارتجالي، ومثال يبُنى على ذلك

الجزء الرابع: (أهمية التطوير المستمر)، ومن ذلك:

الهمّة في التجديد

قوة الحماس والعاطفة

تنويع الملقي للأسلوب بما يناسب عناصر موضوع الخطبة

النظر عند الإلقاء

المراجعة التحسينية

الجزء الخامس: (تدريب المربي الآخرين على الإلقاء)

قسم تقويم أخطاء الخطيب، ويعود ذلك إلى ثلاثة أمور:

الأمر الأول: تقويم أخطاء الخطيب فيما يتعلّق بصفات الخطيب، ويحوي:

المخالفة لهدي السنة في الظاهر، والوقوع في المعصية

خُلق التعالي الذي لا يليق بالمسلم فضلًا عن الخطيب

تصرفات غير لائقة

كراهة الكلمات المبهمة في الخطبة، والبعيدة عن الأفهام، وما تكره عقول الحاضرين من البذاءة

العُجُب وحب المحمدة

عدم حسن الهيئة للخطيب في لباسه وطيبه

كراهة تخطي الخطيب رقاب الناس من غير حاجة

خطبة الخطيب وهو جالس

ألفاظ تجريحيه لا تليق بالخطيب الداعية

استغلال المنبر لغير ما وضع له

النقد المصرّح بالأسماء أو المدح المذموم

ترك إنكار الخطيب لمن يتأخر ويتخطّى رقاب المصلين، وأمر الداخل للمسجد أن يصلي ركعتين

التقليد

حُب الخطيب الاجتماع لخُطَبه

الاكتفاء فقط بخُطب غيره دون عذر

الحماس غير المعتدل

الإفراط في الثقة بالنفس

ضعف تقبّل النقد

التهاون في التسجيل للخطبة

اعتذارات باردة في مقدمة الخطبة

العبَث أثناء الخطبة

التأثّر بشبهات الضالّين من الإعلاميين وغيرهم عند نزول الكوارث

الانفتاح الإعلامي وأثره السلبي على بعض الخطباء

بين التهوّر والاندفاع، والمداهنة وتسويغ الباطل

تعامل الخطيب بين الابتذال والترفّع

التأثّر بالمثبّطين ممّا يؤدي إلى الفتور أو الانقطاع

الأمر الثاني: تقويم أخطاء الخطيب فيما يتعلّق بطرق إعداد الخطبة، ويحوي:

التعبير بدون تأصيل وبحث

الاعتماد على خطب قديمة مخالفة للشرع، وبما لا تناسب الحال

الالتزام دوماً بصيغ مُعيّنة إلّا ما ثبت بالسنة الصحيحة

الخطيب القديم والتهاون في الإعداد

إطالة الخطبة

اعتماد التسجيع في الخطبة وكونه هو همّ الخطيب

تخصيص الخطيب نفسه بالدعاء

التوسّع في جمع النصوص

التفصيل في تخريج الأحاديث بما لا يناسب العامة

التأثر العميق بالشائعات

غلَبة النظرة السوداوية، والتيئيس

ليس كل ما يُعلم يُقال

ذكر الخلاف في المسائل، أو التفصيل فيها

تأخير اختيار موضوع الخطبة

الحديث بما لا يناسب المقام أو الزمن

المبالغة في وصف السلبيات، وضعف إصلاح ذلك

تأثّر الخطيب بعمله

أسلوب الأمر المباشر

الرثاء على المنابر

إهمال ذكر بعض الخطايا أو السلبيات بسبب عدم وقوعها

افتتاح خُطَب العيدين بالتكبير والاستسقاء بالاستغفار

الجمود على مواضيع معيّنة من فن واحد

المبالغة في جانب الترهيب

الأمر الثالث: تقويم أخطاء الخطيب فيما يتعلّق بوسائل الإلقاء، ويحوي:

التغنيّ بالآيات القرآنية

التشدّق والتفاخر بالفصاحة

النطق بالألفاظ على عَجَل

تكلّف اصطناع المشاعر أو كتمانها

اعتياد أسلوب في الإلقاء متُعارف فيه عند جملة من الخطباء

سرد الخطبة سرداً دون تمهّل

تلحين الخطبة والترنّم فيها

الجهورية الزائدة في الصوت

كثرة اللحن

أكثر آفات الارتجال -أي الإلقاء بدون ورق-

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات